اسرائيل و العرب

الجولة الثالثة

ايريك رولو – جان فرنسيس هلد

جان وسيمون لاكوتير

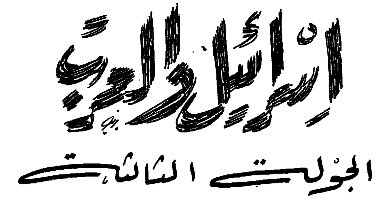


الدار التونسية للنشر





ايريك رولو ، جان فرنسيس هلد
جان وسيمون لاكوتير



تعريب
لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار



طبـع من هذا الكتاب
خمسمائة نسخة مرقمة
مـن 1 الى 500

مقدمة

عند ينابيع النزاع

لجان لاكوتير



« ارض لا ناس بها لأناس لا ارض لهم » : ذلك هو الشعار الذائع الماثور عن « اسرائيل زنغويل » ، وهو خطأ فى الشطر الاول منه ٠ فابناء ابراهيم لم يجلوا عنها عن بكـرة ابيهم ، وهذه ارض الانبيـاء (فلسطين) هى منذ نصف القرن مسرح لمعركة قاسية يتكافح فيها شعبان ، احدهما عرف من مآسى الاضطهاد ما لم يعرف غيره ، والثانى ممن لحقته افظع ضروب الهوان الماحقة للكيان ٠ وتكمن الماساة فى ذلك الاصطدام بين حقين راسخين فى التملك لا سبيل الى محوهما ، او هما كذلك فى نظر المدلين بهما ٠

انه ما كادت تنتهى المعركة ويتملص منها المحاربون العبرانيـون حتى هرعوا الى جدار المبكى يطوقونه باذرعهم وهم يتلون آية من سفر (اشعيا) ، وقد غمرهم الشعور باسترجاع حق غصبوه منذ عشرين قرنا ٠ لكن بين يدى الساعة رسالة من كاهن مسيحى عربى وجه بها من نقطة قريبة من هنـاك فى نفس اليـوم ، هى صـرخة من الاسى والحسرة ، ضد عملية الاستحواذ على البقاع المقدسة من طرف الجيش الذى كان اسرع الى تنفيذ خطته ٠

ولنستشهد هنا بما خطه قلـم الكاتب الاسـرائيلى الاشتـراكى (دوف بارنير) (1) :

---

(1) العصور الحديثة ، صيف 1967 ، ص 451 ٠

« ان العرب لمحقون اذ يقولون انهم فى فلسطين منذ ثلاثة عشر قرنا . واليهود محقون ايضا حين يرددون انهم منذ اربعين قرنا مضت كان قد استقر بهم المقام بمقربة ضفاف الاردن ، وان ذلك البلد كان وما زال (الارض الموعودة) لهم » .

اليس ذلك هو الحق الجغرافى السياسى يعارضه الحق المعتمد على التاريخ ؟ او هو امتداد العروق فى الارض يكافح بواقع التوسع والانتشار ؟

انه لما يستدعى المزيد من الالم والاسى فى مشهد هذا النزاع الدامى الهاب من مرقده ان يزج فى المعركة ــ وجها لوجه ــ بمجموعتين من البشر طالما قست عليهما احداث التاريخ ، وذلك فى نفس الوقت الذى استهلت فيه الاولى منهما وحققت الثانية عصرا للبعث لا مراء فيه . ومن أدعى هذه المشاهد المؤلمة الى الحيرة ذلك التقابل ، بل الاتحاد فى الزمن ، بين ذينك المجهودين المبذولين من كلتيهما فى سبيل الانبعاث وتجديد الكيان .

وانه لموعد غريب تضربه مع التاريخ ــ حوالى سنة 1880 ــ كل من العروبة الهابة من مرقدها ، واليهودية الباحثة لها عن موطن سياسى ووحدة ثقافية . فقد تشكلت آنذاك جمعية « احباء صهيون » (حوفيفى تصيون) وتم اقرار اول جماعة قروية يهودية بتراب فلسطين ، وهى التى دعوها (بيتح تيكوا) « باب الامل » ، ونشر (ليون بينسكير) كتابه الحاسم « التحرر الذاتى » ، وكانت الاضطهادات الموجهة ضد اليهود بروسيا سنة 1881 على وشك الاندلاع وهى التى ستسهم بقسط وافر فى اذكاء مطامح اليهود الى ايجاد مأوى قومى لهم . لكن الى جانب هذه الحركة اليهودية الناشئة كانت تبدو اول مظاهر الانبعاث فى جثمان الامة العربية .

لقد عمدت فى بيروت ثلة من رجال الفكر من العرب ، من بينهم فارس نمر وابراهيم اليازجى وبطرس البستانى ، الى انشاء جمعية سرية اخذت على عاتقها اعداد اول مخطط سياسى عربى منسجم . كما كانت فى نفس الوقت تنمو بمصر حركة عرابى باشا ، ذلك

المغامر الأول الذى تمثلت فى شخصه روح الثورة المقامة على الحماس الشعبى وتدخل الجيش ، وهى النزعة التى فرضت نفسها من جديد على العالم العربى ابتـداء من سنـة 1952 • وهذه الفتـرة هى التى شـاهدت ايضـا اول ازدهـار للصحف العـربية مـن بيـروت الى الاسكندرية والقاهرة وتمثلها صحيفة (المقطم) احسن تمثيل •

فى هذه المرحلة الاولى للبعث كانت الصهيونية السياسية والنهضة العربية تجهل احداهما الاخرى كحركتين لهما اهداف واضحة ، وقد حاولتا فيما بعد ان تعملا على التآزر فيما بينهما وعلى تنسيق جهودهما الهزيلة فى مبدئها وان كانت جهودا متشوفة الى جليل الغايات •.

وعلينا ان نلاحظ ان موقفيهما مختلفان كل الاختلاف تجاه السلطة الحاكمة المحلية التى كانت يومئذ بايدى الاتراك ، فالصهيونية تحاول التسرب فى قلب الامبراطورية العثمانية بالتى هى احسـن ، وذلك بمداراة السلطة الحاكمة ، او اشتراء ضمائر ممثليها بالرشوة لتحقق بغيتها تدريجيا • اما الحركة العربية فليس لها من منفذ او مهرب الا منازعة سلطة الباب العالى والانتقاض عليها ، وفى ذلك ما فيه من ثمن غال دفعه الثوار وتمثل واضحا للعيان فى مشانق جمال باشا • ولا شك ان (بن غريون) و (بن زوى) قد اقصيا عن ارض المشرق من طرف السلط التركية ، لكن يمكننا القول بانه فيما بين سنتى 1880 و 1918 كانت الصهيـونية تقف ازاء العثمـانيين مـوقف المتسـوغ للمحل ــ وهو (يعقوب صنوة) ــ قد اصبح من اقوى الرواد عارضة وافصحهم بيانا فى حركة الانبعاث المصرية ، فهو ينخرط فى سلكها ويقوم بحملته لفائدة العروبة بعد ان انتحل له اسم (ابو نظارة) ، وقد حصل اندماجه فى ظروف تستثير مشاعرنا ، كما ان ابناء الدفقة الاولى من الجالية اليهودية ــ المصطلـح على نعتهـا بـ « العليـا » ــ استخدموا فى حدود سنة 1880 يدا عـاملة من العـرب • على اننا لا نلحظ يومئذ اى اثر لنـزاع قـائم بين مستغلين ومستغلين ، وبين مستعمرين ومستعمرين •

وكانت الحركة العربية قد اصابها الوهن وان لم تنكسر اثر ما كان من هزيمة عرابى باشا بمصر وما دبره السلطان عبد الحميد فى تراب امبراطوريته من اعمال زجرية ، على ان المعارضة العربية لا تلبث ان

تتصلب ويتضاعف حماسها • وفى نفس الوقت انقسمت الصهيونية الى تيارين عظيمين ، احدهما ذو اتجاه فكرى صرف ، والآخر ذو طابع سياسى •

فاما الصهيونية المصطبغة بالصبغة السيـاسية فانها ما لبثت ان وجدت التعبير عن حقيقتها فى كتـاب ذاع صيتـه فى الآفـاق وهو « الدولة اليهودية » لـ (ثيودور هرزل) الذى نشر سنة 1896 ، وهو يمثل براءة اعتمدتها المؤسسة الصهيونية التى بـرزت للوجـود فى السنة الموالية اثر ندوة (بـال) ، وعلى الـرغم من تطـوح خيـال (هرزل) فى مختلف الآفاق فانه لم يعين بالمرة فلسطين مقرا للوطن اليهودى ، ولا تعرض لها سلفه (بينسكير) ، انما اتجه بفكره الى الجمهـورية الفضيـة والى اوغنـدا • وقد كتب فيما بعـد (دافيـد بن غريون) معلقا على ذلك : انه ما كان باستطاعة الرائدين العظيمين « خلـق الفكرتين فى نفس الـوقت » وهما بعث الشعب اليهـودى والعودة الى (صهيـون) • لكن (هـرزل) ما لبث ان اتجه بالحركة صوب (ارض الميعاد) مسرعا لهذا الهدف اكثر مما فعله سلفـه ، باذلا قصاراه من اجل اقناع الدول العظيمة بوجهة نظره وجرها الى جانبه ، مبتدئا بالدولة الباسطة نفوذها على اهم الجماعات اليهـودية وهى الروسيا الخاضعة يومئذ لحكم قياصرتها ، ثم الدولة الحاكمة فى التراب المحرك لاطماع اليهود ، اعنى حكومة اسطنبول • على ان ذلك لم يتسن لـ (هرزل) دون المساومات المؤلمة والمزرية بالكرامة •

وكان النافخون فى بوق « الصهيونية الروحية » من امثال (آشر جنزبرغ) يذهبون الى ان احداث دولة عبرية بالشـرق الادنى ربما يكون سببا للمناورات المزرية ولمزيد من العنف ، فهم يقترحـون من جانبهم ان يحدث بالارض المقدسة مجرد مقر رمزى يكون مصدر اشعاع للروح العبرية • والى نفس هذه النزعة الفكرية وعلى أوجـه مختلفة وبعناوين شتى ينتمى عدد من اساطين الفكر اليهـودى من امثـال (مارتان بولبر) و (يهوذا مغنس) وغيرهما •

على ان ما اصاب اليهود الاوروبيين من محن تتـابعت عليهم ـ بما فى ذلك قضية (دريفوس) وما كان بعـدها من حمـلات الاضطهـاد المنصبة عليهم بروسيا فى اوائل القـرن العشـرين ـ من شانه ان

ينفث روحا متوثبة فيما كان (هرزل) بصدد العمل له من المشاريع ، لكنه لقي حتفه سنة 1904 في نفس الوقت الذي حقق فيه هدفا حيث بلغت الدفقة الثانية من المهاجرين اليهود الى سواحل فلسطين • وما لبث ان التحق بهؤلاء القادمين المتسمين بالجسارة وقوة الجاش شاب بولـوني هو (دافيد بن غريون) الذي لم تخف عنه مظـاهر النقص والخلل في « الدفقة الاولى » للهجرة التي تمت سنة 1880 اذ يقـول فيما كتبه بشانها : ان القائمين بها « كانوا يعيشون عيشة الاسياد من محاصيل مزارعهم التي يتولى خدمتها عنهم عملة فلاحيون » • (1)

هكذا يقبل النازحون الجدد على تعاطي اشق الاعمال مكذبين بذلك ما تكهن به (جنزبرغ) اذ يقول : « ان مجموعة العائشين منا بارض اسرائيل ستكون دوما فئة من السكان رفيعة المستوى ، وان شئت اقلية جد متطورة ومثقفة ، ولن تستمد قوتها الا من جودة القرائـح ووفرة الاموال » واشتد ازرهم بقـدوم افـواج اخرى متـلاحقة من المهاجرين الذين اجلاهم عن اوطانهم ما قدر من اخفـاق لثـورة سنة 1905 بروسيا « وقد كان لهذه ان تفضي لو انهـا نجحت الى شبـه التحرر للجاليات اليهودية بالتراب الروسي (2)• وتمكن اليهود ، تبعا لذلك ، من ان يرسخوا بصفة نهائية في « الارض المقدسة » اقـدام مؤسستهم الجامعة اشتاتهم هناك (بسهوف) » •

ولم يقع من طرف الحركة القومية العربية رد فعل – في الظاهر على الاقل – الا ما اشار اليه (بن غريون) عندما كتب يقول : « ان قطاعا من العرب يعيشون ليلا » • على ان الامر انحصر يومئذ في رد فعل من طرف الريفيين العرب ضد الطـارئين عليهم ، ولم تكن العـروبة حينذاك اكثر من مجرد كلمة للتعارف • لكن الزعماء من بين ابنائها سيوجهون عنايتهم الى ظاهرة التوسع الصهيوني •

كان من اثر الحرب العالمية الاولى ان قيضت الابطال الذين انيطت بهم ادوار المأساة وحددت الاطار لاحداث الفاجعة وسطرت لها مراحلها في الزمن • فقد افضى النشاط السياسي للدول العظمى ، وخاصة منها

(1) د. بن غريون : اسرائيل وسنو الكفاح ، ص 9 . طبع كلمان ليفي .
(2) نفس المرجع ص 8 .

بريطانيا ، الى اثارة وتنشيط آمال ومطـامح الحـركتين الصهيـونية والعربية على التناوب بينهما ، وآل الامر بفريقي المشردين او المداسة كرامتهم ان تحولوا الى مطالبين بميراث وقد تعـاظمت شـراهيتهم . ولحد تلك المرحلة كان تركيز الصهيونية ومحـاولة البعث العـربية يقومان فى ظل استعمار متداع تمثله الامبراطورية العثمانية . لكن منذ اندلاع الحرب اصبحت الحركتان تتكافحان فى خفـارة امبريالية اشد مرونة هى الامبريالية البريطانية التى كانت تستثيرها منافسة فرنسا وتستفزها للعمل .

ففيما بين سنتى 1915 و 1918 اعدت ــ تحت ضغط الاحداث ولاسباب ديبلوماسية او استراتيجية ــ اربع نصـوص من الوثـائق يشكـل مجموعها فى تلك الفترة ما يصح ان يدعى بالملف الاساسى للنـزاع الاسرائيلى العربى وهى : تبادل رسائل بين مـاك ماهـون وحسين (سنة 1915) ، والاتفاقيات المبرمة بين سيكس وبيكو (سنة 1916)، وتصريح بلفور (سنة 1917) ، والتصريح الانجليـزى الفـرنسى بتاريخ 7 نوفمبر 1918 .

اما المكاتبة التى تبودلت بين الشريف حسين المنتصب بمكة ملكا على الحجاز ــ وكان يومئذ ابرز شخصية ممثلة للقومية العربية ــ وبين السير « هانرى ماك موهون » المندوب السامي البريطانى بالقاهرة ، فهى فى جوهرها وعد بالاستقلال تقطعه لندن للعرب وقد دعوا الى الثورة على الاتراك . واستثنيت من هذا الوعد المنطقة الساحلية من سوريا فيما بين دمشق والاسكندرية . وكان ذلك تحفظا من طرف الانجليز راعوا من خلاله مطامح حلفائهم الفرنسيين المتجهة نحو لبنان وسوريا . على ان النص المحرر من طرف (ماك ماهون) لم يتعرض بتاتا لاخراج فلسطين من حيز « المملكة العربية » المزمع احداثها .

ولما ان حققت حكومة لندن ذلك الحلف بينها وبين العرب ضد الحكم التركى اتجهت بعد اشهر قلائل الى التفاوض مع حكومة باريس ، وهى الطرف الآخر المطالب بقسطه فى الشرق العربى . وقد ابرمت فى هذا الصدد اتفاقية ــ سرية طبعا ــ بين السير (مارك سيكس) والمسيو (جورج بيكو) ، ولم تكن فى الواقع سوى تقسيم للشرق الاوسط الى مناطق نفوذ : منطقـة فرنسية بسوريـا ولبنـان غربا ؛

ومنطقة انجليزية بالعراق شرقا . اما فلسطين فقد وقع « التحفظ » فيما يخصها واجل النظر فى شانها كيما تخضع « لنظام دولى » ، وكان الانجليز يرمون من وراء ذلك الى اقصائها عن المطامع الفرنسية نظرا لقربها من قنال السويس .

وفى العام التالى جنحت السياسة الانجليزية الى تحقيق محالفة ثالثة تشد بها ازرها ، وتجلى ذلك حينما اذاعت تصريح اللورد بلفور الشهير الذى يتوجه فيه الامين العام للشؤون الخارجية البريطانية بخطابه المؤرخ فى 2 نوفمبر 1917 الى اللورد روتشيلد محيطا اياه ان « بريطانيا العظمى ترمق بعين الرضا احداث مقر قومى للشعب اليهودى . وستبذل كل مجهودها من اجل انجاز هذا الهدف مشترطة طبعا ان لا يحصل اى ضرر فى الحقوق المدنية والدينية للمجموعات الاخرى غير اليهودية القائمة بفلسطين ... » .

فلأى سبب وباى موجب عمدت الديبلوماسية البريطانية الى هذا التحول البالغ الجسارة فى طرائفها ومناهجها رغم المساعى التى بذلت لديها وتحذيرها سوء العقبى من طرف عدد من عظماء الجالية اليهودية انفسهم مثل (دافيد الكسندر) و (السير كلود منتفيور) و (السير ادوين منطاغو) وهى الشديدة الحرص على اجتلاب ود الزعماء العرب الذين امتنعوا اخيرا عن ابرام سلم منفصلة مع الاتراك ؟

لقد كانت وعود (ماك ماهون) الى الشريف حسين مترتبة عما كان لبريطانيا من رغبة ملحة فى استجلاب ود العرب . اما تصريح نوفمبر 1917 فهو مستلهم من المنافع التى كانت الامبراطورية ترتقبها من قيام مجموعة اوروبية صديقة لها ذات قوة وباس ، تستقر بمنطقة استراتيجية اساسية فى نظرها حيث كانت تقع فى طريق الهند . والى ذلك ، فانها قرات حسابا للدور الذى كان بالامكان ان تلعبه فى الشوط الباقى من الحرب مجموعات اليهود بروسيا ــ حيث اطاح (كيرينسكى) بعرش القياصرة واستلبه مقاليد الحكم ــ منضافة اليها طوائف اليهود الاميريكيين بالولايات المتحدة .

وعلينا ايضا ان لا ننسى ما كان يجده هذا المشروع من العطف

لدى القادة البريطانيين لتأثره مباشرة بالكتاب المقدس الذى الفوا تلاوته وغذوا بتعاليمه • ويلحظ اللورد (أسكيت) فى « مذكراته » ان (لويد جورج) كان حريصا كل الحرص على ان لا تقع فلسطين فى قبضة « فرنسا الملحدة » على حد تعبيره •

وقد يلاحظ إلى ذلك انه فى تلك الفتـرة وعلى الـرغم من نهضـة العرب السياسية لم تكن المشكلة واضحة المـلامح ولا متسمة بسمة التصادم بين مصالح اليهود والمسلمين • فقد تمت مقابلة بعد تصريح بلفور بستة اشهر على مقربة من (العقبـة) ـ أجـل ! ـ بين زعيم الحركة الصهيونية الدكتور (حايم ويزمان) الذى اصبـح فيما بعد رئيسا لجمهورية اسرائيل وبين ابن الشريف حسين الامير فيصل قائد الجيوش العربية الذى قطع له الوعد بمنحه عرش سوريا ، وكان الاتصال بينهما وديا الى ابعد مدى تطرقا فيه الى الحديث عن التعاون بين العرب واليهود • ونشير على من يتوق الى المـزيد من التفاصيل فى هذا الصدد ان يقرأ ما خصصه الدكتور (ويزمان) لهذه المقابلة من صفحات ملؤها التفاؤل فى كتابه عن « مولد اسرائيل » • على ان الاتصال بين العاهل العربى والزعيم الصهيونى لم يقف عند هذا الحد كما سوف نوضحه فيما ياتى • وبالاضافة الى ما ذكرنا عمد الدكتور (ويزمان) اثناء عبوره بالقـاهرة الى الدعـاية لفـائدة النظريـات الصهيونية وعرضها بصورة مشوقة على مـدير جـريدة (المقطـم) ـ اكبر الجرائد العربية لذاك العهـد ـ فـارس المتحـدث عنه آنفـا والذى كان احد مؤسسى اول حركة للنهضة العربية فى بيروت سنة 1880 كما اسلفنا •

هكذا كانت حكومة لنـدن تخطب على التعـاقب ود العـرب ، ثم الفرنسيين ، وتتقرب للصهيونيين • فمن فرط ما وزعت الشـرق العربى اقساطا بين اصدقائها وحلفائها افضى الحـال بها فى نهـاية الحرب الى موقف حرج عمدت معه الى التخلص من ورطتها بالاحالة على المبادىء السامية • وكذلك نشرت الحكومتان : البريطانية والفرنسية « بيانا مشتركا » بتاريخ 7 نوفمبر 1918 تضمن اعترافهما لشعـوب الشرق الاوسط بحق تقرير مصائرها بمجرد تحررها من نير الحكم العثمانى ، وبذلك رجعت حكومة (لويد جورج) فى جميع وعودها

السالفة ، واصبحت للولايات الجنوبية من الامبراطورية العثمانية الكلمة فى تقرير مستقبلها بنفسها الا ان ياتى ما يناقض ذلك من كبريات الدول· اثناء مداولاتها من اجل اقرار السلم وفى موطن آخر· او يعمد الى « تحريره » بحسب الظروف وتبعا للمصالح الاستراتيجية والاطماع المتعارضة ، وكذلك تقتبل هذه البلاد فترة ما بعد الحرب فى جو ساده القلق وعمته الحمى · على ان الممثلين العظيمين للعروبة والصهيونية ما لبثا ان التقيا باروبا حيث كانت تتقرر مصائر الشرق فيما بين (فرساى) و (صان ريمو) وتمت بينهما المصادقة على فكرة التعاون بين العروبة والصهيونية بالشرق الادنى وسجلت ضمن الوثائق الخطية : ففى 3 جانفى 1919 وقع الامضاء على نص الاتفاقية المبرمة بين فيصل و (ويزمان) التى تضمنت محتوياتها الرئيسية ما يلى :

« ان الدولة العربية وفلسطين سيعمدان الى ايجاد التفاهم بينهما على احسن وجه ، ولهذا الغرض سيقع اقرار المسؤولين من العرب واليهود بخططهم مع ابقاء كل منهم فى منطقته من التراب ··· وبمجرد انتهاء مؤتمر الصلح يقع ضبط الحدود بين الدولة العربية وفلسطين على يد لجنة من الخبراء يتفق بشانها الطرفان » ·

« وسنتخذ جميع التدابير من اجل تنشيط حركة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتمهيد السبل لاستصلاح الارض من طرف النازحين ، على ان تحفظ حقوق الريفيين والمزارعين العرب وتمنح لهم الاعانة بعنوان التنمية الاقتصادية ··· هذا ولن يقع السماح باى ميز دينى سواء بالنظر لتادية الطقوس الدينية او فيما يمس مباشرة الحقوق المدنية والسياسية » · (1)

على ان الامير فيصل اعقب هذا النص الرئيسى بتحفظ يضارعه من حيث الاهمية اذ يقول : « ··· لئن ادخل اى تغيير على مشروع الاستقلال العربى الذى تقدمت به للحكومة البريطانية فلن تلزمنى ولو كلمة من هذه الاتفاقية ··· »

---

(1) جورج انطونيوس ، The Arab Awa Kening ص 437 – 439 ·

ولا يمكن ان نعتبر هذه الاتفاقية الوحيدة المبرمة بين العرب والصهيونيين والتى كتب لها ان تلغى وينعدم مفعولها من جراء السياسة التى توخيت ازاء العرب من جانب الفرنسيين والبريطانيين مجرد خدعة سياسة من طرف فيصل قبل تسلمه العرش · ففى رسالة له وجهها بعد هذا الحدث ببضعة اسابيع الى (فيليكس فرنكفورتر) الحقوقى الاميريكى الشهير والصهيونى المتحمس الذى اصبح فيما بعد مستشار (روزفلت) كتب سليل الشريف حسين يقول :

« ان العرب واليهود ابناء عم وقد نالهم نفس القهر والظلم من طرف امم جبارة ، ومن حسن المصادفة انهم خطوا فى نفس الوقت خطوة اولى نحو اكتساب حقوقهم القومية · ونحن العرب لا سيما المثقفين منا نلحظ الحركة الصهيونية بمزيد من عطفنا ··· ونرى ان مقترحات هذه المنظمة معتدلة وملائمة للظروف ، وسنعمل ما فى وسعنا من اجل تحقيقها · ونرحب عن طيب خاطر بهذه « العودة » اليهودية » ·

« ان الدكتور (ويزمان) كان من اكبر المناضلين عن قضيتنا ، وآمل ان يوفق العرب فى القريب الى مجازاة اليهود عن حسن صنيعهم · وسنعمل جنبا لجنب لاعادة الحياة الى الشرق الادنى · ان حركتينا متكاملتان : فكلتاهما متسمة بالروح القومية مبتعدة عن الامبريالية ، والفضاء متوفر للجانبين بسوريا ، ولا اظن احد الفريقين ناجحا فى مسعاه دون مساهمة الآخر » ·

« لقد حاول بعضهم استغلال الخلافات التى لا مندوحة من حدوثها فى البدء فعمدوا الى تشويه مقاصدنا لدى الريفيين العرب واليهود وانتهزوها فرصة لاستثمار ما سموه خلافا بيننا ··· وهذه السحب الناشئة عن عدم التفاهم ستنجلى بفضل تعارف اوفر » · (I)

كان الشرق الادنى نهبا : تمزق اشلاؤه تارة ويعاد جمعها اخرى ، لا شك انها سطور ترجع الى زهاء نصف القرن · لكنها منبثقة عن

(I) حايم ويزمان ، مولد اسرائيل ، ص 284 _ 285 .

رجل كان من الرواد الاوائل للعروبة وما انفك الى يومنا يعد بطل الثورة العربية ولئن كانت تلك نظرته الى مستقبل الشرق الادنى فهل من العدل ان نحمل التبعة فى اخفاقها وعدم تحققها على مجرد الدسائس المدبرة من طرف الامبرياليتين الفرنسية والبريطانية ؟ كلا • ذلك ان مطامح الفريقين كانت متعارضة من نواح عدة ، واخطار الاصطدام وقيام الخصومات اوفر من الامكانيات المامولة لاتفاق وجهات النظر • ومع ذلك ربما اتيح للشعبين بسعيهما المشترك توفير اسباب الاصلاح والنهوض بعد الكبوة لولا ما كان من استغلال مطامحها من طرف دول عظمى لم تكن لها من اهداف سوى دعم حضورها العسكرى فى طريق الهند او بجبل الدروز او ضمان منفذ لها الى منابع النفط •

وابتداء من شهر جويلية 1919 تحولت بوادر العطف القليلة التى ابداها العرب لليهود الى تحرز ومناهضة • فلقد انعقد آنذاك فى دمشق المؤتمر العام السورى اثر انتخابه من طرف جانب هام من النخبة السورية ، ولم يقتصر على اعلان مناهضته لوضع فرنسا يدها على سوريا بل اضاف اليه معارضته « للمطالب الصهيونية الرامية الى اقامة دولة يهودية بجنوب سوريا فى الاقليم المسمى بفلسطين « وبصفة أعم » لكل مظهر للهجرة اليهودية الى اية ناحية من نواحى سوريا » • واذ كان فيصل زعيمهم فما وسعه الا اقتفاء أثرهم •

وبعد عشرة اشهر من هذا الحدث لم يكن من مؤتمر السلام المنعقد بـ (سان ريمو) الا ان صادم فى قسوة مطامح العرب مع ابقائه على مطالب اليهود فى الصميم منها • وهكذا آل الامر فى الواقع الى التغاضى عن نصين من النصوص الرئيسية الاربعة التى سطرت مصير الشرق الادنى اثناء الحرب بمزيد من الخلط والتشويش وهما : رسائل (ماك ماهون) الى حسين وتصريح 7 نوفمبر 1918 المشترك بين فرنسا وبريطانيا • فلم يسلم من العطب ويبق قائم الذات سوى الاتفاقية المبرمة بين (سيكس) و (بيكو) المفضية فعلا الى اقتسام العالم العربى بين حكومتى لندن وباريس ، وتصريح بلفور الخاص باقامة وطن يهودى فى فلسطين •

وكان مما قرره مؤتمر السلام ان يتم انجاز ما وعدت به بريطانيا

فى نطاق الوصاية التى اناطها بعهدتها ، ثم صادقت عصبة الامم على ذلك سنة 1922 • وكانت هذه المقررات تجرى وفق ما يامله ويبتغيه الدكتور (ويزمان) ومعظم اساطين الصهيونية الذين اضحت لندن فى نظرهم حاضنة الدولة اليهودية او بالحرى حاميتها الطبيعية ، وانما كانت النوايا الفرنسية المبينة هى التى تقتضى هذه الحماية اكثر مما تستوجبه مطامح العرب •

على ان « مذكرة تشرشل » الراجعة الى سنة 1922 نبهت الى ان ما كانت تعمل من اجله حكومة لندن ليس تحويل فلسطين الى دولة يهودية وانما هو دون ذلك اهمية حيث ينحصر فى انشاء مقر قومى لليهود • بيد ان ما وقع من حيف وعدم تسوية فى المعاملة بين الفريقين بالنظر الى تحقيق مطالب كليهما كان له اثره غداة الحرب اذ اوغر صدور العرب • وما لبثت ان هاجت عاصفة من السخط فى الاوساط العربية المفعمة بالروح القومية ونادى البعض بوجوب استعمال العنف ازاء الجاليات الصهيونية • وقبل ذلك ثارت الجماهير الشعبية على اليهود فى بيت المقدس واراقت الدماء خلال موسم الفصح من سنة 1920 ، وحدثت بعد هذه الحركة انتفاضتان تشبهانها سنتى 1929 و 1936 •

* * *

انتهت فترة الوصاية البريطانية فى جو قاتم من المرارة والعنف وتبادل الاتهامات بين الفريقين • ولم تخل هذه الفترة من اتصالات بين القادة العرب واليهود الذين كانوا يجتمعون تارة بدافع ما يكنونه على السواء من مناهضة الاحتلال البريطانى ، واخرى لاصلاح الحال المتدهورة وتحقيق التعايش بقدر الامكان •

وحددت لنفسها الندوات الصهيونية المنعقدة خلال سنوات 1921 و 1923 و 1929 كعمل اساسى أكيد ان تسعى الى تطمين مخاوف العرب والى التعاون معهم ان امكن • ويذهب (أ• روبين) الى ان المبدا الذى كان الصهيونيون يتوخونه آنذاك هو « أن لا تكون اية قومية سائدة او مسودة • انما ينبغى ان تكون هناك دولة يعيش فى

كنفها اليهود والعرب جنبا لجنب فى صورة قوميتين متساويتين فى الحقوق » ٠ (1)

وقد كتب بن غريون فيما يخصه ما يلى : « لما عينت رئيسا للهيأة التنفيذية بالوكالة اليهودية كان مما ارتأيته ان عملنا الاساسى ان نستحث وننشط الهجرة الى فلسطين ونبذل فى ذلك اقصى جهودنا ، لكنى - على غرار (ويزمان) - لم يسعنى ان اتغاضى عن مشكلة العرب ٠ فقد حاولت الكشف عن طريقة للتوفيق بين الصهيونية من جانب ، والنزعة القومية العربية من جانب آخر واتصلت لهذا الغرض بممثلى سوريا ولبنان ومصر والعربية السعودية ، وكنت من اجل التمهيد لهذه اللقاءات اجريت حديثا مع المندوب السامى البريطانى السير (ارثر وتشوب) المناضل الصميم عن القضية الصهيونية ٠ وقد تواصلت المحاورات اكثر من عامين فى ارض فلسطين والبلاد المجاورة و (جينيف) فى نطاق لجنة فلسطين وسوريا وساد مجالسنا كلها جو من الود لكنها لم تفض الى نتيجة ما » ٠ (2)

ويظهر ان الزعماء الصهيونيين وطنوا انفسهم على ما حصل من اخفاق فى هذا المضمار فلم تعد المبادرات من اجل ايجاد الحل تصدر من جانبهم ٠ على ان المشكلة عندهم ما كانت قط تحوم حول حق لهم يطالبون ان يعترف به ، انما هى منحصرة فى تنظيم حضور طبيعى لا نزاع فيه ٠ فاذا كان الجيران يؤثرون انخرام الامن وعدم الاستقرار فهم الذين اختاروا ذلك لانفسهم وعليهم ان يتحملوا عواقبه الوخيمة٠ ونستشهد هنا بكلمة للاستاذ (وربلوفسكى) من الجامعة العبرية بالقدس حيث يقول : « لم يخطر قط على بال (ويزمان) او زملائه ان يتساءلوا : لماذا يتعين على احد سواهم ان يعترف بحقنا فى بناء مقرنا بارض اسرائيل ، ولماذا يتعين على عرب فلسطين خاصة ان يعتبروا انتهاك حماهم السياسى فى الحاضر او المستقبل امرا ممكن الحصول ؟ » ٠ (3)

---

(1) أ. روبين ، اليهود فى عالم اليوم ، ص 382 ٠
(2) د. بن غريون ، التاليف الأنف الذكر ، ص 18 ٠
(3) العصور الحديثة ، صيف 1967 ، ص 390 ٠

وما ازفت سنة 1933 وافضى الامر الى (هتلر) حتى تفاقمت الهجرة الصهيونية بحكم الوضع وتجاوزت مقاديرها السابقة • فقد كان من اثر الاضطهادات النازية ان تدفق سيل عارم من المهاجرين نحو فلسطين مما استوجب ردود فعل قاسية من جانب العرب • ولنا ان نلمح هنا ان بعض الزعماء المسلمين الذين تجاوبت عواطفهم مع الهتلرية وساندوها بمواقفهم ــ ومن بينهم المفتى الاكبر للقدس ــ قد وقعوا فى تناقض عجيب فليس هناك من ساهم اكثر من زعيم النازيين فى تمهيد السبل وطى المراحل من أجل ايجاد دولة يهودية وتبرير اقامتها من الوجهة الاخلاقية • ولقد كان ابعد من المفتى نظرا واصدق فراسة اتباع (جابوتنسكى) و (ابراهام ستيرن) من زعماء الحركة الصهيونية الذين رأوا فى شخص عدوهم الالد شبه الضمير والعنصر الكيميائى الناجع المفعول فى بلورة اهدافهم وتحقيق ما يصبون اليه•

ولنعد بالحديث الى بن غريون فهو يقول : « فى سنة 1935 قدم الى فلسطين ما يزيد عن 60.000 من المهاجرين اليهود ، وعندئذ ثارت ضجة احتجاج فى صف العرب الذين اخذوا ابتداء من سنة 1936 فى شن غارات تقتيل منظمة ضد المجموعات اليهودية ، وما فتئت هذه الهجومات تتضاعف قسوتها ••• وعند انعقاد مؤتمر لمنظمة (هستادروت) فى سنة 1937 قدمت بيانا شرحت فيه سبب اخفاق الجهود المبذولة من طرفنا للحصول على اتفاق مع العرب • فلم تكن لدينا يومئذ من القوة ما يجعلنا مرغوبا فينا كحلفاء ••• وكان علينا ان نتعود النظر الى الاشياء كما ينظر اليها العرب ، وليس هنالك اى موجب لكى نعلل انفسنا بانهم سوف يشاطروننا وجهة نظرنا باسم بعض المبادىء الغامضة والراجعة الى مفهوم العدل او ما شابهه • ذلك انهم لن يميلوا الى جانبنا الا اذا كان بامكاننا ان نثبت لهم بالحجة القائمة ان ذلك يخدم مصالحهم سياسيا واقتصاديا » • (1)

ولحد ذلك التاريخ كانت جالية اليهود بفلسطين تشملها انظار « الوكالة اليهودية » وهى منظمة غير حكومية مستمدة شرعيتها من الوصاية الانجليزية المفروضة على البلاد• لكن النمو الطبيعى للمنظمة

(1) بن غريون ، التاليف الآنف الذكر ، ص 17 .

الصهيونية كان يتجه الى خلق دولة يهودية على الرغم من الجهود المبذولة من الدولة الوصية للاحتفاظ بشوكتها ، ومن تهديدات القادة العرب الذين يتمسكون فى معارضتهم بالشروط المسطرة بمذكرة تشرشل الراجع تاريخها الى سنة 1922 .

وحين اوشكت الحرب العالمية الثانية على الاندلاع اصدرت بريطانيا « كتابها الابيض » الذى كان ضربة خطيرة على آمال الصهاينة : فقد عمدت فيه الى تحديد عدد اليهود الممكن قبولهم بفلسطين مدة السنين الخمس التالية بـ 75.000 فقط ، ثم تصبح الهجرة اليهودية خاضعة لموافقة القادة من العرب . وهى الوثيقة التى كتب بشانها تشرشل ، وعلى اثره بن غريون : « انها وثيقة شنيعة مزرية » . وكثيرا ما عمد القادة الصهاينة الى المقارنة بين هذا النص الذى عدوه خضوعا واستسلاما لمطالب العرب وبين معاهدة (مونيخ) وقد تقدمته ببضعة اشهر وكانت هى ايضا من صنع (نوفيل تشامبرلين) . وعلى الرغم من الحرب ومن المأساة التى عاشتها الجامعات اليهودية باوروبا ظل ذلك الترتيب قيد العمل والتطبيق طيلة الحرب وفيما بعدها مما اسهم فى تجنيد الفكر العام العالمى لفائدة اليهودية المعذبة والاشادة بالصهيونية حيث ظلت وحدها الاداة الواقية لها من الاستئصال والفناء .

وكان القادة الصهاينة قد شجعتهم الارزاء والمحن المسلطة على بنى ملتهم فعمدوا الى انتهاز الفرصة مستغلين موجة العطف والمؤاساة الثائرة لفائدتهم لا سيما بالولايات المتحدة واذاعوا فى الجماهير بنزل (بلتمور) بنيويورك سنة 1942 برنامجا لانشاء دولة يهودية خالصة تتكفل بفتح ابواب فلسطين دون ايما قيد للهجرة اليهودية وتعمل على استغلال « الاقاليم القاحلة الخالية من السكان » . وبقى عليهم بعد هذا ان يفرضوا وجهة نظرهم فيخضعوا لها المقاومة البريطانية ، واكثر من ذلك ، العداء السافر الذى يبديه نحوهم ممثلو القومية العربية ، وكانت الحرب العالمية الثانية قد الهبت حماسهم ودفعت بهم الى الامام على غرار الاولى .

وليس من الانصاف فى شىء ان نجارى السيد بن غريون فى قوله : « ان الزعماء العرب انضموا الى صف النازيين وراقهم (هتلر)

عندما بان لاعينهم انه اقسى عدو لليهود عرفه التاريخ » • صحيح ان المفتى الاكبر للقدس صارح بولائه لحكومة برلين ، وصحيح ان حكومة موالية للمحور انتصبت ببغداد اثر ثورة رشيد علي ، ولكن لا مراء ايضا فى ان حزب الوفد وهو أقوى الاحزاب العربية قد ركن الى البريطانيين فى غير ما حرج وفرض بذلك وجوده على الملك فاروق كيما يبقى بلاده فى حالة حياد مشبع بالعطف نحو الديموقراطيات •

وعلى الرغم مما لقيه العالم العربى طوال السنين من خداع الفرنسيين والبريطانيين فهو فى مجموعه لم ينقلب عليهم كما حدث ذلك ضد الاتراك فيما بين سنتى 1916 و 1918 • لقد اغتر جانب عظيم من الشباب العربى المتشبع بالنزعة القومية فيما بين دمشق والقاهرة بدعاية المحور ، وحاول بعض الضباط المصريين الالتحاق بـ (رومل) ـ وقد انضم فيما بعد ثلاثة منهم الى حاشية عبد الناصر ـ ، لكن لا سبيل الى القول بانضمام جم غفير من العرب الى جانب الهتليرية ، وهو موقف لو حدث لكان يمهد له بعض العذر ـ ان لم يبرره تماما ـ ما يتلبس به العرب من عداء مشترك بينهم ازاء السلطة البريطانية •

* * *

وبكلمة موجزة نجد بمجرد انتهاء الحرب ان الصهيونية والعروبة قفزتا جنبا لجنب ، لكن لتتكافحا هذه المرة فى غير ما هوادة • وكانت مآسى معسكرات الابادة وثورة الحارة اليهودية بفرسوفيا قد اكسبت الصهيونية مزيدا من فخار ، بينما وجدت العروبة معبرا عنها فى « الجامعة العربية » التى احدثت بمصر خلال شهر مارس من سنة 1945 • ولم تكن وثيقة ميلاد الجامعة اعلانا صريحا للحرب على حركة اليهود بفلسطين ، انما هى تصدت بالخصوص فى نص ملحق بالبراءة التأسيسية الى التذكير بوجود « فلسطين » عربية سيكون لها ممثل قار لدى مجلس المنظمة •

وكان من الواضح فيما يخص العرب ان الاتجاهات المتصلبة المستوحاة من اللجنة العربية العليا بفلسطين التى اسسها مفتى القدس هى التى ستحظى بالفوز والغلبة على سواها ، فقد اعلنت

هذه المؤسسة أن « كل محاولة من طرف اليهود او اية دولة او مجموعة دول لانشاء دولة يهودية بارض عربية هى اعتداء وقهـر سيقـاومان بالقوة باعتبار ذلك دفاعا شرعيا » ٠

على ان عدة شخصيات يهودية بارزة امثال (مارتان بوبر) عميد الكلية العبرية بالقدس و (يهوذا مغنس) لم تكن يوما فى حاجة الى قراءة هذه السطور المحشوة تهديدا لكى تحذر ابنـاء ملتهـا من عدم قبول العرب بحال « مشروع بلتمـور » ٠ فقد كان (مارتان بوبر) خلال سنة 1946 ينحى باللائمة على الزعماء الصهـاينة لبحثهـم عن المساندات الخارجية بدل الاتفاق مع جيرانهم العرب حتى اصبحت من يومئذ ومن جراء ذلك « كل الجهود المبذولة لايجاد جو من التفاهم بين اليهود والعرب محفوفة بالريب » ، ويـذهب الاستاذ (مغنس) الى ابعد من ذلك فيقول : « لن تقوم دولة يهودية ـ ان قدر لها ان توجد ـ الا بالحرب ٠ ان لك ان تخاطب العربى بشأن اى موضوع شئت ، اما عن دولة يهودية فلا » ٠

وكان اساطين الصهيونية قد تجاوزوا مقررات مؤتمر سنة 1929 بشأن احداث دولة مزدوجة القومية منصرفين الى فكرة اقامة دولة عبرية خالصة ٠ ولم يوفق زعماء الحركة القومية من العرب الى اغتنام هذه الفرصة لتبنى ما نبذه منافسوهم ظهريـا من وجهـات نظـرهم الاولى ، واقل من ذلك ، الى التماس مساندة (ستـالين) الرجل الذى كان يلذ له ـ حسب ما يرويه (ماكسيم رود انسون) ـ ان ينتصب « حاميا » لدولة يهودية فلسطينية (1) ، لكنه ما لبث ان اعتنق مبدأ التقسيم تحت اشراف المنظمة الامية ٠ وفى 14 مـاى 1947 تنـاول (اندرى غروميكو) الكلمة على منصة منظمة الامم المتحدة بالنيابة عن الاتحاد السوفياتى فاطنب فى التنويه بمشروع انشاء دولة يهودية ، وهو الخطاب الذى قيل بشأنه « انه التصريح الثانى لبلفور » ٠

واذ ما زالت الوصاية الامية مناطة بالانجليز فهل كان باستطاعتهم ان يحولوا دون اصطدام الرغبات المتعارضة بين الفريقين ؟ لقد كانت منظمتا اليهـود المتطرفتان (ارغـون) و (ستيـرن) تشنان عليهم

(1) العصور الحديثة ، صيف 1967 ، ص 59 ٠

حملاتهما بلا هوادة فى ارض فلسطين نفسها وتعتمدان فى حربهما على الارعاب ، وكانوا الى ذلك هدفا لمطالبات العرب المعززة هى ايضا بالسلاح (من جانب فوزى القاوقجى خاصة) ، هذا الى ما اخذوا يلمسونه من شد الولايات المتحدة ازر الصهاينة ومدهم باعانتها • لذلك اختار القادة البريطانيون ان يدعوا الجو خاليا للفريقين يتكافحان وجها لوجه •

وكانت الامم المتحدة قد صادقت فى 29 نوفمبر 1947 على مخطط لتقسيم فلسطين الى دولتين : احداهما عربية والاخرى يهودية اعتمادا على مشروع انجليزى اعدته لجنة (بيل) لعشر سنين ، فاعتزمت حكومة لندن حدا لما انيط بعهدتها قبل شهر أوت 1948 • واذ لم يمنح الانجليز صوتهم فى الاقتراع على التقسيم فقد رفضوا التفاوض مع منظمة الامم المتحدة ، وكان موقفهم مدعاة لانتشار الفوضى وتعكر الاجواء مما افضى فى النهاية الى قيام الحرب •

هذا وقبل بدء القتال احتدمت بين اليهود والعرب حرب العصابات على اشدها : ففى يوم 30 نوفمبر شن العرب عمليات للارهاب ، وفى شهر مارس 1948 قامت منظمة الـ (هجانة) العسكرية التابعة للوكالة اليهودية بزحف على القدس ، وفيما بين نوفمبر 1947 وماى 1948 شملت القوى الصهيونية برقابتها كامل التراب المخصص من طرف الامم المتحدة لفائدة الدولة العبرية المزمع بعثها ولم تنسحب عن المناطق التى خصصت لاقامة الدولة العربية • ومنذ هذه البوادر الاولى التى فرضت فيها الـ (هجانة) نفسها تجلت كقوة حربية من اول طراز أبدع بن غريون فى اعدادها لمهمتها ، واصبحت مؤيدة انجح تاييد من طرف « القراصنة » اعضاء منظمتى (ستيرن) و (ارغون) •

وكان خوض الجيوش العربية الحرب رسميا فى 15 ماى 1948 وهو يوم ارتحال المندوب السامى البريطانى غداة الاعلان عن دولة اسرائيل • والحق ان المصريين وحدهم هم الذين باشروا القتال ، واضطرت القوات الاسرائيلية اولا الى التقهقر لكنها انتهزت الفرصة اثر هدنة جويلية لتوطيد مراكزها وتلقى الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا فكانت لها الكرة فى شهر سبتمبر ومزقت الجنود المصرية شر ممزق ،

وكان بين المقاتلين المصريين ضابطان يدعى احدهما « محمد نجيب » والآخر « عبد النــاصر » • وكذلك اضطرت مصر الى ابرام اتفــاقية الهدنة بــ (رودس) فى 24 فيفرى 1949 •

كان كل شيء فى هذه المكافحة محفوفا بالغموض ، كما لم يتسن فض شيء عن طريقها • لقد ركنت الدول العربية الى القوة تفاديا من تطبيق مشروع التقسيم ، فهل كان لها ما يخولها التشهير بخــرق اسرائيل اياه ؟ ان من بين هذه الدول من كانت تذعن وان مرغمة لحل المنظمة الامية لكنها تعترض بان التدخل المسلح لقواتها سنة 1948 انما كان للحيلولة دون استحواذ الدولة الاسرائيلية الجديدة على كامل تراب فلسطين • فلقد عمدت هذه الدولة منذ نهاية نوفمبر 1947 الى تطبيق برنامج للاستيلاء على رقعة من الارض تفوق بكثير ما خصص لها في مشــروع التقسيــم ولم تستنكف دومــا فى تنفيــذ خطتهــا الاستراتيجية عن توخى الطرق المألوفة للابادة الجماعية ، وهو ما قامت به فى (ديرياسين) العربية متسببة فى نزوح الجماهير الغفيرة عن اوطانها وتكدس مئات الآلاف من اللاجئين فى المخيمات •

وفى الواقع فان هذه المناقشات تقوم على هامش القضية • ذلك ان وجهة النظر العربية لا ترمى فى جوهرها الى معارضة وجه ما من اوجه السياسة او الاستراتيجية الغربية او التشهير بضروب معينــة من التعسف وخرق النواميس ، انما خطتها هى انكار وجــود اســرائيل بتاتا • والمحن القاسية التى لقيها العــرب سنتى 1948 و 1956 (ثم سنة 1967) ــ بما فى طيها من مهانة ودوس بالغ للكــرامة ــ لم يكن من طبيعتها ان تحدو بهم الى التوفيق بين الواقع وبين التصريحات ، لذلك ظلت الهوة شاسعة بين الاقوال المتفوه بها والافعال التى تعقبها الى حد اصبح معه خطباء القاهرة ودمشق يفضلون الاعتصام بالمبادىء والانضواء تحت لوائها •

* * *

واذا ما تحدث العرب عن فلسطين استعاروا لذلك لهجــة البطلــة « أنتيغون » الى جانب لهجة المفتى الاكبر ، كمــا تشــوب مطــالبهم الواضحة المعقولة فى حد ذاتها ديماغوجية مفعمة بصرخــات البطش والتقتيل • فتركن اسرائيل عندئذ ذودا عن نفسها الى أنات الفتاة

المعذبة (آن فرانك) مطالبة بارض تأوى اليها كيلا تموت ، وتند من خلال ذلك اصوات كل من همهم « اقرار النظام » كما يفهمه الغرب ·

وليس من السداد فى شىء ان ندحض حجج العرب بدعوى انهـا كثيرا ما قدمت فى شكل هستيرى مشفوعة احيانا بدعوات سـافرة الى ابادة الخصم واستئصاله عن آخره ، فبعضهـا حـرية بان يصغى اليها ، وانا مورد منها هنا ما تواتر سماعه عنـدى سـواء فى مكتب جمال عبد الناصر او مخيمات اللاجئين باريحا :

« ان هذه الارض وطن لنـا ، وقد اغتصبت منا قهـرا من طـرف الاستعمار التركى بادىء بدء ، ثم بيد الامبريالية الانجليزية ، واخيرا من طرف وريثتها دولة اسرائيل » · تلك هى الحجة الاولى التى يدلى بها العرب رافضين ما يعتمـده اليهـود فى اقـرار حقهـم على ارض فلسطين من شراء الجـالين منهم للاراضى بغيـة تعميـرها واقـامة المنظمات الصهيونية لنفس الغرض ويعدون ذلك عملية انتزاع مقنعة كان الغرض منها تجريد الريفيين وارباب الضياع السذج من املاكهم· كما يشيحون بوجوههم عن القرار الاممى المنشىء للدولة الاسرائيلية الذى جسمه اقتراع الامم المتحدة 1947 مـدعمين وجهة نظـرهم بان المنظمة الاممية كانت آنذاك اداة طيعة فى ايدى كبريـات الـدول ولم تنتظم بعد فى سلكها الامم المستضعفة · وهكذا فان العرب لا يعيرون اى شان لا للمال المبذول من طرف اسرة « روتشيلد » ولا للاقتراع الدولى الحاصل فى سنة 1947 والمتقدم فى الزمن عن نهضة شعـوب العالم الثالث ، فليس ذلك فى نظرهم بموطد اسسـا شـرعية لكيان دولة يهودية ·

كذلك هم يدحضون اقوى حجة لفائدة اسرائيل واعمقها نفوذا الى احاسيسنا وهى التعذيب المسلط على الشعب اليهودى خلال العهـد النازى : فهم كعرب يعتبرون ذلك جريمة لاوروبا المسيحية هم برآء منها وما كان لهم فيها اى ضلع ، فمن الظلم الصارخ ان تحمل عليهم تبعاتها وان يؤخذوا بجريرتها · واذا كان لليهود الحق فى تعـويض عما لحقهم — وخاصة التعويض المتجسم فى اقـامة دولة لهم — فليس هنالك من موجب لمنحهم بغيتهـم بارض العـرب ، اذ كان على الغرب المسيحى ان يدفع هو الثمن · بيد انه خير ان يـدفعه على حسـاب

العرب ومن حر اموالهم لا فرق فى تصرفه ذاك بينه وبين اللص ، وعليه اذن ارجاع ما اغتصبه ·

ان لهذه الحجة شانها فى نظر ممثلى العرب والمتحدثين اصالة عنهم· فهم يلحون خاصة بشان ما يرويه التاريخ من صلات المسلمين باليهود · ولئن كان تاريخ العلاقات بين اليهودية والنصرانية فى معظمه سلسلة من ضروب العسف والقهر من نفى وتشريد واهانات وتفرقة عنصرية وتعذيب جماعى · فقد اتسمت الصلات بين الاسلام واليهودية ــ لا سيما فى القرون الوسطى ــ بتعاون الفريقين وتناسق النمو الحضارى المشترك بينهما · ويقول العزب بهذا الصدد : عجبا كيف تجعلون من جرائم النازية التى اقترفها الغرب اداة للتفرقة الدائمة بين حضارتين متآخيتين ؟

والعرب فى تحليلهم لما قام به الصهاينة يرونه من باب الاستعمار المحض · فهم يعمدون الى تجريد الصهيونية من مستنداتها الدينية والتاريخية وينكرون عليها استثارتها للعواطف من خلال ما اصيب به اليهود من تقتيل فيما بين سنتى 1940 و 1945 · وانما الصهيونية فى نظرهم مجرد استثمار للارض بواسطة رجال واموال اجنبية عنها · وهم يستخلصون من ذلك ان هذا الاستعمار سيكون قصير الاجل ولن يصمد امام اتجاه عالمنا الى محو كل اثر استعمارى · فاذا ما نقد الناقد وجهة نظرهم هذه وحاول ان يبرز الفارق بين صبغة الوجود اليهودى بفلسطين وبين الاستعمار الفرنسى بالجزائر مثلا عارضوه بان اسرائيل ابرزت للعيان حقيقتها بنوعية ما كان لها من احلاف فلقد « اماطت القناع عن وجهها » بمساهمتها فى حملة السويس سنة 1956 ·

هذه هى القاعدة التى ركز عليها العرب حجتهم ضد الخصوم · فازاء ما اظهره الطرف المقابل من تفوق الاساليب التكنية وجودة الاطارات والتجاوب مع العصر لم يجد العالم العربى من موقف يقفه ولا من سلاح يتخذه لنفسه سوى الرفض البات · واذ لم يستطع ان يردع بالقوة العدوان المرتكز عليه وجود اسرائيل فى نظره لم يبق له سوى جحدها وانكارها كشىء موجود ، كانما هو بنفيه الوجود

عن خصمه يظن ان قد اثبت لنفسه الوجود • والقادة العرب يعلمون حق العلم ان الهدف الذى ترمى اليه اسـرائيل هو السلـم اكثر من الظفر فى ميدان الحرب ، وبما أنه ليس فى استطاعتهم ان يمنعوا عن اسرائيل تفوقها فبوسعهم تاجيل الاعتراف بها • تلك هى استراتيجية « الأرض المحرقة » التى توخوها والتى معناها تعويق السلم •

لقد تحدث بعضهم عن الاتفاقية التى ابرمها فيصل مع (ويزمان) لكنها اصبحت اليوم راجعة الى فترة « ماقبل الحركتين » • ومن يفكر حاليا فى مجابهة فرنسا بمنطوق معاهدة ابرمها (كوندى الاكبر) مع اسبانيا فى غابر الاحقـاب ؟ على ان هنالك محـاولات اخرى وقع القيام بهـا من يومئذ سواء لتنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين او لاقامة تعاون بين الطرفين فى كنف دولة مشتركة • ويروى (1) لنا (ماكسيم رودانسون) ان فريقا من القادة العرب كان على استعداد فى سنة 1936 لقبول مبدا تنظيم للهجرة اليهودية وان حكومة الوصاية اخذت من يومئذ تقيـم العراقيل فى وجههـا على الرغم مما كان يهدد الجاليات الاسرائيلية باوروبا فى تلك الفترة من التاريخ • ولربما كان الاضـراب العـام الذى شنـه متطرفـو العـرب فى صـائفة ذلك العـام ــ وافضى الى ضروب من العنف ــ صادرا عن رغبة منهم فى حسم مادة هذه المفاوضات •

وبعد ثلاث سنوات حدثت اتصالات تمهيدية بمصر شارك فيهـا الدكتور (ويزمان) وعلى ماهر الذى شغل خطة وزيـر قبـل ذلك التاريخ وبعده • ويحدثنا الـرئيس الاول لجمهـورية اسـرائيل فى كتابه « مـولد اسـرائيل » عن الجو « الـودى » الذى تمت فيه هذه الاتصالات ، كما حدثنى عنها على ماهر سنـة 1954 بنفس اللهجـة معبرا عن اسفه لما كان من اخفاق (تيودورهرزل) عندمـا حـاول اقناع اصحابه بوجهة نظره الرامية الى اقامة الدولـة الاسرائيليـة بـ (اوغندا) •

ويذكر (ناتان حوشى) فى كتابه Toward Union in Palestine

(1) العصور الحديثة ، صيف 1967 .

ان اتصالات جديدة حصلت بين العرب والصهاينة سنة 1943 من اجل اعداد مشروع لدولة مزدوجة القومية بسعي مشترك بين الطرفين لكن الوكالة اليهودية رفضت المشروع ، ومنذ السنة الماضية اصبح « مخطط بلتيمور » البراءة الوحيدة المعتمدة لدى الصهاينة ٠

وكانت اعقاب حرب سنة 1948 متيحة لمحاولات ابعد مدى من « هدنة رودس » لفض المشكلة ٠ وقد ظل السيد بن غريون شديد التكتم بشان ما حصل من اتصالات سرية ــ بسعي خاص منه ــ بين عبد الله الملك الاردني من جانب و (غولدا ماير) من جانب آخر ٠ وكان لهذه المحاولة ما نعلمه من نهاية فاجعة على يد غلاة الفلسطينيين باغتيالهم ابن شريف مكة عند باب المسجد الاقصى بالقدس بمحضر ومرأى من حفيده حسين الملك الحالي للاردن ٠

وقد تلقت حكومة تل ابيب ببعض الارتياح نبأ الاطاحة بعرش فاروق على يد ثلة من الضباط الشبان بقيادة البكباشي عبد الناصر ٠ وأكثر من ذلك ان بن غريون عندما تطرق الى هذا الحديث بالبرلمان الاسرائيلي تحدث عنه بلهجة التفاؤل كانما هو يعتقد ان الضباط كانوا معارضين لحملة 1948 ٠

وبالفعل فقد عاشت مصر واسرائيل آنذاك ثلاث سنوات هادئة ، بل ان محادثات اجريت سنة 1953 عن طريق غير مباشرة ترمي الى اعادة اقرار جانب من اللاجئين العرب المقيمين بمصر في نطاق « مخطط جوهنستون » لاستخدام مياه نهر الاردن واحداث منشآت الري بسيناء ولكن معارضة دمشق احبطتها ٠ ثم كان ان تقدم في سنة 1954 نائبان انجليزيان من حزب العمال هما (ريشارد كروسمان) (وموريس اورباخ) للتوسط في مفاهمة بين عبد الناصر (وموشي شاريت) الوزير الاول الاسرائيلي آنئذ الذي تقدم قبل ذلك التاريخ بخمس سنوات بمشروع يسمح بالعودة لمائة الف من اللاجئين الى اسرائيل ومنيت هذه المحاولة كاخواتها بالاخفاق فلم تتجاوز مرحلة النوايا الطيبة المحكوم عليها بالفشل ٠

وحدثت تسربات من الارهابيين العرب في اوائل سنة 1955

فعقبتها عملية رد الفعل والتشفى المفزعة التى قام بها الاسرائيليون بغزة في فيفرى من نفس السنة مما جعل الحرب تكشر عن انيابهـا من جديد. وهنا نتساءل هل كان لا مناص يومئذ من اصطدام جديد ؟ وهل كان من راى عبد الناصر المسك بزمام الحكم بالقاهرة منذ افريل 1954 ان هزيمة 1948 تستوجب الاخذ بالثار كاملا والقضاء المبرم على دولة اسرائيل ؟ لقد استخلصت من الحديث الثالث الذى اجريته مع رئيس الدولة المصرية فى موفى نوفمبر 1955 ان الـرجل اقـرب الى المسالمة منه الى خوض الحرب وان همه توفير الكرامة للعرب وتفادى اسباب اهانتهم اكثر مما هو العمل لهزيمة اسرائيل .

وكان الرئيس عبد الناصر قد استهل المحادثة مؤكدا لى ان ما تلقته مصر اخيرا من الاسلحة التشيكية يجعله « على قـدم المسـاواة فى الوسائل » مع اسرائيل . فهل كان يرى باستطاعته ــ وقد توطـد مركزه نسبيا ــ ان ينتهزها فرصة للتفاوض من اجل حل سلمى ؟ لقد اكد لى يومئذ ان الاقتراحات التى تقدم بها السيد (ايدن) قبل تلك الفترة بقليل والتى تقتضى العـودة الى مشروع الامـم المتحـدة لسنة 1947 تبدو معقولة فى نظره . ثم اردف على الخصوص : « انه ليس بامكاننا ان نتفاوض بصفة مجديـة الا اذا فضت مشكلتان اذ لاتوجد مشكلة الحدود فحسب ، بل هناك مشكلة اللاجئين ايضا . فهؤلاء يجب ان يعترف لهم بالحـق فى العـودة الى ديارهـم او فى التعويض العادل لما نالهم من هضم وحيف .

ــ انهم سيختارون كلهم العودة الى ديارهم .

ــ كلا ، لان معاملة اسرائيل للعرب كمواطنين من الدرجة الثانية لن تشجعهم كلهم على العودة . ان الكثيرين سيفضلون الاستقـرار ببلد عربى اخر فى مقابل تعويض ملائم ...

ــ بكل صراحة ... اليس بالصحيح ان كل العرب يرون وجوب الغاء اسرائيل كدولة ، وان لايترك منها سوى ما يشبه (فاتيكان) يهودى ؟

ــ ابدا ٠٠٠ وفيما يخصنا نحن المصريين نطلب ان لاتهضم هذه الدولة حقوق العرب وان تعترف لهم بها كما يعترف غيرها ٠

ــ حتى ولو كان الثمن لذلك ازهاق السلم فى الشرق الاوسط وسائر العالم ؟

ــ اننا نرغب فى السلام لهذه الرقعة وللعالم ، وانت تعلم ذلك حق العلم ٠ لكن لماذا ينبغى ان تكون الامم الصغيرة دون غيرها هى التى يضحى بها دائما فى سبيل الصالح العام ؟ » ٠

ــ وبعد ذلك بثمانية اشهر تم تاميم « الشركة الدولية لقنال السويس » ٠ ثم كانت ــ بعد احد عشر شهرا من مقابلتى اياه ــ حملة 1956 الثلاثية وهى « المعركة الثانية » ٠ لقد تحدى الزعيم المصرى الغرب بسلوكه فتالبت عليه فرنسا وبريطانيا المسلحة الى جانب اسرائيل وانهزم عبد الناصر فى ساحة الوغى ، لكن تدخلات واشنطن وموسكو انقذته من الكارثة ٠ وباستثناء بعض التنازلات الطفيفة (مما سيبرز اثره بعد احدى عشرة سنة) خرج مرفوع الراس من المغامرة ٠

وليس من غرضنا هنا اعادة النظر فى اطوار حملة 1956 ، لكننا سنستحضر النتائج المنجرة عنها : فهناك تكمن من هذا الجانب ومن الجانب المقابل عناصر النزاع الذى قام فى جوان 1967 وهو ما سميناه « المعركة الثالثة » ومن الميسور الى ذلك ان نلمح عدة اوجه للشبه بين هذه المعركة وسابقتها كانما كانت معركة 1967 صدى فى معظمها لمعركة 1956 ، على ان نحذف طبعا فى هذه الكرة انضمام باريس ولندن الى كفاح دولة اسرائيل ٠

* * *

وها هى « المعركة الثالثة تضع اوزارها ٠ ولكى نقف على ابعادها وندرك الظروف التى انتشبت فيها ونصف مختلف اطوارها ونتدبر نتائجها طلبنا الى ملاحظين شهدا ذلك النزاع المسلح وعادا ــ احدهما من القاهرة والاخر من تل ابيب ــ ان يتبادلا ما عندهما من معلومات ويقارنا ما لديهما من وجهات نظر لاشك انها مختلفة عن بعضها ،

واحيانا متعارضة ، وكثيرا ما تبدو متكاملة حسب اختلاف تجربة كل منهما عن الاخر ٠

ولم نطمح بنظرنا ولا كان همنا تقديم هذا الحوار بين (ايريك رولو) و (جان فرنسيس هلد) فى صورة مكافحة ومناظرة باتم معنى ٠ ولا امتراء ان الاول ــ وهو من افراد هيأة تحرير صحيفة (العالم Le Monde) ــ قد عرف بخبرته بشؤون الشرق الادنى ٠ اما الثانى ــ المنتمى إلى صحيفة «نوفيل او بسرفاتور» ــ فهو «مستطلع» reporter اكثر تنوعا فى اغراضه ومناحيه ٠ فليس غرضنا اجراء مقارعة بالحجج من اجل ابراز حق ما والانتصار له ، انما هو ملتقى لاستجلاء الحقيقة ومعرفتها اكثر فاكثر ٠

ولربما يدلى اخرون بصورة ادق واشمل لاحداث جوان 1967 لكن الذى يعطى عرضنا هذا المقدم فى شكل حوار قيمته ويميزه عن غيره هو ابراز كل من الصورتين المتقابلتين : هذه التى تتمثل بها اسرائيل فى اعين المصريين ، وتلك التى يتقمصها المصريون فى نظر الاسرائيليين ، وهو ما يحيطنا به (جان فرنسيس هلد) (وايريك رولو) ٠

وقد حاولت ان اكون الحكم فى تبادل وجهات النظر ، وقامت (سيمون لاكوتير) « بنقل » لغة التخاطب الى اسلوب لا يهدف الا الى التبسيط ٠ فجاء الشكل ــ فى حسن النية واخلاص القصد ــ وفق المحتوى ٠

جان لاكوتير

عـالمـــان ...

ليس هذا نقاشا بين اسرائيل والعـرب ، وانما هـو مضمـون شهادتين تسجلان • ونحن اذ دعونا فى مستهل جويلية 1967 **ايريك رولو وجان فرنسيس هلد** المبعوثين الخاصين لصحيفتى (لومـوند) و (نـوفيـل اوبسرفـاتـور) Le Monde و Nouvel Observateur الى مصر واسرائيل وجمعنا بينهما حول الميكروفون لم نرم من وراء ذلك الى اجراء « مكافحة وجها لوجه بين القاهرة وتل أبيب » ، فما كان احد من الرجلين ناطقا بلسان احد الطرفين او مناضلا عن احدى الفئتين المختصتين •

وانما اردنا بمحاولتنا الاستماع الى انطباعات صحافيين فرنسيين عاشا اطوار « حرب الستة الايام » بساحاتها ابراز المشكل بعملياته الحربية وتاثيراتها المباشرة وامكانيات التسوية باعتبار وجهتى النظر المتقابلتين ، ولم نتسبب فى بعث تصادم بين الآراء بل نظمنا لقاء بين تيارين من الحقيقة آملين ان ينكشف لهما انهما متكاملان •

* * *

وقبل ان نطرق هذا العرض المزدوج طلبنا الى **رولو وهلد** ان يصفا لنا الجو النفسانى الذى اجريا فى ظله استطلاعيهما كل من جـانبه وان يحدثانا بكامل الدقة عن الظروف التى حفت بهما خلال تأديـة مهمتيهما وكان عليهما ان يخضعا لها فى كل من البلدين طيلة قيام الازمة •

اريك رولو ــ ان عمل الصحافيين بمصر شاق • فمصالح الاعلام يعوزها التنسيق والفعالية وقد ازدادت تعكرا من جراء الازمة لانها لم تكن على أهبة لمجابهة ظروف متحولة الى مأساة ، وثانية لان الحدث

تجاوز طاقتها . فلم يتم للصحافيين الاتصال قط ولو بناطق واحد ماذون عن لسان الحكومة وكان على كل منهم ان ينجز عمله بما لديه من وسائل معتمدا في ذلك من سبقت له بهم معرفة من الشخصيات .

وفرضت الرقابة على الصحافة بصنفيها المحلي والاجنبي يوم اندلاع الحرب في 5 جوان فرفعنا اصواتنا محتجين ، بل تجاوزنا ذلك الى التهديد بشن اضراب عام من طرف ممثلي الصحف . لقد كنا في الواقع اسارى الحكومة المصرية حيث لم تعد الطائرات تنطلق من القاهرة فلم يسعنا والحالة هذه غير الاضراب عن العمل مع البقاء في مراكزنا ، وعندئذ شعرت السلط المسؤولة بالمشكلة . اما الصحافيون الفرنسيون فانهم منحوا امتيازا خاصا فيما اعتقد وهو ان يوجهوا بمقالاتهم دون عرضها على الرقابة . وهكذا فبمجرد رجوع الصلات الهاتفية الى مجراها المعتاد بعد قطعها اول ايام المعركة امكننا الاتصال دون اى عائق بباريس .

جان لاكوتيسر ـ هل ترى لذلك مغزى سياسيا ؟

ا. و. ـ اجل ، فلقد كاشفونا بذلك . وكان يغيظهم ويكدرهم ان يرونا مضربين عن شغلنا بينما ينفرد صحافيو تل أبيب بارسال انبائهم الى الخارج .

وهذه جزئية طريفة في بابها انقلها اليكم : ذلك انى صارحت الموظف المكلف بالاعلام انه من العار ان ينفرد مراسلو الصحف في اسرائيل بابلاغ الانباء الى قرائهم ، وكنت صادقا فيما أقول حيث اعتقد ان لا رقابة هناك . والغريب هو ان الموظف السامي اعتقد صحة مقالي واجابني « حيث لم تكن رقابة باسرائيل ، ونظرا لموقف الجنرال دى غول المتسم بالرصانة سنمنحكم كفرنسيين امتيازا خاصا كي توجهوا تحاريركم دون عرضها على الرقابة » . وتم الامر على هذا المنوال فاستعملنا الحق المخول لنا ، بل تجاوزنا الحد في التمتع به . ولقد اتيح لى ان اوجه الى صحيفتي حتى بما كان يعتبر في القاهرة « اسرارا عسكرية » كوصول العتاد الموجه من طرف الاتحاد السوفياتي . وطبعا دعيت كما دعى بعض رفاقي الى مصلحة الرقابة

مرة او اثنتين ، ولكنهم اقتصروا على ابداء ملاحظات لنا بلهجة وديـة صرف ٠

ج٠ ل ٠ ـ استخلص من هذا ان الصحافة المطبوعة كانت محظوظة بالنسبة الى الصحافة المصورة واجهزة الالتقاط السينمائى والتلفزى التى تذمرت مما اعترضها من عراقيل وقيود فى اداء مهمتها ؟

ا٠ و٠ ـ لقد حصل ذلك فى فترة جد متاخرة عند موفى شهر جوان ـ اى بعد انتشاب الحرب بثلاثة اسابيع ـ حيث عم مصر جـو موبـوء بالخوف من الجوسسة بعد ان بلغ الى علم السكان ان الاسرائيليين لم يدعوا كبيرة ولا صغيرة الا احصوها بما فى ذلك مواقع المطارات ، حتى اخفاها عن الانظار ، وجميع المعدات الحربيـة ٠ ويطوح الخيـال بالشعب فيحمل التبعة فى نقل الانباء وهتك الاسرار على الصحافيين دون احد سواهم ٠٠٠ وابناء القاهرة ما ينفكون غادين رائحين الى قاعات الافلام ، فكل الصحافيين عندهم ابناء عم « جيمس بوند » بطل افلام الجوسسة ، بيد انهم مقنعون ٠

ج٠ ل٠ ـ وفى نفس الوقت كانت لكم معلومات قليلة جـدا عن مجموع العالم وعن وجهات النظر باسرائيل وعما يـدور بالبلـدان الغربية وموسكو من التعاليق حول النزاع المسلح ؟

ا٠ و٠ ـ اجل ، حيث لم تكن تصلنا أية صحيفة من الخـارج ٠ فمنذ بدأت الازمة حجرت الرقابة كل شىء ، وربما اتيح لمن وجدوا فسحة فى وقتهم ان يستمعوا الى الراديو ٠ فلا غرو ان أذهلنى الجو السائد بفرنسا اثر عودتى اليها ، مما لا يتلاءم والحالة التى عشتها بمصر رغم انها مصطبغة بالمأساة ٠ لقد هالنى الانفعـال العـاطفى المضطرم الذى الفيته هنا ٠

ج٠ ل٠ ـ اذن الفيت فى باريس وبمنأى عن موطن المعامع جـوا مشبعا بالحرب لم تألفه فيه ٠ ومارايك انت (جان فرنسيس هلد) ؟

جان فرنسيس هلد ـ ظل الجو باسرائيل الى نهاية الحرب غاية فى الطمأنينة ٠ وامكننى ان الحظ اننا كنا هنالك فى حـالة من هـدوء

الاعصاب مغايرة تماما للحالة التى عليها باريس يومئذ ، فقد اتيح لى ان اتصل هاتفيا برئيس التحرير لصحيفتى فاذهلنى منه ان اسمعه يقول : « كن على حذر انت لا يمكنك ان تتصور الجو الســائد هنا ٠ اننا نتلقى رسائل ذات عنف شديد فى لهجتها ، والاراء متعارضة هنا كل التعارض فى جو عاطفى مكهــرب الخ ٠٠ » ذلك ان الفرنسيين ـ كيفما كانت صلتهم باليهودية ـ كانوا اشــد تحمسا ازاء القضية من الاسرائيليين انفسهم ، مع عنصر انضم الى ذلك لم يكن له من اثر باسرائيل وهو التعصب البالغ اقصاه ضد العرب ٠

لقد كان الاسرائيليون يتسامحون ولا يرون من حرج لو ارسلت بانباء ربما تعتبر فى باريس تحديا لجانبهم ، وكان للمرء ان يناقش اى موضوع فى تل ابيب دون ان تسلط عليه تهمة من هذا الصنف ٠

ج٠ ل٠ ـ وكيف كان الجو الذى كنت تؤدى فيه عملك ؟

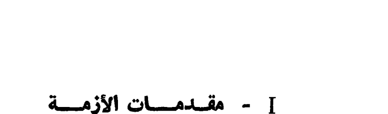
ج٠ غ٠ ه٠ ـ كان كل شىء خاضعا للتنسيق وكنا جد محظوظين من الناحية المادية ٠ وقد تجلت الرقابة بصورة رصينة من قبل ان تندلع الحرب وكانت ناجعة مدققة لكنها ليست بالصارمة الى الحــد الاقصى وعهد بها الى مدنيين من بينهم المحامون ورجال الفكر ٠ اما ما كانت تحذفه من الاخبار فلا يعدو ما يوهم ان اسرائيل هى المعتدية ٠ وقد وجهت شخصيا بعض المقالات التى لم تكن منسجمة مع وجهه النظر الرسمية البتة دون ان القى اية معارضة من طرف المراقبين ٠

كان من المشقة بمكان ان نحصل على معلومــات بشــان الاحداث العسكرية لا سيما بعد نشوب الحرب لما اسلفناه من وجــود ذلك الجهاز المنسق الدواليب والشبيه بآلة « احكم شحمها »٠ وكان الشعار يومئذ هو الصمت والكتمان ، كما كان ذلك التحفظ وما اليه مــن تنفيذ للاوامر الرسمية بشان الدفاع السلبى الخ منتظما فى سلك الخضوع عن طواعية للانظمة والانقياد الحر للتراتيب ، وهى الميــزة البارزة للروح الوطنية لدى ابناء اسرائيل ٠ ولى كثير من الاصدقاء بين الاسرائيليين كنت ارقب منهم جم المعلومات ، لكن الامر امســى غير ممكن ، بل ربما كان يبدو من سوء الادب ان اسألهم عن شىء ما من شؤونهم الخاصة التى لا يحسن افشاؤها للغير ٠

ومن اجل ذلك لم اتجاسر ان القى اى سؤال على صديق لى حميم من بين ضباط هيأة اركان الحرب ، ولو فعلت لكان ذلك اخلالا منى باللياقة · وكان الجيش الاسرائيلى « تساهال » يلتزم تعليمات صارمة بخصوص كتم الاسرار حتى انه لمـا وضعت تحت طلبنــا سيارات وحافلات لحملنا الى مختلف واجهات القتال عيل فى النهاية صبرنــا حيث اخذوا يذهبون بنا الى حيث كانت زيارتنا مرغوبـا فيها مــن طرفهم ولا شك انه راجت بعض الخرافات المشيرة الى حصول غارات من طرف العرب وقع صدها من جانب الاسرائيليين ، لكن كان لاى منا ان يستاجر سيارة ويذهب الى الواجهة عن غير خطة مقررة سلفا ودون اية رقابة مفروضة · وقد تعرض بعض زمـلائى للخطر حيث عمدوا الى التجوال وسط تشكيلات من الجنـد وهى فى سيـرها الى القتال ، ومن حسن الحظ بل من الخوارق ان لم تصبهـم الالغـام او طلقات المدافع او فلول الجند العربى ·

٥١ و٠ ــ بودى ان اردف هنا اننا كثيرا ما غبطناكم ايـام القتال · فلم يكن بوسعنا مبارحة القاهرة التى اقيمت فيها السدود بكل مكان من يوم نشوب الحرب ، ولم يكن تحت طلبنا سوى خط واحد للهاتف لايمكن استخدامه فى غير ساعات العمل بالدواوين اذ يفتح لنا صباحا على العاشرة والنصف ويغلق على الثالثة عشرة والنصف،ثم يعاد فتحه على السابعة عشرة والنصف ليتمادى العمل بـه الى التاسعة عشرة والنصف ، ولم يصدر من الوزير الامر بفتح الخط ليلا نهارا الا بعد السعى والالحاح لديه من طرف الصحافيين الفرنسيين الذين اوضحوا له انه ليس بالمكن اثناء حرب مهددة للسلـم العـالمية ان يقيل ·· الموظفون المصريون ويخلدوا الى الراحة · فمن اول وهلة جـال فى خلدنا ونحن بالقاهرة ان اسرائيل كسبت حرب الاعلام والدعاية قبل انتصارها فى ساحة القتال اذ سيذهب الظن بالراى العام العالمى ــ الى امد ما على الاقل ــ ان المصريين هم الذين ابتدؤوا بالهجـوم · وهو ما حصل بالضبط عندما عمدت القاهرة الى قطع الاسـلاك الهـاتفية لمنعنا من توجيه رسائلنا ···





I - مقـدمـــات الأزمـــة



ج· ل· ــ بعد ان شخصنا الجو النفسانى وظروف العمل بكل من البلدين سنحاول الآن تشخيص الازمة فى مجموعها كما يراها الرائى من الجانب المصرى ·

فلمدة عشر سنوات ــ من آخر 1956 إلى آخر 1966 ــ كان يبــدو أن مصر « نسيت » قضيــة فلسطين · ذلك هو الانطبــاع الســائد بالخارج ، فهل كان القادم على القاهرة فى ربيع 1967 يجد ما يؤيــد هذه المخيلة ؟

ا· و· ــ أجل ، بل اذهب الى ابعد من هذا : لقد جعل عبد الناصر قضية فلسطين بالمحل الثانى من مشاغله · وعلينا الان ان نعود الى بدء الثورة بمصر سنة 1952 · كان الانقلاب من صنع ثلة من الضباط المنتمين الى القومية الذين يحدوهم الى العمل بغضهم للمحتل خاصة ، فهدفهم الاول هو تحرير مصر من الهيمنة البريطانية · ومــا كانت مناهضتهم للملكية بصفة مطلقة شاملة ، انما هم ناقمون على فاروق باعتباره مؤيدا للانجليز · وكان اتجاههم الاصلاحــى فى المجــال الاجتماعى خاضعا لمناهضتهم للاقطاعيين ــ ومن بينهم الملك فاروق ــ باعتبارهم عملاء البريطانيين لا اكثر ولا اقل ، وحتى هزيمــة 1948 بفلسطين لم تثر فى انفسهم تلك البغضاء العارمة والاحقاد المتاججــة المزعومة · وكان عبد الناصر يعجب بخطة دعاة القومية من اليهود فى مقاومتهم للانجليز حتى انه عندما اتصل ببعض الضباط الاسرائيليين

بعد هزيمة 1948 كانت اول اسئلته اليهم لا صلة لها بتاتا بقضية فلسطين ، انما سالهم : كيف نسقوا جهودهم ودبروا خطتهم لطرد الانجليز من الارض المقدسة .

كان هدفه الاول مقاومة النفوذ الاجنبى بوطنه ومناهضة كل من كانوا فى نظره عملاء للاجانب بالعالم العربى ، فتفرغ فى السنين الاولى من استلامه الحكم لفض مشاكل بلاده فى الداخل . لكن الغارة العملاقة التى نظمها بن غريون وسلطها على غزة شكلت منعرجا حاسما إذ قتل أثناءها أربعون من المصريين ، ولأول مرة تثير مشكلة فلسطين مزيد الاهتمام من طرفه . على انه فى هذه البادرة ايضا لم يتجه بانظاره الى الملابسات المحلية للمعضلة ، فقد كانت الغارة الاسرائيلية فى نظره صورة من ضغط لندن عليه لحمله على الدخول فى « حلف بغداد » وعندئذ اخذ يبحث له عن حلفاء خارج المعسكر الغربى .

وفى افريل من سنة 1955 قصد (باندونغ) . وعلى الرغم من الجو الثائر الذى عقب غارة اسرائيل فى شهر فيفرى لم يبد اية رغبة فى الحرب ، انما اقترع على قرار فى المطالبة بحل سلمى للمشكلة الفلسطينية فى نطاق منظمة الامم المتحدة . بل انه ذهب فى سنتى 1954 و 1956 الى ما ابعد : فاتصل سريا عن طريق الوسطاء بمبعوثين من طرف الحكومة الاسرائيلية بغية ايجاد حل مؤقت للمشاكل القائمة . كما لم تشكل حادثة 1956 بقنال السويس فى نظره نزاعا محليا ، فكان هذا الحدث عنده من حيث اسبابه ونتائجه السياسية والعسكرية لا يعدو اشتباكا امميا انضم فيه الفرنسيون والبريطانيون الى جانب الاسرائيليين . وحتى بعد هزيمة جيشه سنة 1956 لم يبد انه حاول الاخذ بالثار ، انما كان هدفه الاول هو وحدة العالم العربى .

وفى فترة اتحاد مصر مع سوريا لم يكن على اتفاق مع قادة دمشق بشان الموقف ازاء اسرائيل ، وقد ذاع الخبر عما احتدم آنئذ من نقاش وسط مجلس الوزراء اذ كان عبد الناصر يناهض اية مبادرة من شانها ان تفضى الى اثارة احداث وقلاقل على الحدود . وهذا الموقف

المعلوم للرئيس المصرى جعله موضوع تشهير الزعيم الاشتراكى السورى اكرم الحورانى الذى وصمه بممالأة الصهاينه والامريكيين ، حتى اذا انفصلت سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة انصرف عبد الناصر الى الشؤون الاقتصادية والسياسية ٠

وفى نهاية سنة 1962 اندفع فى القضية اليمنية ٠ ولم يعد الهدف هنا هو تحقيق الوحدة بل مقاومة الرجعية العربية اولا ٠ وكان يكافح على واجهات متعددة لقى فيها شديد المعارضة ـ وفى نفس الوقت ـ من النظم التقدمية العربية (سوريا والعراق) ومن الحكومات الرجعية التى تتهمه جميعها على السواء بمجاملة اسرائيل وعدم التعرض لها بسوء ٠ وانتهزت كافة الدول العربية الفرصة لتطلب اليه التدخل لصد الاسرائيليين عن انجاز مشروعهم لتحويل مياه الاردن ، كما طالبته بصرف القوات الاممية المرابطة (بشرم الشيخ) وتحجير (مضيق تيران) على السفن الاسرائيلية وهكذا حصل التحول الفجائى للقضية الفلسطينية فى حدود خريف سنة 1963 ٠

وتمت لى معه مقابلة فى صائفة نفس السنة توجهت اليه خلالها بعدة اسئلة حول مشكلة فلسطين فقال لى يومئذ : « لااريد الحرب مع اسرائيل ، ولا السلم ايضا لانها غير ممكنة » ٠ واذ سالته عن نظرته الى المستقبل رفع بيديه الى الفضاء قائلا : « إن كانت لديك كلمة سحرية فهاتها » وكان يبدو عليه اثر جلى للحيرة التى لا تدع مجالا للريب فى صدق لهجته ٠

وفى 23 ديسمبر 1963 القى خطابا ضافيا ببور سعيد هتفت خلاله الجماهير الصاخبة باسم فلسطين تردده وكان قد امسك حتى تلك اللحظة عن التعرض للمشكلة ، فغضب من فوره وصرح على عيون الاشهاد : « انه لحسن وطبيعى ان نفكر بشان فلسطين ، لكن علينا ان لا نعمد الى حل معضلتها فى جو من الغوغائية والمهاترة وعدم المسؤولية كما وقع سنة 1948 » ٠

ووقف موقفا صارما ضد الحرب ، وكثيرا ما انحى باللائمة على التنطع الكلامى والمزايدات الطائشة العقيمة الجدوى ٠ فهو يصرح فى خطبه : « ليس بامكانى ان اخوض الحرب ، وانا اصارحكم بذلك

ولا ارى من حرج فى الاعتراف به علنا لان خوض الحرب اذا ما فقدت وسائلها انما هو القاء بالوطن فى الهوة وقود الامة الى الكارثة ». وقد اقترحت الحكومة من اجل ذلك دعوة كافة رؤساء الدول العربية لدرس المشكلة من مختلف وجوهها ، وهكذا اجتمعت اول ندوة « القمة العربية » افتتح بها عبد الناصر عهدا للتعايش السلمى بين البلاد العربية ·

وكانت غايته الاولى هى احباط الدعاية التى يشنها عليه الخصوم والتى تحرجه وتعوقه · ففى نفس خطاب بور سعيد الانف الذكر ينبه الى ان محاضر الاجتماعات سيقع نشرها عند الاقتضاء حتى لايتسنى لاحد ان يكون له قولان متعارضان : احدهما متزن فى المجامع الخاصة والآخر غوغائى فى الجماهير · وفى نفس الوقت كتب هيكل ـ صديقه ومستودع اسراره ـ يقول فى صحيفة « الاهرام » اليومية : ان من الهزل الدعوة لحرب اسرائيل · أليس ذلك معناه محاربة الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى حليفتى الدولة اليهودية ؟ كما كتب فى نفس الفترة احسان عبد القدوس بمجلة « روز اليوسف» ما فحواه : انهم يدفعوننا الى الحرب لا لغرض الاطاحة بدولة اسرائيل كما يقولون ، بل بنية تقويض الحكم الناصرى ·

وفى اول منتدى عربى « للقمة » يقترح كرد فعل عن مشاريع الرى الاسرائيلية تحويل روافد الاردن ويعارض ما طلبته سوريا من تدخل عربى مسلح ، وبذلك يحقق هدفين : اولا وضع حد لتوتر العلاقات بين الدول العربية مع القضاء على الاستفزازات والمزايدات اللفظية الدافعة به الى حرب اسرائيل ، ثانيا ادراجه فى البلاغ النهائى الفقرة التالية : « وهم (اى رؤساء الدول العربية المجتمعون فى الندوة) يعلنون ايمانهم الراسخ بامكانية فض جميع المشاكل الاممية بالطرق السلمية وفقا لبراءة الامم المتحدة » · على ان ذلك التعايش السلمى المبتغى لم يطل امده اذ كانت النوايا الحسنة من جانب واحد فيما بدا له · وفى 23 جويلية اعلن انه سوف لن يحضر فى المستقبل « ندوات القمة » للدول العربية ·

والى ذلك لم يسهم الرئيس المصرى فى الحملات الدعائية ضد اسرائيل وفضل العودة الى بعث فكرة توحيد العرب مع تركيزها هذه

المرة على اقرار الاشتراكية٠وعمد خصومه من الرجعيين الى رد هجماته بالنفخ فى ابواق الدعوة الى مقاومة اسرائيل،وانحنى عليه الملك فيصل باللائمة على غرار غيره من رؤساء الدول العربية ــ لابقائه جنود المنظمة الاممية بشرم الشيخ ٠ ذلك ما كانت عليه المواقف المتقابلة فى مستهل سنة 1967 ٠

ج٠ ل٠ ــ (مخاطبا جان فرنسيس هلد) اما كان يسود اسرائيل جو من الطمانينة فى مبتدا ربيع 1967 والدولة العبرية بصدد تناسى توترها القار مع العرب نتيجة لما وصفه (ايريك رولو) من المشاحنات فى جانب الخصوم او بسبب ما اوثقته من اواصر وطيدة مع الغرب ، وخاصة مع « الدول الست » الاوروبية ؟ اما كانت تعتقد انها امنت مستقبلها ؟

ج٠ ف٠ هـ٠ ــ اعتقد انه كانت تسود اسرائيل قبل الازمة التى جدت فى ماى حالة من القلق النسبى لم تعهدها منذ زمن مديد ٠ لقد كان عبد الناصر فيما قبل تلك الفترة منصرفا الى العالم العربى : كان شغله شاغل اليمن وعدن واقطاعيو الجنوب العربى ومنتهزو خيرات النفط ، فلم يشعر الاسرائيليون عندئذ بخطر ملح يهددهم من جانب مصر ٠ لاشك انهم كانوا فى عرف القانون بحالة حرب معها حيث لم تبرم اية معاهدة للسلم بعد سنة 1956 ، لكن بواخرهم ظلت غادية رائحة فى مضيق تيران وسلامة حدودهم الاسرائيلية المصرية مضمونة من المنظمة الاممية ، فكان المظنون ان ليس ثمت خطر يهدد السلم ٠

ولم تكن الحالة كذلك مع سوريا ٠ فغارات تشكيلات الفدائيين متوالية حيث يتسربون فى التراب الاسرائيلى الى مدى له خطره باثين الالغام التى تبيد انفجاراتها السيارات بمن فيها، وهى حالة غير محتملة من جرا ء فقدان الامن وان قل عدد الضحايا ٠ وغض الطرف عن هذه الحالة معناه الرضى لاسرائيل بالوهن والغصب وضعف الجانب بما ينجم عنها من النتائج السياسية بـ « رقعة الشرق الاوسط » الشبيهة بـ « منضدة البوكر » ٠٠٠ ولذلك كان ليفى اشكول يردد كلمته المأثورة : « الرقيم منشور واليد تسجل » ٠ فكان

الاسرائيليون يردون الفعل بحزم وصرامة ازاء سوريا ولم يبد من جانبهم اى تسامح بشان الغارات الفدائية المتوالية ، وظل النظر جاريا بصدد اعداد الردع وتقدير مداه ·

ج· ل· ـ ممكن اذن ان نلخص الوضعية بقولنا : انه شبه التحول فى عقلية الاسرائيليين فصاروا يعتبرون الخطر المهدد لهم شمالى المصدر اكثر مما هو جنوبى ·

ج· ف· هـ· ـ أجل ، كان المتوقع باسرائيل انه ما دامت المعركة محدودة فى رقعتها فلن ياتى الخطر من جانب مصر وانه ليس من غرض عبد الناصر ان يشن فى القريب هجومه وهكذا انتقلت اخطار الحرب الى الشمال·وباعتبار ذلك بدت المواقف الرسمية الاسرائيلية ـ كموقف اشكول ـ ذات اثر بالغ لامجرد الاعيب ، بما اكتسته من جدية وحزم لايدعان مجالا للريب · فالقلق والامتعاض يتفاقمان والملابسات الدولية تزيد الحالة تازما ، مع الاحتفاظ بهدوء الاعصاب ان صح التعبير · واتجه النظر اولا الى حشد القوى المسلحة لشن حملة تستهدف اسقاط حكومة دمشق المؤيدة للفدائيين ، لكن الخطة كانت من باب التهديد المقيد بشروط · فقد انكر الاسرائيليون حشد القوى على حدودهم عندما كوشفوا بذلك وطلبوا الى سفير الاتحاد السوفياتى ان يذهب الى هنالك فيحتق بنفسه عدم وجود فيالق متأهبة للزحف · وأبى السفير الروسى الاستجابة لهذه الرغبة فاثار غضب الراى العام الاسرائيلى ·

كانت اذن تتجلى فى المعسكر الاسرائيلى ظاهرتان : من جانب هدوء وطمأنينة شاملة لدى السكان ، ومن جانب آخر عزيمة راسخة مصممة على القيام بعمل ايجابى وعدم الرضوخ لما يعتبر تحديات متكررة من طرف الخصوم · لقد كان الموطنون الاسرائيليون ـ كممثليهم السياسيين ـ يتمتعون ببرودة اعصاب وطيدة ، وان نفد صبرهم فى نفس الوقت ·

الحــرب النفســانيــة

ج٠ ل٠ ـ اما لاحظتم « نفادالصبر » باســرائيل قبل نشــوب القتال ؟ وهل احسستم ما يشعركم بقرب عمل ايجابــى ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ أجل، وكان ذلك اثر غلق خليج العقبة : لحظناه جليا لكن في غير ما اهتزاز عصبي ولاخطب متسمة بالبغضاء ولا مظاهرات عدائية ولا ما يشعر بالخوف والجزع ولا ما يشتم منه فزع جماعــي ٠ لم يكن هنالك سوى عزم راسخ متزايد على عدم الرضوخ والاستسلام امام الموجة الصاعدة من التحديات المتمثلة في هجمــات عصابــات « الفتح » وغلق مضيق تيران وحشد الجنود المصرية بصحراء سيناء ٠ وكان اجتماع هذه الاحداث الثلاثة وتظافرها يشكل عندهم حالــة منذرة بالحــرب ٠

كذلك يجدر عدم التهــاون بالحمــلات المشهرة من طرف « صــوت العرب » ومهاترات الشقيرى الكلامية التى كان لها اثــرهــا البعيد فى استفزاز الاسرائيليين ٠ حقــا إنهم كثيرا مــا حدثونا عن تلاعب العرب بالالفاظ وعدم جديتهم ، لكن كل لفظة منطوق بها تؤول لدى الراى العــام كبرنامج مسطر سيقع انجازه بحذافيره ٠

وفيما قبل الازمة وبعدها كان الاسرائيليون يتلقون صحف العالم باسره ويطلعون على كل ما يقع بدنيا العــرب ويؤولونه على مناهجهم دون ان يسهم ذلك فى تنشيطهم وبعثهم على التفاؤل والارتيــاح ٠ أجل ، كان الامر يتطلب الغوص الى ضمير عبد الناصر للكشف عن حقيقة نواياه الطيبة ، وانا اسلم بان الاسرائليين لم يبلغوا هذا الحد فى الاستقصاء ، انما عكفوا على تعداد مالا حصر له من التهجمــات المصوبة نحوهم واذ استثنينا بضع فترات هدأت فيها الحال ٠ نجــد

ان هذه المظاهر لم تنقطع يوما ٠ ولست بمسهب هنا بشان ما كانت توعد به اسرائيل من ويل يترقبها اذا ما ازفت الساعة الحاسمة ، الا انه لا امتراء ان ارادة ابادتها كانت تتجلى واضحة ٠ بيد أن المسألة كانت — على افتراض احسن الوجوه — موكولة الى الظروف ٠

ولربما استلزم جمع كل ما وجه من تهديدات كتابية وخطابية عدة مجلدات ، غير اننا سنستعرض الآن بعضها ٠ ولنعد الى اذاعة القاهرة : ففى الساعة الرابعة عشرة من يوم 25 ماي — اى فى القمة من الازمة — كان بمقدور الاسرائيليين ان يسمعوا على اجهزة (الترانزيستور) ان « الامة العربية مصممة فى عزمها على محو اسرائيل من الخريطة واعادة الكرامة الى فلسطين العربية » ٠ وفى 30 ماى — اى بعد بضعة ايام — بينما كنا نتساءل اى الطرفين ستنهار اعصابه قبل الآخر كانت اذاعة القاهرة تتكهن على الساعة العشرين : « لم يبق امام اسرائيل بعد غلق خليج العقبة سوى امكانيتين كل منهما مخضب بدمها : فاما ان تموت مختنقة وقد طوقها العرب بحصارهم العسكرى والاقتصادى واما ان تباد بنيران قوى العرب المحدقة جنوبا وشمالا وشرقا » ، (النصان منقولان عن الاسرائيليين انفسهم) ٠ وهذه اللهجة معتدلة نسبيا بازاء ما كانت تنادى به الاذاعة السورية من دعوات الى القتل ٠

اما عبد الناصر فقد تفوه حرفيا يوم 26 ماى بما يلى : « ان الامة العربية ستجاهد من اجل استرجاع حقوق شعب فلسطين المغتصبة ٠ ولقد أثار الكثيرون الريب طيلة سنين عدة حول مقاصدنا ، الا انه اذا كان من السهل القاء الكلام على عواهنه فان العمل عسير ، وعسير جدا ٠٠٠ وها اننا ترقبنا اليوم الملائم الذى نكون اعددنا فيه عدتنا ٠ فلو نلتحم فى المعركة مع اسرائيل فاننا سنتخذ التدابير الصارمة ونحن على يقين من احراز النصر ٠٠٠ ولقد شعرنا اخيرا ان قواتنا اصبحت كافية واننا ان شهرنا الحرب على اسرائيل فسوف يتاح لنا النصر باذن الله ونحقق اهدافنا لاريب فيها ٠٠٠ » وسواء أكانت كلمة الزعيم المصرى منبعثة من الصميم او صادرة عن الشفتين فقط ، فلا مفر من ان تدعو الاسرائيليين الى مزيد الحذر ٠

ج. ل. ـ لى استفسار جزئى : يستعمل « صوت العرب » والشقيرى العربية اداة تعبير لهما ، فهل توافر اليوم باسرائيل عدد مستمعى الاذاعات العربية ؟

ج. ف. هـ. ـ لاشك ان جانبا عظيما من الاسرائيليين يفقهون العربية لاسيما ابناء الشرق الاوسط والمغرب ، وكثير من فرقة (الصابرة) عاشروا العرب . والى ذلك كانت الاذاعة الاسرائيلية تقدم النصوص العربية منقولة الى العبرية دون ان تلطف من لهجتها بالطبع . وبالتالى هنا لك اذاعات للعرب بالعبرية تتناول كل مستمع اسرائيلى بالتهديد والابادة فى شخصه وفى مجموعته القومية . ولئن سلمنا ان العرب تحف بهم فى مهاتراتهم اللفظية هذه بعض ظروف التخفيف ، فهل يؤاخذ الاسرائيليون ان هم صدقوا فحواها وحملوها محمل الجد وهم الذين ما انفكت تطالعهم دعاية مرهقة مثيرة للاعصاب ؟

ج. ل. ـ ان (جان فرنسيس هلد) يطرح هنا مشكلة فى الصميم من نقاشنا هى الحرب النفسانية التى تقدمت القتال بقليل وعقبته ايضا ، وهى بالضبط المشكلة التى يثيرها فى نفوسنا « صوت العرب » بالقاهرة واحمد الشقيرى . فما الذى يراه (ايريك رولو) بشان الدور الذى لعبه الشقيرى فى اثارة الازمة ، وكيف نتصور ان يحتفظ مثله بذلك النفوذ الشاسع فى العالم العربى ؟ ثم أنى لمتطرف على شاكلته ان يحظى بمساندة رجل دولة كعبد الناصر ؟

ا. ر. ـ اعتقد ان الدعاية العربية المشطة لعبت دورا كله شؤم فى تطور الازمة . على ان لى رايى الخاص بهذا الصدد ، فانا لا اوافق ان المبالغات والتحديات الكلامية كانت هى الباعثة للازمة بالشرق الاوسط . ان للسياسة الدولية عوامل اهم بكثير قد لعبت دورها .

ج. ف. هـ. ـ انا لم اقل : ان الدعاية اثارت الازمة ، انما اشرت الى ما كان لها من رد فعل فى الراى العام . فعنف اللهجة له مفعوله البالغ فى ارهاف حساسية المستمعين وجرح ضمائرهم .

ا• و• ـ علينا ان لاننسى ان هذه الدعاية لم تكن بالشيء الجديد وانها ما انفكت تحتد تارة وتهجع اخرى من يوم انشاء دولة اسرائيل • ربما كانت عملا اضافيا فى زيادة الحنق والسخط ، ولكنها ليست السبب الى الحرب •

ج• ف• ه• ـ انا اعلم الناس بهذه التعلة التى يبرر بها الواقع : « طال على الامر الامد » • فالعصابات الفدائية تنهمك منذ زمن فى بث الالغام الفتاكة بالسيارات والحافلات المقلة لاطفال المدارس ، ولقد طال العهد على ذلك فكان على الناس ان يعتادوه وكانما هو المرض الذى لقحوا من آفاته • وكان بالاضافة الى هذا توعد اليهود باغتصاب نسائهم وتهشيم رؤوس ابنائهم وتمزيقهم اربا اربا واضرام النار فى ارضهم واراقة دمائهم •

ولست بالقائل ـ ولا احد باسرائيل ايضا ـ ان تكرار مثل هذه التوعدات والافعال من شانه ان يخفف وقعها • بل الامر على العكس • فقد يوطن الانسان نفسه طويلا على سماع واحتمال ما يكره ، ثم ياتى يوم يغلى فيه المرجل وينفجر • هـذا فيما يمس الـراى العـام الجماهيرى مـع ارتجاع ذلك حتى القمة • واحقق لكم انه لاقبل لأى باحتمال واطاقة التمادى فى البغضاء والعداوة المتجليتين مـن عنف اللهجة (مما قد يكون ذائعا ومالوفا فى اللسان العربى لكن ينكـره اناس كالاسرائيليين الذين ارادوا لانفسهم ثقافة شديـدة التاثـر باوضاع الغربيين) • ولقد تنجر عن ذلك الجو المتأزم المكفهر ضروب من الامراض العصبية المتفشية فتكتسح الشعب ، ويتولـد شعـور بالضغط النفسانـى الوبيل ، وتنشأ عقلية مصابة بوسواس قـد يكون اشبه بالام الحـرب فى فظاعتها وشدتهـا •

ج• ل• ـ حقا ان بعض الكلمات قد تعتبر نماذج رائعة من البلاغة ان هى قيلت فى فترات الهدوء والطمانينة ، اما اذا توترت الحالـة وامست الاحداث مستجيبة لما يقال فـربما تكتسب ابعـادا فاجعـة مفضية الى المأساة •

ا• و• ـ انا اقركم على ذلك ، كما انى افهم حـق الفهم ما خامـر

اذهان الاسرائيليين حينما اغلق مضيق تيـران واصبحت الجـنود المصرية تحتشد متراصة على حدودهم • بيد ان المسؤولين على علـم تام من حقيقة الشقيرى و « صـوت العـرب » • فلقد كان واضحا لدى الخاص والعام ان الشقيرى مرتاب فى نزاهته ومحتقر من قدامى مواطنيه الفلسطينيين الذين يعدونه سياسيا محترفا لا ضمير لـه ولا مبدأ بتاتا • وقد توخى طيلة حياته السيـاسية المـديدة طرقـا مـزرية بالكرامة ومنافية لحسن السمعة والاستقامـة ، فخـدم اولا ركاب العربية السعودية اشد البلدان العربية رجعية ، ثـم تحول الى مصر الناصرية • والمصريون انفسهم لا يحملونـه على الجـد او يأبهون به بل ان الكثير منهم يزدريه بالغ الازدراء • وكانت له قبيل الحـرب بايام تصريحـات فى عمـان جـاء فيها انـه تتعين ابـادة الاسرائيليين عن آخرهم فحذفت من طرف الرقابة بمصر ، ويحتمل انه اجبر على تكذيب ما قاله بطلب من الحكومة المصرية • ومع ذلك فلا امتراء أن عبد الناصر هو نفسه الذى فرضه لا على الفلسطينيين فحسب ، بل على سائر العرب الذين اصبح معظمهم يشهر به باعتباره دون مستوى الاضطلاع بالمسؤولية المنوطة بعهدته •••

ج• ف• ه• ـ ••• والاسرائيليون أيضا • !

أ• و• ـ ومن يوم أن سمي الشقيرى على رأس (حركة التحرير الفلسطينية) ما انفكت الحكومة السورية ـ وهى الحليفة الأولى لمصر ـ تحتج على ذلك فكيف نتصور أن يفرضه عبد النـاصر على العـالم العربى ؟ ، أنا طالما حاولت أن أجد جوابا شافيا عن هذا السؤال ، لكنى لم أظفر لحد الآن بما يقنعني، يقولون : إن الرئيس المصرى كان فى حاجة الى رجل يمكنه الهيمنة المطلقة عليه ، أى شبه مرتـزق له مقدرة على تسيير الجماهير ، ولسوء بخته لم يقتصر الشقيـرى على دوره ذلك بل تجاوزه الى اتخاذ مبادرات شخصية جعلت القاهرة فى حرج من أمرها •

ج• ل• ـ كذلك كان يروق لـ (ستالين) أن يضع أزمة القيادة بايدي المتوسطين المغمورين بدل ذوى الشـان والنفـوذ الشخصى من الثوريين حيث كان الاولون طوع اشارتـه ، وبامكانـه الى ذلك التبرؤ مما يصدر منهم عن اذنه او بامر منه •

ا• ر• ــ فيما يخص الشقيرى فان السلط المنوطة به جد محدودة فى الواقع وقد عمد عبد الناصر منذ ابتداء الازمة الى تجريده من قيادة الوحدات المسلحة الفلسطينية فاناطها بعهدة ضباط مصريين يتفردون بقيادتها • على ان هذه الوحدات مافتئت تسيرها الاطارات المصرية من يوم ان وقع تشكيلها، وقيل لنا غداة المعركة : ان الشقيرى اصبح غير مرغوب فيه •••

ج• ف• ه• ــ اما كان هذا بعد فوات الوقت ؟

ا• ر• ــ اليكم حكاية توضح لكم شخصية الرجل : كنت فى شهر نوفمبر من السنة الماضية بالقاهرة فوجه الى بطالبين فلسطينيين ملتمسا منى وزميل لى ذى اتجاه يسارى ان نتلقى عنه حديثا للصحافة interview • واستجبنا لرغبته ، فاستهل كلامه باطراء مسهب مفخم للجنرال (دى غول) فقلت له ضاحكا : «ان حديثك قد لا يروق لزميلى لانه من احزاب المعارضة بفرنسا•••» فما انذهل لذلك بل اندفع من فوره فى حملة عنيفة على (دى غول) يصوره بصورة امبريالى شنيع • ثم وجه لكلينا الخطاب وقد انتشرت على وجهه ابتسامة عريضة قائلا : « ارجو الآن ان اكون قد ارضيت كلا منكما » • وهكذا بلغ عبث الرجل هذا الحد حتى بنفسه حيث لا ياخذها ماخذ الجد مطلقا • والقادة الاسرائيليون يعلمون ذلك حق العلم ، وما اظنهم ارتاعوا لما كان من ابراقه وارعاده قبيل نشوب القتال فى شهر جوان اكثر مما يجب •

ج• ل• ــ ان كانت تلك المداراة من عبد الناصر للشقيرى مما يوجبه الدهاء والحنكة السياسية ، فليس الامر كذلك بالنسبة الى « صوت العرب » • وانه لمن العجب ان تفسح حكومة القاهرة المجال لدعايات وخيمة نحسة العواقب على مكانة مصر بين الامم عند اقل تقدير •

ا• ر• ــ نعم ، انها هفوة خطيرة ومما قد يفضى الى المأساة ارتكبها عبد الناصر • والقادة المصريون • لقد كان عندهم من الحذق

والمهارة ان لا تؤثر عنهم الاقوال المتباينة وحتى المتناقضة تبعا لاصناف المستمعين . فكانت لعبد الناصر لهجة خاصة يخاطب بها الديبلوماسيين الغربيين ،ولغة اخرى يحدث بها المسؤولين الشيوعيين ، ولـ « صوت العرب » منهاج ثالث لمواجهة الجماهير العربية . وفي ذلك دلالة صريحة على نظرة المصريين الخاطئة الى الدعاية : فقد كان على « صوت العرب » في زعمهم ان يشحذ عواطف الجماهير الهوجاء ويخاطبهم باللهجة المظنون انها تصادف هوى في نفوسهم ، واختاروا لهذا الغرض رجلا (ديماغوجيا صراحا) .

فاحمد سعيد معروف بذلاقته وبراعته الفائقة في تطويع اللفظ لاغراضه البيانية ، ولم تكن دعايته موجهة ضد اسرائيل وحدها بل كانت تستهدف فيصلا عاهل السعودية ، وحسينا عاهل الاردن ، وبورقيبة وغيرهم . وقد بلغ احمد سعيد بنشاطه الى بعض الشهرة ووفق لان ينتخب نائبا، واتسع مدى نفوذه تدريجيا الى أن عظم خطره بانضمامه الى احدى الشعب اليمينية للحكم الناصري . وعند استقالة عبد الناصر تناول الكلمة بمصدح « صوت العرب » ليشهر به فقال ما معناه : ان على المصريين ان يقلعوا عن منح ثقتهم العمياء لقادتهم . وعمد الى التنديد بالاتحاد السوفياتي في وقت كانت تحاول فيه حكومة القاهرة صد موجة الحنق الثائرة بمصر على السوفياتيين ، فاستدعى من طرف وزير الاعلام الذى عنفه على موقفه ورده الى الجادة . ومن شان هذه الدمى المتحركة ان تنفلت احيانا من قبضة الممسكين بها ...

ليس غرضى ان اهون من المسؤولية الفادحة التي يتحملها عبد الناصر وقادة القاهرة ، لكنى اريد ان الفت النظر الى ان كل من عرفوا دنيا العرب اقل معرفة ـ وانما اعنى هنا ذوى الخبرة الاسرائيليين ـ هم على علم تام بوزن هذه الدعاية وما لها من شان في واقع الامر . والحق ان المسؤولين الاسرائيليين ما انخلعت صدورهم يوما لشقشقة العرب وتبجحهم الصبياني . واذا كانوا قد وفقوا الى الكشف عن اسرار الجيش المصرى في مجموعها فاحرى ان

يقفوا على جلية الامر من تهديدات الشقيرى واضرابه • لكنهم ارادوا عن قصد ـ او هماختاروا لانفسهم ـ ان يعتبروا من بـاب الجـد كل التصريحات العربية المتسمة بطابع حربـى مما اعلن به خلال ازمـة ماى وجوان 1967 ، ولربما تأول البعض هذا الموقف حملا على الحكمة القائلـة : « الحـرب خدعـة » • وعلى كل ، فانهم وفقـوا الى تجنيد الراى العام العالمى لفائدة قضيتهم مخفين عن انظاره كل ما هناك من تعقيد والتواء فى خصومتهم مع العـرب •

ج• ف• ه• ـ أوافقك على هذا • غير ان مـا اعجب لـه هو ان المصريين فى مجموعهم كانوا يعملون كما انهم اعوان لاسرائيل ! فاذا كـان عبد النـاصر لا يبتغـى الحـرب حقـا ، فانـى لا افهـم ـ والاسرائليين معـى ـ مغزى لكلمات المـوت والابادة والدعـوة الى الجهـاد التى كانت فيـالق « الكومندوس » المصرية تهتف بهـا عند الاستعراض • أجل ، اعلم ما عندك من تاويل لها ، وهو انهـا تفيد معنى الدفاع او ما يشبه الدعوة الى اليقظة ولكن رغم هذا •••

ا• و• ـ نعـم ، ان لفظ « الجهـاد » لايعبر حتمـا عما ندعـوه « الحرب المقدسة » • فالمعنى الحرفى للكلمة هـو « بـذل المجهـود » وذلك هو فحوى الدعوة المقدسة الى توحيد الصفوف وجمع الكلمـة بين المسلمين تجاه خطر يداهمهم من الخـارج • وعلى نقيض ما ذهب اليه الظن فى البلاد الاجنبية فان الدعوة الى الجهـاد لم تثر فى مصر اية حركة للتعصب الدينى الاعمى من طرف الجماهير •

ج• ف• ه• ـ حسن • لكن ربما ابتعدنـا عن قصدنـا • ونحن لو ضممنا كل هـذه العناصر الى بعضها لانتهينا الى عـرض لوحـة شاملة ولخيـل الينا انها من عمل الدعاية الصهيونيـة •

ا• ل• ـ وربما امكن ايضا ضم اشتات التصريحات المتعدلـة مما ورد على السنة المسؤولين العـرب • لكنهم فى تـل ابيب آثـروا بعنايتهم الفاظ الحرب فاثبتوها وصرفوا انظارهم عن السلوك المعتدل الذى كثيرا ما توخته البلدان العربية • والحـق ان عبد الناصر كانت له مبادهات عدة منذ سنة 1957 تفاديا للحرب : فقد وقف عرضـة

على الخصوص فى وجه الفدائيين وحظر عليهم ا ن يتخذوا من التراب المصرى قاعدة لشن غاراتهم ، وامن حرية الملاحة بخليج العقبة غير مبال فى هذا الشان بتهجمات دول عربية اخرى ضده · وانا أناشدك لماذا نجد الدعاية الاسرائيلية تلح باطراد على الناحية السلبية من السلوك العربى وتلقى عرض الحائط بكل ما كان من مبادهات العرب وتصريحاتهم المتجهة الى تهدئة الخواطر وتقريب شقة الخلف ؟

لقد اكد عبد الناصر فى كثير من تصريحاته واحاديثه الى الصحف ان بالامكان فتح باب للتصفية ان قبلت اسرائيل بتطبيق مقررات الامم المتحدة واذعنت للعمل بموجبها · وذهب بورقيبة الى ابعد من ذلك فقال بوجوب الاعتراف بها ، وقد اثارت تصريحاته ردود فعل عنيفة باسرائيل · وهو فى واقع الامر قد وفق الى احراج موقف الاسرائيليين انهم لايبغون حلا وسطا مقابل تنازلات للعرب ، انما يريدون منهم الاعتراف بدولتهم على علاتها ، اى بكل ما غنمته فى حربى 1948 و 1956 اللتين كسبتهما ·

الصقــور والحمـــام

ج. ل. ـ هل كان لهذه الدعـاية الحربيـة التى اشرف عليهـا الشقيرى واضرابه او التى شنها « صوت العرب » مقابل من الجانب الاسرائيلي ، وهل كانت تسمع اقوال « متطرفة » سواء فى حـزب (هيروت) او فى تجمع (رافى) ؟

ج. ف. ه. ـ فى نظرى ان كلمة « تطرف » قد تكون هنا متجاوزة الحـد او بالغة اقصى الدقة . انما الذى يلاحظ هو وجود عصبة من « انصار مبدإ القوة » امثال (بيجين) والاسد الهرم (بن غريون) و (ديان) وغيرهـم فمن تجسم فيهم التصلب الحربى والركـون الى القوة . على انه لفت نظرى كثيرا عند حلولى باسرائيل حين نشوب النزاع عدم وجود اثر لمزايدات متحمسة ازاء السياسة الحكومية من جانب الاحزاب القومية التى نعتها بالتطرف . كما ان شق الاحزاب اليمينية المعارضة كان ممثلافى « لجنة الدفاع القومى » ومطلعـا على ما اتخذه (اشكول) من تدابير قصد تهيئة البلاد لرد فعل متوقـع ، ومع ذلك لم تكن هنالك محاولات باتم المعنى لتجاوز مدى سياسته. لاشك انه وجدت بعض الجزئيات غير المتفق عليها فكان لا مفر من قيام نقاش ومشادات وجدل برلماني ، ممـا يدعونه هنالك « بيلبول » . لكن قلما ثارت خلافات جذرية تشعرك مثلا ان (بن غريون) كـان يريد هجوما عاجلا وان الجنرال (ديان) بصدد اعداد حـرب برقيـة خاطفة . بيد ان موقف (اشكول) فى جملته كان مرضيـا عنه من طرف المعارضة اليمينية .

ج. ل. ـ هل وجد لدى الفريقين فى ربيع 1967 رجـال معتدلون همهم البحث عن وجه لحل القضية سياسيا بدلا من الحـرب ، وهل لهذه النزعة من يمثلها بين العـرب ، وخاصة بمصر ؟

أ• و• ــ لا أقول ان ثمة نزعة سلمية فى العالم العربى ، فلم يكن هنـالك ولو اتجـاه سطحى لهذا الهدف • لكن يوجد بمصر وبقيـة الاقطار العربية سياسيون يذهبون الى عدم محاربة اسرائيل او على الاقل مهادنتها ، وعبد الناصر من جملة هؤلاء وهذه النزعة تتلخص فى الكلمة الذائعة المأثورة عنه : « لا حرب ولا سلم » • على ان هنالك ولاشك مفكرين عربـا ومصريين خاصة اعرفهم حق المعرفـة يبدون فى مجالسهم الخـاصة اراء ابعد عن السلبية اذ يـرون استحالـة حل معضلة اسرائيل عسكريا ، لكن المزايدات الآخذة بخناقهم تجعلهم فى وضع لا مفر لهم ازاءه مـن المساهمة فيها او ملازمـة الصمت •

ج• ل• ــ من الممكن القول بان الشيوعيين، او بالأحرى الماركسيين اصبح لهم بعض الشان فى مصر خلال السنين المتاخرة ، وذلك على الاقل فى مجالس الشورى ولدى الراى العام • ومعلوم ان الاتحـاد السوفياتـى معترف بالدولة اليهودية • أفما كان لهذا الموقف مـن طرف السوفيـات ولما صدر عن (كروتشوف) من تصريحات شتى سيما فى سنة 1964 اثر جلى فى بعض قادة الفكر اليساريين من بين المصريين الى درجـة تهيب بهـم ان يراجعـوا بعض مـواقفهـم ازاء اسرائيل ؟

أ• و• ــ لا مجال للشك فى ذلك ، ومن بين هذه الفئة من فكروا فى حل سلمى • على انه لا يحسن التعميـم فى الحكـم • فمن بين عناصر اقصى الشمال الشيوعيين من اتجه بنظره الى تعين ابـادة « الدولة الصهيونية » • وقد صرح الى بعض هؤلاء زمن اقـامتـى بالقاهرة فى اوائل جوان 1967 انهم يرون ان الاتحـاد السوفياتـى ارتكب خطا منذ سنة 1947 باقتراعه على تقسيم فلسطين • لكن عددا من الماركسيين المصريين يناقضون هذا الراى على طول الخط ويقولون انهم اصابوا مساندتهم للمبادرة السوفياتيـة سنة 1947 ، وانمـا جرفتهم بعد ذلك لجـة القومية العربية المتطرفـة التى كانت من صنع البورجوازية وفئة الاقطاعيين • وليس للماركسيين دور هام مؤثـر فى اعداد السياسة الناصرية • بيد ان جانبـا منهـم انخرطـوا فى الادارة والصحافـة والنشر غير متجاوزيـن فى نشاطهـم دائـرة الحدود المرسومـة من طرف النظام القائـم فى مصر •

ج٠ ل٠ ـ هل هنالك حقا باسرائيل ما يجوز تسميته بـ « حزب الحمام الوديـع » ، وهل لنا بهذا الصدد ان نتحدث عن اتجـاهـات اقرار السلم مع العـرب ؟

ج٠ ف٠ هـ٠ ـ السلم مع العرب ٠٠٠ قضية تستدعـى النظـر ! ويحسن هنا ان نتساءل : متى ؟ وكيف ؟ ومقابل اى ثمن ؟ ان الجواب اذا كان الهدف السلم فى حد ذاتها غيره تجاه حدث واقعـى ملموس كازمة تيران ، وليس هنـالك من بين الاسرائيليين من يسلـم بانه تمنـى الحـرب مع العـرب ٠ اما رجل الشارع فالمسالـة فى نظـره بسيطة تنحصر فى صورتين : على العـرب ان يدعونا وشاننـا فى هدوء والا ٠٠٠ » ٠ وعلى هذا الاساس من السائغ التحدث عن السلم مع عدم التنازل فى شيء ، فلا تفهم لوجهة نظر الطرف المقـابل ولا لما عنده مـن الحجج الوجيهـة بل ليس هنـاك الا التشبث بالحـق المقدس دون تزحزح ، مما يفضى الى مفهوم القومية الحرقاء المشطة ٠ على اننا اذا اتجهنا صوب الاحـزاب الشمالية نجد « النزعة السلمية » ذات فحوى ووجود ملموس ، ولنا بعد ذلك ان نقدر حسب اجتهادنـا مبدأ تحققها على الوجه الاكمل ومبلغ اصالتها ٠

وانا لا ارتاح لاستعمـال لفظ « الحمـام » فقـد يعبر عن مفهـوم الاستسلام والتنازل المطلق ٠ انما الافضل ان نتحدث عن « قراصنة للسلـم » ، اى رجال محترمى الجـانب لكن قليلا ما يستمع اليهـم حين تتصلب اسرائيل فى موقفها وتصر على متابعة خطتها لضمـان ما هو فى نظرها حق البقاء ٠ ولابد من قوة معنوية نادرة ورباطـة جأش وشجاعة لا حد لها كي يستطيع الرجـل ان يقف فى قومـه داعيـا الى الرصانة والعقل وكل الناس حوله مقتنعون انهم على حـق لا امتراء فيه ٠ لقد صـادف عند حلولى باسـرائيل قبيـل الحـرب بعشرة ايام ان كـان عـدد من « قـراصنة السلـم » ذوى الشـان يضغطون على الراى العام ، لكن الوقت غير ملائـم للتفاهم مع الخصم كما اعترفوا هم انفسهم اذ فات الاوان ٠ وكانـوا الى ذلك فى عزلـة حيث لا وجود لنظراء يقـابلونهم فى صف العـرب ، او بالاحرى لم يكن اولئك النظراء بحال استعداد للبروز جهرة ٠

والقرصان المثالى هو (اورى افنيرى) الذى لم يكن « حمامة » ابدا • لقد تصدى منذ سنة 1950 بكل طاقاته لمعارضة « المتصلبين » الذين هم فى الواقع ممثلو الصهيونية الخاصة المتاثرة بها سياسة البلاد فى مجموعها على درجات متفاوتة • فناهض حملة سيناء سنة 1956، وابدى مساندته للجزائر المكافحة من اجل استقلالها، وما انفك يعترض على تواطؤ اسرائيل مع قوى الامبريالية • وتشكل جريدته (عاولام هازى) ـ عالمنا هذا ـ مزيجا نادرا من الديماغوجية والجد ، ومن النظرات السياسية وغمز الجماهير • وله مكانة شعبية فى اسرائيل وان اختلفت فى شانه الاراء وتعارضت الاقوال ، كما انه من خلال نزعته ـ النائب الوحيد في مجلس الـ « كناست » المقترب فى ارائه من « الحركة السامية » القائلة بان اليهود والعرب ينتمون جنسيا الى اسرة واحدة ، فعليهم اذن التعايش مع بعضهم فى الشرق الاوسط لا التناحر والتقابل ، ويرى ان على اسرائيل ـ لكى تفرض وجودها وتقبل من طرف غيرها ـ ان توجه انظارها الى جيرانها والى « العالم الثالث » لا صوب عالم المحظوظين من الدول الغربية القوية •

على انه كان يبدو فى نظر (افنيرى) لما التقيت به ـ والوضع يومئذ قاب قوسين من الحرب ـ ان النوايا الطيبة لم يعد لها من اثر فى تغيير مجرى الاحداث القائمة ، فتعين اذن مواجهة ما هو اوكد ، وكان هذا الرضوخ للواقع من طرف (افنيرى) وكثيرين غيره طعنة فى الصميم لمبادئهم وهزيمة يتلقونها • لقد قال لى : اننا قلنا كلمتنا : لقد اخطا الرئيس اشكول فى اصداره الاوامر باسقاط طائرات الميغ السورية ولم يصب فى توجيهه انذارا الى دمشق • لا شك ان هنالك استفزازا صريحا وتحديا ، وقد لعب السوريون اخطر لعبة عرفت واشدها استعصاء وجموحا وذلك هو شان حرب العصابات • لكن ما كان من حقنا ان ندع مجالا للتسلق ••• اما الآن فقد قضى الامر • ستقع الحرب فى اغلب الظن وتكون قاسية فتاكة ، وقد نخسرها ان هى طالت • وعلى اليساريين الاسرائيليين ان يقاتلوا لضمان حياتهم بعزيمة راسخة كغيرهم ان لم يكونوا اشد وارسخ ولو جرى ذلك فى جو مناف للعدل ، اقول هذا والاسف يملا جوانحى وسنتابع جهادنا فيما بعد ••• » •

وهناك « قرصان » اخر هو (ناثان يالين مور) الذى قاد عصابة (ستيرن) في الماضي ويحظى اليوم بمزيد الاجلال · فهو لا يحاول تهوين الدور الذى لعبته حكومته فى شن الحرب ولكنه ــ على غرار (افنيرى) وللاسباب نفسها ــ يستخلص العبرة ويتطرق الى النتيجة فيقول : « ها هى الكلمة الثنائية المأثورة تعود للاذهان من جديد : « اما النصر او الموت » وليس شاننا نحن ان نعيد ما قاله البلاشفة اثناء الحرب الكبرى « لنقبل الهزيمة ولنبتن لنا مجتمعنا جديدا » · كلا · فنحن لا امل لنا فى ان نبتنى مجتمعا متجددا الا اذا احتفظنا بكياننا · لاشك انه ينبغى عدم المسارعة الى الزحف والكر على الاعداء اذ علينا ان نستنفد جميع الوسائل ··· لكن لا ينبغى التريث الى ان يفوت الوقت · اننى انا ايضا مضطر ان اقف موقفى هذا فى النهاية وان اقول ما قلته ! » ·

واذا نحن استثنينا بعض الفروق الطفيفة فهذا الموقف بعينه هو الذى يقفه (الدكتور سنيه) زعيم الحزب الشيوعى (ماكى) ــ وهنا لك حزب شيوعى اخر (ركاح) ايسر انقيادا لوجهة النظر السوفياتية بحكم ان معظم منتخبيه من العرب ــ · يرى (الدكتور سنيه) مما لا قبل للمرء باحتماله ان ينضم مرغما الى شبه « رابطة مقدسة » ، ويقول بالاضافة الى ذلك : « ان عبد الناصر يريد محونا من الوجود · وما حدث تيران وعمليات العصابات وحشد القوى المسلحة الا « حرب تحرير » موجهة ضدنا · وعلينا ان نحاول كرة اخرى ــ الحيلولة دون الحرب والعمل لتخويل بواخرنا حق العبور وتحقيق الاعتراف ببلادنا ووضع حد للارهاب مقابل تنازلات منا لفائدة اللاجئين الخ · وان لم يتيسر ذلك فنحن مضطرون الى خوض المعركة سواء كنا شيوعيين ام لم نكن وحتى لو تدخل الاسطول الامريكي ضد عبد الناصر · واذا حدث هذا فعلى من تحمل تبعته ياترى ؟ اننا الى جانب العرب فى كل عمل لهم يناهض الامبريالية ، بيد ان حملتهم على اسرائيل متسمة بالرجعية ومنافية للعدل ، وينبغى ان لا نضحى بوجودنا · »

ولست مقتصرا هنا على عرض اقوال المنتمين للتجمعات الهامشية اليسارية بصنيفهم .. المعتدل والمتطرف بل سانقل الى ذلك صرخة من

الاعماق لزعيمة من حزب (ماباى) الحكومى كان لما افضت بـه الى حين شاع خبر انضمام الاردن الى عبد الناصر اثره فى مشاعـرى ٠

قالت (حنـه زيهر) : لاشك سيخيل لكم انها شعارات دعـائية لنا ٠ اننا نستعد للحـرب بملء عواطفنا ولكننا ـ ومـن ذا الـذى يصدقنا ـ تواقون كذلك الى السلم ٠

اننا نعلم ان لا سبيل الى كسب حـرب شاملة ضد العرب ، ولن يسعنا الا كسب معركة بعد اخرى ٠ فالى متى يمتد هـذا ياتـرى والعسكريون الصارمون المتصلبون انفسهم على بينة من ذلك ؟ ومع هذا فعند الاضطرار سنخوض هذه الحـرب التى نكرهها ، هذه الحرب التى لا سبيل الى كسبها نهائيا لان اسرائيـل ـ فى هذه الفتـرة على الاقل ـ لا يمكنها ان تتناسى يهوديتها ٠ وسواء لخير او لشـر اريد بنا ، فخطر الموت يدعمنا يهودا ، ويعيد نشاتنا يهودا ٠ ان ظل الحـرب العالمية الثانية يغشينا ٠ وانا اعتذر عن تعبيرى الفخـم ، بيد ان التقتيل لن يتكرر فى اتجاه وحيد ٠ ولاجل اننا تعلمنـا ان نياس من العيش فى طمانينة فسنخوض الحرب بـلا هـوادة الى آخر واحد منا » ٠

فى مثل هذا الجو النفسانى جدت الحـرب ، ولدى اناس يعتقدون ان التقهقر قيد ابهـام او اصبع تنجر عنه اصـابة كالآكلة تاتى على الساعـد والجسـد كلـه ٠ ولقد اقنعنى هؤلاء انهـم ـ ازاء قـوة القاهرة ـ سيجرون على كره منهم عمليتهم الجراحية فى غير ما تصد للعدوان او اضمار للكراهية ٠ انهم حمام مكلوب ان اردتم ٠٠٠

ج٠ ل٠ ـ كنت اشـرت منذ بـرهـة الى النقاشـ القائـم بين الاسرائيليين وهو ما يدعونه (بيلبول) ، ونظرا لبروز هذه الخلافات وسط المجتمع الاسرائيلي اليس مما يحتمل ان يكـون بعض دهـاة ساستهـم الـراغبين فى تـوحيـد الصفـوف ازاء بعض الاخطـار الداهمة قد عمدوا ـ تحقيقا لغايتهم الى جعل الخطر العربى ذريعـة ينتهون بواسطتها الى تجمع الشمل وايجاد جبهة قوميـة ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ لا اظن ذلك اطلاقا حسبما استخلصته من احاديثى

التى اجريتها باسرائيل وذلك لسببين على اقل تقدير : فرجلان كاشكول وبن غريون لابد ان يتفقا آخر الامر ازاء الاختيارات الكبرى مهما بلغت بينهما المزايدات اللفظية ، وما اظن الامر مما يدفع الى اضرام حرب طاحنة لمجرد تصفية مشاحنات برلمانية تافهة فى حد ذاتها • ثانيا ان هذا الاحتمال لا يتفق بتاتا وما شاهدته باسرائيل فى بدء الازمة من تؤدة وطمانينة ووثوق مطلق بعدالة قضيتها محقة كانت فى زعمها او مبطلة ، ومن انها تعمل لحفظ كيانها بنية خالصة وتبعا لخطة محكمة على ما يبدو من صرامتها وتصلبها فى موقفها •

ج• ل• ـ هل كان الجمهور المصرى عندما حللت بالقاهرة فى ماى 1967 بصدد ترقب احداث ذات شان ، وهل شعرت قبل وقوع ما جد من مواقف حاسمة فى اخر الشهر ان مصر كانت على ابواب ماساة ؟

ا• و• ـ اجل تجلى بوضوح لدى الراى العام المصرى شعور ترقب الاحداث وخاصة فى صف القادة • وهناك ظاهرة يتعين ان نسجلها : ذلك ان المصريين ـ كغيرهم من العرب ـ حصل لهم شبه الجرح والصدمة من واقعة السويس التى كان لها الاثر البالغ فى اعماقهم • كما انهم مقتنعون بحقائق ثلاث : اولا ان دولة اسرائيل معتدية لا هم لها سوى ان تفرض حلولا معلومة على العالم العربى ، ثانيا انها توسعية ـ تشهد لهذا احداث سيناء وغزة ـ وليس ذلك باعتراف (بيجين) وحده الذى ينتوى اعادة اسرائيل الى حدود فلسطين القديمة بل باقرار اشكول وغيره من القادة المعتدلين ايضا ، ثالثا ان الدولة اليهودية لا تعدو ان تكون آلة فى ايدى الدول الامبريالية • وهكذا سمعت عن الاستراتيجية العالمية الامريكية عند وصولى الى القاهرة اكثر مما تلقيته عن اسرائيل ، فمنذ عامين على الاقل اقتنع القادة المصريون ان الولايات المتحدة معتزمة قلب النظام الناصرى •

وقد تحدث هيكل رئيس تحرير « الاهرام » ونجى عبد الناصر عن توقعه « صائفات مكفهرة الاجواء » ، كما اكد فى احدى عشرة مقالة نشرت فى مستهل سنة 1967 ان العلاقات المصرية الامريكية بلغت

النهاية من التوتر منذرة بالقطيعة . ولما ان حدث الانقلاب اليوناني نجاة في 21 افريل الماضي – قبل اقل من ثلاثة اسابيع من نشوب الازمة بين العرب واسرائيل – اعتبر في مصر مرحلة من مراحل تحقيق الامريكيين هدفهم بالشرق الاوسط ، فقد جاء في النشرة السرية المذاعة من طرف المنظمة المركزية للحزب الوحيد المصري والمعدة لمائة من سامي الاطارات فقط ما فحواه :

« بعدما حل بنظام اثنيا سياتي دور حكومة سماحة الاسقف (مكاريوس) القبرصية . سيحاول الامريكيون ان ينصبوا هنالك حكومة تدين لهم بالولاء حرصا منهم على تعزيز مراكزهم بالحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، وسيشنون بالاثر حملتهم على سوريا التي تشكل نقطة الضعف بالعالم التقدمي العربي من جراء عزلتها ولان النظام البعثي لم يوفق في دمشق الى ارساخ قواعده في الشعب ، واخر هدف للامريكيين هو نظام الحكم الناصري بمصر » .

وبعد اسبوع من قلب الحكومة باليونان القى عبد الناصر بمناسبة عيد الشغل في غرة ماي خطابا عنيف اللهجة شهر فيه بالولايات المتحدة الامريكية باعتبارها دماغ حركة المقاومة للثورة في العالم وليس في الخطاب سوى جمل قليلة بشأن اسرائيل وصفت فيها بانها اداة تستخدمها السياسة الامريكية ، ومما لا ريب فيه انها لم تكن يومئذ في الصميم من شواغل عبد الناصر .

وبعد بضعة ايام – في 8 ماي بالضبط – حل بالقاهرة عضوان من مصلحة الاستعلامات السورية جاءا لاعلام الرئيس المصري ان اسرائيل تتاهب لشن عملية حربية متسعة بغية قلب نظام الحكم بدمشق وقال له : « اننا نرجوك ان تهب لنصرتنا » . ومن داب عبد الناصر اساءة الظن بالسوريين ، وخشية ان ينجر خلفهم الى نزاع مسلح مع اسرائيل اجابهم : « ليس بوسعي ان اضمن لكم نصرتي ما دامت مصالح استعلاماتي لم تحقق لي صحة اقوالكم » ، فاجابه السوريان : « اننا استقينا معلوماتنا التي نحملها من مصدرين اخذناها بادىء الامر عن اللبنانيين – وانت تعلم مدى

تحريهم ـ ثم عن مصالحنا الخاصة التى وجهت ضباطا الى اسرائيل لاحظوا تجمعات للجنود فبادروا الى اعلامنا باللاسلكى » • وعندئذ عهد عبد الناصر الى مصالحه الخاصة باجراء تحر بهذا الصدد وسال حكومة موسكو : هل الاتحاد السوفياتى يعتقد ان اسرائيل تتأهب الى حملة ضد النظام السورى باغراء من الامريكيين •

ج• ل• ـ لى ملاحظة ابديها بخصوص هذا العرض « الامريكى الصبغة » للاشياء : فالذى يبدو لى ان عبد الناصر صمم العزم فى نفسه ان يحمل على كاهل الولايات المتحدة تبعة النزاع حتى فى ادنى الجزئيات ليتفادى الاشارة الصريحة الى اسرائيل اولا ، مما يرجع الى خطة حجد وجودها باهمال ذكرها ، وثانيا لان فى التعظيم من شان الخصم مزيدا من العظمة للذات • فقد يحط من مكانته ان يناوىء أمة لا يتجاوز عددها ثلاثة ملايين نسمة ، بينما يعليه ويكسبه مزيد الفخر ان ينتصب لحرب الامبريالية عموما بما فى ضمنها الولايات المتحدة • فهو اذ يشهد بتدخلها ينتصب مكافحا لدولة عملاقة ، وبـ « تناسيه » اسرائيل يوحى بـ « عدم وجودها » •

ا• ر• ـ لقد كان لهذا الارتجاع اللاشعورى اثره فى تكييف الدعاية الناصرية لا سيما اثر الهزيمة العسكرية • فعندما يقول عبدالناصر: ان الجيش المصرى يهزم نتيجة انضمام الانجليزوالامريكان الى جانب الاسرائيليين فواضح انه يحاول التهوين من عبء المسؤولية المحمولة على كاهله وكاهل اركان حربه • لكن هل راعى هذا الادعاء قبل الازمة ؟ لقد قلتها آنفا : انه لم يكن يتوقع مجابهة مع اسرائيل • فحملته الدعائية غداة انقلاب اثينا اتجهت صوب السياسة الخارجية الامريكية فى مجموعها سواء بآسيا او كوبا او امريكيا الجنوبية او افريقيا • وكان يعتقد ان الامريكيين اعتزموا التخلص من النظم المحايدة او الموالية للاتحاد السوفياتى ، ولا ادل على ذلك مما حل بسوكارنو ونكرومة وغيرهما • كما ان السياسة الانجليزية والامريكية باليمن وعدن كانت ترمى من طرف خفى الى اضعاف النظام القائم فى مصر • هذه هى الاقوال الرائجة بالقاهرة يومئذ •

ولما تأيد لدى مصلحة الاستعلامات السوفياتية ان اسرائيل تنوى مهاجمة سوريا ــ وكان بعض المسؤولين من الاسرائيليين انفسهم صرحوا فى 12 ماى انهم يعتزمون قلب حكومة دمشق قصد وضع حد لغارات الفدائيين الفلسطينيين ــ لم يبق من ريب لدى عبد الناصر فى ان دوره سياتى اثر ذلك مباشرة • ولم يكن له مفر من احد امرين : فاما ان لا يرد الفعل على تهديد الاسرائيليين لدمشق فيفقد مكانته لدى العرب ، واما ان يتدخل فتهزمه اسرائيل شر هزيمة • تلك هى تقديرات تل أبيب حسبما يعتقد بالقاهرة فى اوائل ماى 1967 •

ج• ل• ــ لقد كان عبد الناصر يدرك حق الادراك ان الامريكيين هم الذين انقذوه من الورطة سنة 1956 وانه خرج سالما من الحملة المشتركة الموجهة من طرف انكلترا وفرنسا واسرائيل فالقسط الاوفر فى ذلك راجع الى تدخل الرئيس (ايزنهاور) • فهل تغيرت سنة 1956 طبيعة علاقاته مع واشنطن الى مثل هذا الحد ؟

ا• و• ــ هناك عدة عناصر جديدة طرأت : من تاميم الشركات واطلاق سراح الشيوعيين وتوطيد العلائق مع الاتحاد السوفياتى الى حرب اليمن واثارة القلاقل بعدن مما يهدد المصالح الانجليزية الامريكية المشتركة بالخليج الفارسي فحصلت القطيعة بين واشنطن والقاهرة وهكذا عدل الامريكيون منذ اوائل 1966 عن تسليم قموحهم واقتنعت القاهرة ان غرضهم هو اجاعة الشعب المصرى والعمل على خنق الاقتصاد الناصرى بغية تشجيع الحركات الهدامة المتجهة لقلب النظام •

ولم ينس بعد عبد الناصر مؤامرة الاخوان المسلمين التى اكتشفت سنة 1965 والتى تقول عنها مصالحه : انها كانت بايعاز من مصالح الاستعلامات الامريكية •

ج• ل• ــ هل كانت مضايقات وتهديدات عصابة « الفتح » ودمشق تشكل ــ فى مستهل ماى 1967 ــ خطرا بالغا استشعرته اسرائيل ؟

ج• ف• ه• ــ اجل ، ذلك هو الحدث الاهم فى نظر الراى العام

الاسرائيلي ، وهو المستند الحقيقي الوحيد الذي تعتمده اسرائيل في تبرير ما جد اثر ذلك من احداث · لقد اعتقد الاسرائيليون انه احيط بهم ولم يعد لهم من معقل يعصمهم · وبصرف النظر عن الخطر الداهم هنالك مشكلة ما انفكت اسرائيل تجابهها وهي التعرض لكيانها بالجحد وجعله موضوع نقاش ، بالاضافة الى ما يجب ان تحتفظ به من قوة للردع · وازاء التحديات الصارخة وما جد بعدها من تهديدات عبد الناصر المصطنعة كان الاسرائيليون يقولون : سيكسب المعركة من يكون الاول في اشهار مسدسه ، وان نحن لم نفعل ابتلعنا قطعة قطعة لكننا اشتهرنا باسراعنا الى اخراج مسدسنا قبل الاخرين ، ولو ابقيناه في مخبئه لهلكنا ·

ج· ف· ه· ـ ان عبد الناصر في نظر الاسرائيليين هو باعث « الفدائيين » ، وحتى لو لم يشرف المصريون بانفسهم على تدبير حملات السوريين الاستفزازية فان هؤلاء يقتبسون مناهجهم عنهم · وللاسرائيليين نزوع الى حمل التبعة في ذلك على عبد الناصر لانه رجل الدولة الابرز شخصية والاعظم شانا · وما يحمل عليه من المسؤوليات بخصوص منظمة « الفتح » انما هو عقائدي اكثر منه سياسي اذ الواقع انه هو الذي ادخل « الحرب الشعبية » الى الشرق الاوسط ·

ومع ذلك كان الاسرائيليون قبيل الازمة يسلمون بان عبد الناصر لا ينظر بعين الرضى الى الغارات التخريبية الموجهة من قبل «الفتح» والتي ربما احرجت بنشاطها موقفه ازاء المولعين بالتطرف السياسي والمزايدات اللفظية لذلك هم ياخذونه ماخذ شبه مشعوذ اكثر منه مسؤولا مباشرة عن اعمال التخريب السورية ·

أ· و· ـ لكن من المعلوم أنه توجد منظمات ارهابية اخرى غير «الفتح» وان هذه نفسها لم تكن خاضعة في مجموعها لنظر السوريين · ان معظم عمليات التخريب من نشاط اناس قادمين من الاردن، ومع ذلك لاشك في ان حكومة دمشق شجعت الارهابيين ماديا وادبيا · لكن الم يفكر الاسرائيليون البتة ان بهذه العمليات التخريبية ظاهرة سطحية لداء جذري يمس جوهر القضية وينفذ الى الصميم منها ؟ ان

(افنيرى) واضرابه يعلمون ذلك حق العلم • وكان على اسرائيل ان تقبل ببعض التنازل ايجادا للحل المرغوب •

ج• ف• ه• ـ لكن العرب كذلك رفضوا القيام بتنازلات لاسرائيل • اما بخصوص الاسرائيليين فكل فرد منهم يعتقد عن حسن نية انهم يودون الوصول الى حل لكنهم يختلفون فى اوجه تحقيقه لاغير • ومهما كان فكلهم مقتنعون بحقهم المطلق فى العيش والبقاء بارض اسرائيل •

ا• و• ـ ذلك ما كنت قلته بالضبط : لا احد يركن الى تنازل يمس جوهر القضية • فالاسرائيليون ما انفكوا يرددون انهم لن يتنازلوا عن شبر من ارضهم ولن يسمحوا للاجىء بعودة ، فيجيبهم العرب : « ما الفائدة اذن فى الجلوس حول المائدة الخضراء ، وعلام نتناقش ؟ » وفى الطرف الآخر نجد العرب يراهنون ويسرفون فى الرهان على ورقتهم الوحيدة وهى عدم الاعتراف باسرائيل • على اننا نسمعهم بين الفينة والاخرى ومن خلال الاحاديث الصحفية يقترحون بعض الحلول فى نطاق مقررات منظمة الامم المتحدة •

ج• ل• ـ يلاحظ فيما يخص اللاجئين ان اصواتا ارتفعت باسرائيل لفائدة حل المشكلة لا فى داخل حزب (مابام) وأقصى اليسار فقط • وهنالك مشروع (شاريت) الراجع الى سنة 1950 •••

ج• ف• ه• ـ أجل اقترحت بهذا الصدد مناقشات لم يعين مضمونها سلفا ، واسرائيل لم تكن متصلبة فى موقفها للحلول كما قيل • وعلى كل فالاسرائيليون مقتنعون بهذا كامل الاقتناع •

ا• و• ـ ولكنهم يناشدون العرب « حقا غير منقوص » فى ارض كانت منذ اقل من عشرين سنة ارضا عربية من شانها ان تنال استقلالها كسائر بلاد منطقتها فاصبحت بين عشية وضحاها بلادا اجنبية ونزح عنها مئات الالوف بعد ان كانوا منها فى وطنهم وديارهم • ان ما يطالب من العرب فادح جلل ، ومع ذلك

فالاسرائيليون يابون بالاعتراف بالضيم الذى لحق شعبا باجمعه هو الشعب الفلسطينى العـربى ورفض العـرب بدورهـم ان يعترفـوا للاسرئيليين بحقهم فى العيش كمجموعة لها نظامهـا السياسـى ٠

فالنزاع قـائم بين قوميتين ٠ ولـو ان الاسـرائيليين اعترفـوا للعرب بما تسببوا لهم فيه من الضرر الفادح وحاولوا التفاهم معهم على قاعدة حل وسط يضمن مصالح الشعبين الاساسية لامكن التغلب على كثير من الاحن والحزازات ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ـ أجل ، كان من حق هذا المنطق ان يسـود ، ويجب الاخذ به من طرف من يتحتم عليهم ذلك ٠ لكن اى فائدة فى البحث المرهق عمن يجب ان يبدا الحوار وكل من الطرفين لا يتزحـزح عن موقفه ٠ ان العرب واليهود كليهما مقتنع الى حد مزعج بحقه التام ولن تزيدهما المحاججة والمؤاخذة الا اصرارا ٠

صـــــورة عبـد النـــاصـــر

ج• ل• ـ لنعد الى الارهاب • فماذا كان ينكـر المصريـون بشان منظمة « الفتح » ؟

ا•و• ـ انهم يسيؤون بها الظن لعدة اسباب : اولهـا ان المنظمـة ليست تحت اشرافهم ، ثانيا علمهم بان لها اتصالا بالحكومة السورية التى لم تكن محل ثقة القاهرة ، ثالثا ان عبد الناصر ـ وان لم يعلن التبرؤ من الارهابيين وعدم التواطؤ معهم ـ فانه يرى أن أعمالهم غير مرغوب فيها ولا هى منسجمة مع الواقع والمصلحة خصوصا وهـو يرغب فى عدم اثارة نزاع مع الاسرائيليين • وبالتالى كانوا يتساءلون فى القاهرة : هل لا تشكل « الفتح » فى واقعها جهازا حزبيا لمقاومة الحكم الناصرى• وحدث يوما ان ابدى بعض الصحافيين تشككه فى فعاليتها ومقدرتها على تحرير فلسطين فاجابه احد ذوى النفوذ من اعضائها : « اننا لنرجو اضرام الحـرب • ونحن نعلم ان ليس للدول العربية من العتاد ما يؤهلها لتحرير فلسطين لكننا سنبلغ على الاقل هدفا جليلا فى نظرنا وهو الاطاحة بعبد النـاصر الذى يعتبـر فى الواقع عميلا للصهيونية حيث يمتنع من اى مناهضة لاسرائيل » • وربما ذهب بعضهـم الى ان « الفتح » تخضع لاشـارات مصلحـة الاستعلامات الامريكية •

ج• ل• ـ اشرت الى ما تبديه حكومة القاهرة من اسـاءة الظن بحكومة دمشق ، فهل لك ان تعطينا فكرة عن وجهة نظر القادة بهذا الشان ؟

ا• و• ـ انها نظرة معقدة • وعلينا العودة الى فترة الاتحاد بين سوريا ومصر لندرك مدى تعقدها • فقد ابعـد عبد الناصر حـزب

« البعث » السورى عن مقاليد الحكم وعن صفوف حزبه الوحيد فى حين كان « البعث » هو العامل الاول للوحدة بين البلدين ، وليس من شان حزب (عفلق) ان يغتفر لـه فعليـا تلك الطعنة النجلاء . فلما ان تبوا البعثيون فى دمشق وبغداد مقاعد الحكم سنة 1963 اتضح للعيان ان قصدهم هو منازعة عبد الناصر زعـامة العـالم العـربى اذ اتخذوا لانفسهم لهجة اشد تحمسا فى ثوريتها من لهجته ، ممـا كان له الاثر فى احراج مواقفه تجاه الجماهير العربية .

وكان عبد النـاصر يسىء الظـن خـاصة بالجنـاح المتصلب من « البعث » الذى خلف الجناح المعتدل منه فى فيفرى 1966 . وعرف اللواء صلاح جديد زعيم الشق اليسارى بمعارضته لـه حتى زمـن الاتحاد مع مصر اذ ابعد انذاك اليها . وهنالك وضع الخطوط الاولى لمنظمته السرية العاملة وسط الجيش السورى والتى تشكـل اليـوم الاداة الفعالة لهيمنته . وكذلك ازدادت الهوة عمقا بين قادة القاهرة وقادة دمشق حتى سنة 1966 اذ تدخل السوفياتيون من اجل بعث حلف سياسـى بين النظامين لمقاومـة المشاريع الامريكية بالمنطقة وخاصة مشروع « الميثاق الاسلامـى » الذى يتزعمه الملك فيصل .

ج. ل. ــ هل لدى الاوساط الحاكمة الاسرائيليـة صـورة لعبد الناصر منسجمة الملامح واضحة الخطوط، وهل هو يتمثل بوجه خاص وعلى نمط ما للمجموعة الاسرائيلية ؟

ج. ف. ه. ــ اذا ما اتفق لرجل ان يمثل حركة قوميـة بمثل ذينك الاندفاع والحركية وفى سلسلة من المغامرات الآخذ بعضهـا بحلقات بعض فانه يتيح لخصومـه ان يتخذوا منه صورة حية ملموسة للخطر الداهم ، ولا مفر من ان ترسم فى نفوسهم هـذه اللـوحـة التشخيصية على انه ليس ثمة صـورة واحدة لشخصية عبد الناصر كما يراها الاسرائيليون ، فقد طالعتنى منها ثلاثة نماذج على الاقل : الاول يشخص العدو ، او الشيطـان ، او ان شئت قلـت (غليـوم الثانـى) بالنسبة للفرنسيين قبل حـرب 1914 ، او هو (هتلر) . تلك هى صورته غالبا لدى رجل الشـارع . اما النمـوذج الثانـى فيقدمه رجلا ذا موهبة وفق الى تحقيق بعض الاهداف ، وداهية أشبه

بلاعب الـ « بوكر » الذى يحاول تدبير الخطط للفوز على الخصم ، ولكنها خطط فاشلة لان بلاده « لا وزن لها » · وهى صورة تمثله بملامح من لا يؤبه له ، ملامح عربى متخلف يتزعم بلدا هو ايضا متخلف ازاء اسرائيل المتطورة الى ابعد مدى · وهو بهذا التقدير قد يمثل خطرا وقد يكون مأمون الجانب ، ولكنه لن يوفق فى مسعاه كيفما كان الامر لان مصر لا يمكنها ان تفلح · وليس هذا من باب العنصرية ، لكن يجب ان نعترف انها صورة بالغة للسخرية والازدراء · وهنالك نموذج ثالث نادر ولكنه واقعى يمثله رجلا حائرا قلقا من جراء الاحداث ، بيد انه ممن يعتد بهم ويقام لهم وزن ، فهو الممثل للعالم العربى فى مسيرته نحو التحرر ، وهو المخاطب الوحيد الذى ينبغى ان تجرى معه اسرائيل الحوار يوما ما · واثناء القاء عبد الناصر خطابه الذى اعلن فيه تخليه ـ وحتى فى اليوم التالى بعد ان تراجع عن عزمه ـ لاحظت من التفهم لهذا الموقف لدى طائفة من النخبة المفكرة باسرائيل ما ادهشنى ·

وقد يكون من الصعب ادراك كيفية تصور الاوساط الحكومية لشخصية عبدالناصر · ذلك أن السياسيين المتسمين بالفعالية لايركنون الى التهاويل والصور فى تنسيق اعمالهم وتدبير خططهم · فقلما جنحوا الى العاطفة في مواجهتهم للناصرية ، ومن العسير اقناعهم ان هناك مفهوما ايجابيا فيما سمى بـ « التقدمية العربية » · ان الاسرائيليين قلما يضعون انفسهم مكان غيرهم ، فهم اناس واقعيون يدينون بالنجاعة فى اعمالهم ، وليس من شان النزاع المحتدم ان يمهد السبيل لتفهم الجهود المبذولة من الطرف المقابل او تقدير مصاعبه · وهو ما نتحققه اكثر فى نظرة مصر الى اسرائيل ·

ج· ل· ـ وفيما يخص الحسين ملك الاردن ، هل للاسرائيليين صورة خاصة تمثله لاذهانهم ؟

ج· ف· ه· ـ اجل ، وان كانت اقل روعة وابسط واقرب فى ملامحها الى الصور المبتذلة الذائعة · فهنالك مبدئيا بعض الاحتقار من طرفهم لنواحى تافهة فى شخصيته كتأنقه فى زيه وشغفه بالرياضة وما الى ذلك · وهم يدعونه فيما بينهم بـ « الملك الصغير »

فى لهجة من الترفع والازدراء ، لكنهم يعدونه ارق عاطفة والين عريكة من عبد الناصر ، كما يعتبرونه مخاطبا يمكن التفاوض معه لانه دون غيره تصلبا فيقولون عنه : انه كيس ظريف… ثم يردفون : على ان الخصام منحصر بيننا وبين الاردنيين ، وهم خصم وقسيم لنا اقرب دارا واوثق صلة ، وبيننا قضية الضفة الغربية من الاردن فينبغى ان نتفاهم معه هو الذى اشتهر بالاعتدال على غرار جده الملك عبد الله المعروف برصانته • ومما اكد شعور التسامح لدى الاسرائيليين ازاء الملك حسين ما لوحظ على الحدود من استتباب بعض الهدوء والطمانينة فى السنين الاخيرة رغم الغارات المفاجئة وعمليات التخريب • فاذا كانت « التقدمية » العربية اشد الاعداء مراسا ، فان الحسين العاهل الاقطاعى كان نقطة الضعف الايسر معالجة ، وشبه الصدع فى الصخرة العربية •

•ا و• ـ ولكن لم تجد أحداث على الجبهة المصرية منذ أحد عشر عاما فلماذا إذن الحقد على عبد الناصر ؟

ج• ف• هـ• ـ الحقد ؟أؤكد لك انى قلما وجدت له اثرا باسرائيل حتى بعد ضرب الحصار على مضيق تيران • ولئن اتفق التفوه ندورا باسم (هتلر) فما كان بالطريقة التى نتوخاها فى اوروبا • ان الاسرائيليين اكثر واقعية من ان يضيعوا اوقاتهم فى البغضاء ، وانما كان عبد الناصر هو العدو الاصلب عودا• انهم ـ ولا ريب ـ يخشونه ويتوقعون منه الشر ويزدرونه • أمّا ان يبغضوه فلا •

•ا و• ـ لقد ابقى عبد الناصر طيلة احدى عشرة سنة (القبعات الزرق) حرصا منه على منع تسرب حملات «الكومندوس» الى اسرائيل وضمانا لحرية الملاحة عبر خليج العقبة على الرغم مما ناله من سباب فلماذا اذن تتجه صوبه حملات الاسرائيليين العنيفة بدلا من ان تتخذ فيصلا او الحسين هدفا لها ؟

ج• ف• هـ• ـ الامر واضح : وانما تكون العداوة ازاء الاضداد الحقيقيين • واذا ما اعتبرنا ان الازمة القائمة بالشرق الاوسط هى فى جوهرها صراع بين قوميتين خالصتين فلا امتراء ان عبد الناصر هو الممثل للقومية العربية • واذن ، فالخصم هو عبد الناصر •

ا• ر• ــ هل كانت تحمل هذه القومية فى طيها خطرا ؟ ان عبد الناصر تحدث عن مقاومة الرجعيين من العرب اولا وعن تصفية القواعد الامبريالية بالشرق الاوسط وتقويض الهيمنة الاقتصادية للراسماليين الغربيين ووضع حد لاحتكار النفط العربى من طرف الامبريالية وتحقيق وحدة العرب وبعث الاشتراكية • فليس فيما قام به احدى عشرة سنة ما يشعر باعتزامه مهاجمة اسرائيل ، بل الامر بالعكس ، وكانما هو ارجأ « تحرير فلسطين » الى يوم البعث • لكنما الواقع ان الاسرائيليين يخيرون التفاهم مع المحافظين العرب •••

ج• ف• ه• ــ لا انفى هذا •

ج• ل• ــ اذا اعتبرنا الشواغل التى تشغل بال المصريين وما كان فى مقدورهم ان يقوموا به من التحليل لواقعهم فى ماى 1967 ، هل كان وضع بلادهم الاقتصادى والمالى عاملا له خطره ؟ الا تشعر ان ازمة مصر الاقتصادية والمالية كانت احد العوامل لما اسموه الهروب الى مقدمة النزاع المسلح ؟

ا• ر• ــ كلا • لا يصدق ذلك على مصر • وهذه الفكرة تبسطت فى شانها الصحافة الغربية • اما من قيلت فى شانهم فيرون ان التدهور الاقتصادى منشؤه التحول الجذرى للهياكل وبعض الوهن فى الدواليب ، وانها عقبات سوف يقع تذليلها • ولا اظن ان قد كان هروب الى المقدمة لان الحكومة المصرية لم يخطر قط على بالها انها تسير نحو الافلاس، فبمقدورها ان تعتمد على كثير من البلاد الاجنبية من بينها عدة بلدان اوروبية وخاصة فرنسا التى قبلت تاجيل مواعيد قضاء الديون • كما هى تعلم ان البلاد الشيوعية لا تترك مصر تسير نحو الافلاس •

وبالتالى وعلى الخصوص ، يعتقد المسؤولون المصريون باخلاص ان سد اسوان سيؤتى ثمرته فى بضع سنوات وسيدفع الزراعة والتصنيع فى سبيل التقدم بما يوفره من ينابيع جديدة للطاقة • هذا ، وقد تم الكشف اخيرا عن ابار جديدة للنفط • ويذهب بعض الخبراء الغربيين الى ان مصر كان بمقدورها الى سنة 1970 ان تنتج ثلاثين مليون طن من النفط (مقابل انتاجها الحالى الذى يتراوح بين 6 و7

ملايين) مع امكانية ارتفاع المقدار الى خمسين مليون طن سنة 1973 • وكتب بعض الاخصائيين الغربيين ان مصر قد تصبح « ليبيا جديدة » • فكان للحكومة المصرية ــ والحالة هذه ــ ان تنتظر فى امد بعض سنوات توفير مداخيل من العملة الصعبة تقدر بمئات الملايين • وهكذا لم تكن الظروف الراهنة ولا ما ينتظر من امكانيات بالتى تدعو عبد الناصر الى حل مشاكله باللجؤ الى حرب قد يكون وبالا • وكذلك كانت بالفعل •

ج• ل• ــ من وجهة النظر الاسرائيلية ، هل كان توطيد العلاقات بين القاهرة وموسكو ــ حسبما اعلن عنه في مارس 1967 اثر زيارة غروميكو لمصر ــ تحريضا للنزعة العدوانية العربية ام عنصر تهدئه ؟

ج• ف• ه• ــ ان الشعور السائد يومئذ باسرائيل هو استبعاد اى امكانية لاشتباك عام ، فلم تكن الظروف توحى بقرب الحرب • والاغلب على الظن ان زيارة غروميكو كانت عنصر تهدئة خصوصا والاسرائيليون لم ينسوا ان الاتحاد السوفياتى ظل فى طليعة المؤيدين لقيام دولتهم ، كما ان ذكريات 1948 بقيت حية شاخصة فى اذهانهم بما فى ذلك تسلمهم العتاد الحربى التشيكى ، ولم يعزب عن ذاكرتهم ان السوفياتيين (ومثلهم الشيوعيون الفرنسيون) لم يروا فى بعث اسرائيل نيلا من التقدمية والنزعة القومية الفتية للشعوب العربية • وايضا لم يخطر على بال الاسرائيليين ان البلدان الشيوعية ستؤيد المساعى المناهضة لهم •

ج• ل • ــ ومع ذلك فقد كان من الاسباب الرئيسية لشن حملة 1956 الرغبة فى منع وصول الاسلحة السوفياتية والتشيكية الى مصر.

ج• ف• ه• ــ صحيح • لكن باستثناء المتطرفين من اعداء الشيوعية ، قليل هم الذين يعتقدون ان الاتحاد السوفياتى مستعد لقبول فكرة القضاء على اسرائيل فضلا عن ان يتسبب فى ذلك بنفسه• والكثيرون يرون ان الامر لا يعدو كونه مغالطة وانه لن يبلغ درجة الحرب ابدا •

ج• ل• ـ اذا اعتمدت تجربتك الحديثة ، فهل يبدو لك ان الراى العام الاسرائيلى فى مجموعه كان واثقا بالصداقة الامريكية ، وهل وجد باسرائيل شعور ملموس بان هناك مظلة واقية اميريكية او انجليزية ـ اميريكية ؟

ج• ف• ه• ـ ان المتحدث الى الاسرائيليين ـ اثناء الازمة وحتى بعد الحرب ـ عن هذه التغطية الاميريكية لايجد منهم الا التشكك والاستنكار ان لم يكن الضحك والازدراء • فهم دائما يشعرون انهم وحيدون ، بل ربما احسوا ان الامريكيين تخلوا عنهم منذ سنة 1948 ، اى منذ انشاء دولتهم • ويقولون : انه لا يمكنهم التعويل سياسيا وحتى اقتصاديا ـ على الولايات المتحدة • وقد حدث ان الفيت مرارة بل حنقا عظيما على الدولة الاميريكية الكبرى •

ج• ل• ـ لعله يرجع الى سنة 1956 ؟

ج• ف• ه• ـ اليها بالخصوص ! فقد احست الاوساط الرجعية والقومية بالغبن حينما اوقف الامريكيون زحف الانجليز والفرنسيين• واذا استثنينا الاحزاب اليسارية فاننا نجد البقية ينحون باللائمة على الاميريكان الذين تسببوا بتدخلهم يومئذ فى حرمان اسرائيل من ثمار انتصارها بسيناء • على انهم مقتنعون من جانب اخر بوجود نزعة تساندهم فى الولايات المتحدة ويهزهم الارتياح عندما يبلغ اسماعهم ان بعض الشخصيات من ذوى الشان والنفوذ هناك منتمية الى الصهيونية • ومن الميسور ان نلحظ لدى الجمهور بعض التبرم من سلوك السياح الامريكيين الذين يرون لزاما عليهم مدة قضاء اجازتهم باسرائيل ان يظهروا من التعلق باليهودية وشعائرها ما لا يظهره ابناؤها الخلص • ويقال ان حفاظ اسرائيل بدقة على الطقوس الدينية راجع الى رغبتها فى اكتساب عطف اليهود الامريكيين واستدرار عطاياهم ••• وانما تعتمد الدوائر المسؤولة على مساعدة واشنطن بقدر رغبة الولايات المتحدة فى ايجاد قوة معارضة للنفوذ السوفياتى ، لكنهم لا يؤمنون بوجود حب عذرى ولا بحب الامريكان للعدالة • وعند نشوب النزاع لم يكن هناك احد ينتظر تدخلا مسلحا من طرف الولايات المتحدة، وقليل هم الذين تمنوه. انما كان المتوقع

صدور ضغط من واشنطن لفتح المضايق· وقيل: ان الولايات المتحدة قدمت مساعدة لها وزنها الى اسرائيل عن طريق مصالحها السرية ، وانها امدت الجيش الاسرائيلى بصور للمطارات المصرية ملتقطة من ارتفاع شاهق بواسطة طائرات من طراز U 2 · لكن الراى العام لم يعلم شيئا ذا بال عن هذا ولم يخطر لاحد ان يسجله لها فى سفر الحسنات ·

ا· ر· ـ تحدثت عن المرارة والامتعاض : ولكن الولايات المتحدة هى التى ساندت اسرائيل على طول الخط فى مطالبها بشان حرية المرور بخليج العقبة وماانفكت تساندها ديبلوماسيا منذ بدء النزاع المسلح ·

ج·ف·ه· ـ ربما عد ذلك مبرة للولايات المتحدة لو وفقت ـ سواء باستعمال القوة او عن طريق الضغط الديبلوماسى ـ الى فتح الممرات المائية · ومن الطريف هنا الاشارة الى أن بعض الاعضاء من حزب (مابام) او من اقصى اليسار او بعض « القراصنة » من طراز (افنيرى) ـ على ما كان يكدرهم الاعتماد على اعانة اميريكا ـ قد ابدوا استياءهم وخيبتهم لعدم تدخلها الى جانب اسرائيل ولاخفاق مساعيها فى الحقل الديبلوماسى وان اعتبرت هذه المساعى فى جوهرها عارية من الجدية وكان الراى السائد هو ان الولايات المتحدة لعبت الدور الذى شاءت ان تلعبه لخدمة مصالحها لا غير ·

ج· ل· ـ وازاء الحكومة الفرنسية ، هل لاحظت قبل الازمة ما يشعر بالحذر او القلق ، وهل كانوا يتناولون فى احاديثهم موضوع المراجعة الطارئة التى ادخلت على الديبلوماسية الفرنسية ؟

ج· ف· ه· ـ لم الاحظ شيئا من ذلك اطلاقا اذ ظلت عاطفة الصداقة قوية جدا · وهم ينظرون الى فرنسا من خلال شخصية غى مولى « بطل » السويس · لقد كانت فرنسا اصدق حليف لهم · وطائرات (ميراج) الفرنسية هى الحامية لاسرائيل فى نظر رجل الشارع · اما سياسة دى غول تجاه العالم الثالث فلم تبد فى مستهل الازمة مناهضة لمصالح اسرائيل وكانوا يرون فيه السياسى الوحيد

القادر ــ بما اوتيه من مهــارة وحنكــة ــ على التوفيــق بينهــم وبين القوميات العربية الفتية، ويقولون : ان فرنسا تعمل على اكتساب ود العالم الثالث لاسباب ربما رضى الاسرائيليون عن بعضها • وقــد ابدى الكثير منهم ارتياحهم لاستقلال اقطار افريقيا الشمالية لاسيما من لم يكونوا من ابنائها • وبالتالى فلا احد من الاسرائيليين يسلم بانه استعمارى ، ويؤكدون انهم ديمقراطيون واشتراكيــون وليس بينهم من ناهض استقلال الجزائر عدا بعض الرجعيين • اما الاوساط الحاكمة فانها اعتقدت يومئذ ان سياسة دى غول بالجزائر غير متعارضة مع عواطفه الودية تجاه اسرائيل •

نزعتان الى الحرب وجها لوجه ؟

ج· ل· ــ اما كانت تلحظ قبل الازمة بالجو السائد فى القاهرة اى نزعة للحــرب ؟

ا· و· ــ اقمت مرات فى مصر خلال الاشهر الاولى من سنة 1967 دون ان المح شيئا من ذلك او يتاح لى العثور على اى اندفاع من الداخل الى حرب اسرائيل · فمصــر منهمكــة من زمــن فى حــرب باليمــن والافكار منصرفة نحو النزاع القائم هناك وقد قلت لكم : انه لم يكن فى نية عبد الناصر ان يشن الحرب لا فى الاشهر القريبة ولا حتى فى السنين المقبلة ·

على انه بلغتنى خلال شهر ماى ــ فى الذورة من الازمــة ــ انبــاء مدققة مفادها ان مساعى ملحة يقوم بها عدد من الضباط لدى عبد الناصر ليتخذ مبادرة · وما لبثت هذه المساعى ان اشتدت وطــاتها ·

ج· ل· ــ هل كان من اثر فى تل ابيب او القدس لجو يمكن ان نسميه فى ايجاز دينامية توسعية » ؟

ج ف· ه· ــ لا ، ابدا · لم يؤثر فى اى تصريح رسمــى ولا فى اية ظاهرة للراى العام ما يشعر بنزعة من هذا الصنف · وابــرز ما استرعى نظرى منذ حلولى هناك ظاهرتان متلازمتان : اولا هما اصرار الاسرائيليين البات على عدم وضع انفسهم مكان الطــرف المقابــل ورفضهم اية محاولة لفهم القضايا العربية على وجهها ، والثانيــة يقينهم الراسخ بموقفهم الدفاعى ازاء العرب · وتجد معظمهم يقولون خبروا مجرى الاحداث او لم يخبروها : « ربما اضطررنا الى الحرب ونحن نبغضها ، ولئن لم نفعل فسوف ياتى علينا العدو تدريجيا طال

الزمان او قصر رغم قوتنــا الرادعة » • على انهــم يأبون كل الاباء التسليم بانهم يبيتون شن حرب توسعية واذا سئلوا فى ذلك احتدم غضبهم ورددوا نغمتهم المعلومة وهى وجوب الاحتفاظ بكيانهم ضمن الاحيــاء وعدم الاستسلام لــلابادة الماحقة • لقد عيل صبرهــم من مناقشتهم حقهم فى الحياة ومن الاضطلاع بمهمة اثباته بلا انتهاء وان هو عندهم شىء حاصل لاريب فيه ، بيد انهم لا يضمرون فى انفسهم اخذا بالثار او تسليط عقاب على الخصم او توسعا ترابيا •

وقد عمدت احيانا الى مقارنة قضيتهم بقضية « الارجل السود » بافريقيا الشمالية لكنهم ينكرون اى وجه للشبه بينهم وبين وضعية استعمارية من النمط المغربى فلفظة « رجل سوداء » وحدها تثيــر الحنق لا فى التقدميين فحسب ، بل حتى فى المحافظين الصهيونيين الاكثر اتزانــا •

ج• ل• ــ الــم يكشف لــك فى مطــاوى الذهنيــة الجماعيــة للاسرائيليين قبل الازمــة ما يشعر بتصيدهم احدى الفرص بغيــة تحقيق اهداف بعيدة ؟

ج• ف• ه• ــ هنا ساكون اكثر ترددا فى الجواب لاننا خرجنــا عن المدلول الضيق للفظ « التوسع » فان اريد به الغــزو فانا انفى ذلك يقينا • اما بخصوص « الاهداف البعيدة المدى » فلا امتــراء ان تخضيد شوكة العرب وتجريدهم من قواهم الحربية والاطاحــة عند الاقتضاء بالعدو الاول والخصم الحقيقى عبد الناصر كانت تخامر جميع الاذهان باستثناء اقصى اليسار • لكن القوميين ، سذجا وغير سذج ، يرون فى ذلك طريقة الى فض قضية السلم •

ج• ل• ــ يبدو لى كأن العرب لم يتصوروا الموقف الاسرائيلى على هذا المنوال ، أليس كذلك ؟

ا• ر• ــ العرب يجزمون ان الاسرائيليين توسعيون ولهم فى ذلك يقين راسخ تؤيده احداث عدة : أولها ما عمدت اليه اسرائيل سنة 1948 من توسيع ما منحته من طرف الامــم المتحدة ، ثانيا رفضهــا

التخلي عما افتكته باعتباره غنيمة حربية ، ثالثا حملة سيناء سنة 1956 . كما لم ينسوا يومئذ محاولتها بكل ما لديها من الوسائل الاحتفاظ بسيناء وشرم الشيخ وهي نفس المشاكل القائمة اليوم... والعرب يستشهدون في هذا الصدد بالكثير من اقوال السيد (بيجين) زعيم حزب (حيروث) الذي ما فتيء يردد ان على اسرائيل ان تسترجع جميع اراضي فلسطين المنصوص عليها في التوراة ، ويضيفون الى ذلك ان القادة المسؤولين انفسهم امثال بن غريون واشكول يشاطرون السيد (بيجين) في بعض آرائه وها هو بين يدي الآن تصريح أدلى به السيد أشكول ونشر في 13 جانفي 1967 بصحيفة (لوموند) (Le Monde) قال فيه : « اننا غير مستعدين للتنازل ولو عن شبر من وطننا، وينبغي التفاوض على قاعدة الاعتراف بالوضع الراهن . لقد اقتطع جانب من التراب الفلسطيني اثناء الحرب العالمية الاولى اثر اتفاقية (سيكس ـ بيكو) ، ثم فصل عنها جزء ثان عند احداث منطقة شرقي الاردن من طرف تشرشل ، وجزء ثالث اقتطع اخيرا سنة 1948 . ولا قبل لنا بتحمل عملية بتر رابعة ». واردف قائلا: « لم يبق لنا سوى عشرين الف ميل مربع من تراب فلسطين القديمة، وعلينا ان نفكر بشان الملايين من اليهود الذين سوف يهاجرون خلال عشرات السنين المقبلة من اقطار روسيا واروبا الغربية والولايات المتحدة». وبتعبير اوضح يعتبر السيد اشكول ان جزءا من العراق واخر من سوريا وشرقي الاردن (وبالطبع الضفة الغربية منه) تمثل قسما من « فلسطين التاريخية » .

من غير شك ان السيد اشكول لم يبلغ الابعاد التي وصلها السيد (بيجين) فيطالب على غراره بالعودة الى حدود (ارض الميعاد) ، غير ان تصريحه يفيد بمنتهى الوضوح ان استرجاع هذه المناطق حق « اختياري » لاسرائيل ان تمارسه متى شاءت . لكن العرب يرون ان الاسرائيليين وان عجزوا اليوم عن تحقيق حلمهم فهم لا محالة سيحققونه غدا او بعده ليمكنهم ايواء ملايين اليهود المنتظر قدومهم الى اسرائيل .

ج. ف. ه. ـ لكن بما انك لا تفتأ تلتمس الاعذار للمهاترات اللفظية الدائمة التي يتوخاها العرب ، فلماذا يقع غض الطرف

ايضا عن بعض التاكيدات النادرة المصطبغة بالتطرف والصادرة عن الصهيونيين ؟

• و• ـ يخشى أن تعمل الاحداث الاخيرة لهذه الحرب ولا سيما الحاق القدس على زيادة ارساخ العرب فى وجهات نظرهم بهذا الصدد •••

ج• ل• ـ لقد حل باسرائيل خلال السنوات الاخيرة عدد متزايد من اليهود القادمين اليها من البحر الابيض المتوسط ولا سيما من المغرب والشرق الاوسط ،فهل يمكن التفكير بان هؤلاء الوافدين سيعينون على تفاهم اكثر بين اسرائيل والعرب ؟

ج• ف• ه• ـ صحيح انه تزايد عدد اليهود النازحين من افريقيا الشمالية والشرق الاوسط ، لكن ثقلهم السياسى لم يزدد حسب نسبتهم العددية • ومن اوكد ما يعنى به بعض زعماء الاحزاب السياسية الحرص على عدم تمثيل اليهود « الشرقيين » ـ الـ (سيفارديم) كما يسمونهم هناك ـ على نسبة اهمية عددهم • وهم فى مجموعهم ـ الا استثناءات قليلة ـ عناصر قدمت من البلاد المتخلفة •

وفى الواقع يوجد لدى يهود افريقيا الشمالية عداء مستحكم ازاء العالم العربى • ولا غروفهم جلوا عنها فى ظروف مؤلمة لم تُنمح بعد ذكراها من نفوسهم لقرب عهدهم بها • على ا ننا هنا ازاء اناس اقل تطورا فى المجالين الثقافى والسياسى ، فهم لهذا السبب اكثر انقيادا للعواطف الهوجاء •

ج• ل• ـ لقد كانت الاقلية العربية باسرائيل تجتاز مرحلة تطوير لا وضاعها ، وذلك على الاقل فيما يرجع لتطبيق النظام الخاص بها • وفى المدة الاخيرة اتخذت حكومة اشكول بعض القرارات بشان تحسين وضعية هذا الصنف من اصناف المواطنين • فهل شعرت بان هذه التحويرات وقعت موقعا حسنا من مجموع الراى العام الاسرائيلى ، وهل من شانها ان تحول الاتجاه العام للدولة اليهودية ازاء العالم العربى ؟

ج. ف. ه. ــ ان وضع العرب باسرائيل تحسن كثيرا خــلال السنة الماضية ، وكانوا اشبه بالمقيميــن تحت الرقابــة الاداريــة . لكن لم يحصل تحوير النظام الخاص بهم فعليا الا قبل نشوب النزاع المسلح بشهرين ولم اشهد باسرائيل اى امتعاض من هذا التحوير .

II - بـــدء النـــزاع



ج. ل. ـ ما هي في نظرك العوامل التي حدت بعبد الناصر حوالي 10 ماي 1967 الى تهويل الجو واكسائه ثوب الكارثــة ؟

ا. ر. ـ فيما اعتقد ، كان تعكير الجــو في حدود 10 ماي مقصودا من عبد الناصر الى حدما ، لكنه من جانب اخر فرض عليه فرضا . ففي ذلك التاريخ كانت على مكتبه اربعة تقارير من اربع مصالح سرية مختلفة للاستعلامــات كلها تحــوم حــول حشد القــوى المسلحــة الاسرائيلية على حدود سوريا ، احدها صادر عن مصالحه الخاصة ، وثان عن السوفياتيين ، وثالث وارد من سوريا ، واخيرا تقرير مــن لبنان. وهكذا كان مقتنعا في 10 ماي، عن خطأ أوصواب، ان اسرائيل تتاهب لشن عملية حربية متسعة مستهدفة قلب النظام السورى حليفه وصديقه . وفي 12 ماي تاكدت مخاوفه بما تجلى من موقف القــادة الاسرائيليين انفسهم ، فقد نقلت الصحافة البريطانيــة فــي ذلك التاريخ تصريحات للمسؤولين الاسرائيليين مفادها ان الهدف المرسوم للعملية العسكرية المقبلة ضد سوريا هو الاطاحــة بنظام الحكم في دمشق .

ج. ل. ـ والآن هل تبــدو لك تلك الاقــوال جــادة ؟ اما كانت الصحافة الانجليزية تعمد الى المبالغة وحتى الى جس النبض ؟

ا. ر. ـ كلا، فالصحافة الانجليزية لم تخبر عن تجمعات للجنود، انما اقتصرت على مجرد نقل تصريحات رسمية لم يقع تكذيبها فيما

بعد • وليس ثمة ما يحملنى على التشكك فيما صرح به القادة الاسرائيليون من اعتزامهم قلب نظام الحكم بدمشق • وبالتالى ، ليست تلك هى المرة الاولى التى يتحدث فيها الجنرال (رابين) رئيس اركان الحرب الاسرائيلى بهذا الشان وبمثل لهجته تلك •

ج• ل• ـ مع التزام صيغة الشرط ، فيما اظن •

ا• ر• ـ قال الجنرال (رابين) ما فحواه : « لقد فعلنا كل شىء لصد حملات الفدائيين والان لم يبق الا ان نعمد الى قلب نظام دمشق » ، وكان تفوه بذلك قبل 12 ماى بعدة اسابيع • اما الحكومة الاسرائيلية فانها اكتفت بتكذيب خبر احتشاد الجنود • فهل كانت اسرائيل تعتزم شن حملتها يوم 17 ماى ـ كما يؤكده عبد الناصر ـ ام بعده ؟ ذلك ما يصعب تحقيقه • ومهما كان الامر ، فقد اقتنع الرئيس المصرى بان ساعة الهجوم تقترب ، وهو ما تؤكده الاوساط العليمة بالقاهرة •

سحب القبعات الزرق

ج. ل. ـ لقد انكروا فى اسرائيل وجود هذه التجمعات من الجند فى الشمال ، وعرضت السلط على السفير السوفياتى ان يذهب بنفسه لمعاينة منطقة الحدود فرفض . وتقول الاوساط الاسرائيلية ان وفدا من الامم المتحدة عاين الحدود فلم يلف فيها شيئا غير عادى .

ا. و. ـ من الغريب ان يطلب الى سفير ليست له خبرة بالشؤون الحربية تفقد مناطق الحدود ليثق انه لم تكن بها قبل ايام تجمعات من الجند ، وحتى لو كان هذا المدعو من الخبراء العسكريين فانه لا يتاح له فى مثل تلك الظروف ان يقوم بتحريات جدية . ولا شك ان مصالح الاستعلامات السوفياتية اوفر مؤهلات لمثل هذا العمل واقدر على تاديته على وجهه من اى موظف بالسلك الديبلوماسى . وانا بالتالى اتساءل : الى اية درجة بلغت الاستعدادات الحربية الاسرائيلية حتى آل امرها الى تجمعات ضخمة كما يزعمه المصريون. ان اسرائيل بلد صغير الرقعة يستطيع ان يحشد جنوده ويجعلها على اهبة القتال فى ظرف ساعات كما يعلمه كل احد ، ولا يحتاج الاسطول الجوى الاسرائيلى الى مبارحة قواعده المعتادة اذ ان الطائرات على بعد بضع دقائق تحليقا عن الحدود السورية . ومعلوم ان اسرائيل قصفت ضاحية دمشق يوم 7 افريل دون ان تعمد الى « تجمع » الجنود .

وفى الواقع اننا الان نتناقش حول موضوع ثانوى . فالمهم هو ان نعلم هل اعتزمت اسرائيل شن حملتها ام لا ؟ لقد راينا كيف ان القادة الاسرائيليين لم يجحدوا رغبتهم فى قلب النظام البعثى بدمشق وكان من الصعب عدم تصديقهم فيما افصحوا عنه . فهم

يقومون منذ اشهر بعمليات لرد الفعل والاخذ بالثار تتسع دائرتها يوما فيوما ، ومنذ شهرى جويلية واوت 1966 تعددت الاصطدامات المسلحة مع سوريا حتى افضى الامر الى قصف يوم 7 افريل الـذى وجه ضد دمشق . لكن غارات التخريب التى تشرف سوريـا على تدريب وتوجيه القائمين بها ـ فيما تذكره تل ابيب ـ لم تنقطـع ، وكان لزاما على اسرائيل التى اخذت بمبدا التسلق فى رد الفعـل وخضعت لاحكامه ان تجعل الضربـة التاليـة بالغـة القسـوة . والاسرائيليون يقولون اليوم : « لم يكن قصدنا مهاجمة سوريا » ، وانا ربما صدقتهم . لكن ينبغى ان نحاول وضع انفسنا موضع مـن اعدت لهم الضربة بعد ان تلقوا كثيرا غيرها ، ان لهم اسبابا وجيهة لان يسيؤوا الظـن .

كان عبد الناصر اذن فى 10 ماى مقتنعا بان شيئا ما يهيأ فى الخفاء وشعر انه وقع فى الفخ : فان هو لم يرد الفعل كما سبق منـه فى واقعة 13 نوفمبر حين حمل الاسرائيليون حملتهم الشعواء على قـرية السموع الاردنية وفى 7 افريل عند قذفهـم ضاحية دمشق فلا مفر من ان يناله من جراء ذلك ما يفقده مكانته لدى العرب ، بل ربمـا كانت الضربة القاضية عليه فى صورة انهيار الحكم السورى . اما اذا تدخل فى النزاع فهى الحرب لا محالة ، وهو لا يريدها لانشغال جانب هام من جيشه باليمن ـ على الاقل ـ .

واختار عندئذ ان يسلك طريقة وسطا باللجوء الى الايهام فعمد الى تعكير الحالة وبعث جو من الفزع . لكن ما فعل لتحقيق غايته تلك ؟ هل وجه بجنوده خفية الى الحدود كى يعد حملة خاطفـة يشنها على اسرائيل ؟ كلا ، انما امر أن تستعرض الجنود بشوارع العاصمة فى رابعة النهار يتقدمها طاقم الموسيقى العسكرية ، تمامـا كما تفعـل وحدات الجيش الفرنسى وهى تخترق (ساحة الكونكورد) سـاعة ازدحامها متجهة الى الحدود الالمـانية . واتسـم المظهـر المسـرحى للمناورة بسمة المهزلة فقد أمر الجنود ان تمر فى سيرها امام نوافذ سفارة الولايات المتحدة بالقاهرة ... ولم يعزب عن انظار الاميريكان المغزى المقصود من ذلك فقال لى احد ديبلوماسييهم : « من الواضح

ان عبد الناصر قصد ايهامنا انه مصمم على الذود عن سوريا مهما كلفه ذلك ، فكانما كان يوجه الينا بانذار ظانا ان ذلك يدفعنا الى تسليط ضغط على اسرائيل حتى يسلم نظام دمشق » ٠

ثم وصلت الجنود المصرية الى الحدود الاسرائيلية ٠ ولكى تنطلى المناورة وتحمل على الجد راى ان يلتمس سحب القاوى المرابطة بين البلدين ولاذ مع هذا بجانب الحيطة فلم يطلب بنفسه من السيد (ثانت) سحب جنوده من المنطقة اذ يكتسب مسعاه عندئذ صبغة رسمية فلا يمكن التراجع فيه ٠ انما التمس قائد الجيش المصرى بسيناء من الجنرال (ريكهى) قائد الجنود الاممية ان يبعد رجاله مؤقتا عن الحدود ريثما تنفرج الازمة ، لان الموضوع لم يتناول يومئذ سحب « القبعات الزرق » عن التراب المصرى فضلا عن تعويضات فى شرم الشيخ بجنود مصريين وإنما انحصر فى قضية محلية صرف ٠

لكن الجنرال (ريكهى) اجاب زميله المصرى بقوله : « لست مأذونا لان اتخذ مثل هذا الاجراء ولا من شانك انت ان توجه الى بالتعليمات٠ فللرئيس عبد الناصر وحده الحق بان يتقدم بمثل هذا الطلب الى السيد (ثانت) ٠

ويضطر عندئذ عبد الناصر الى ان يطلب من السيد (ثانت) سحب الجنود الاممية عن الحدود ، وفى هذه المرة ايضا لا يتعرض فى طلبه الى شرم الشيخ ٠ فمن الواضح انه لم ينو انذاك اغلاق مضيق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية ٠

وكان رد السيد (ثانت) مثيرا للدهش ، وذلك اقل ما يقال فيه ٠ فقد اجاب بما فحواه : لا يسعنى الاستجابة لطلبكم لان وظيفتى الحفاظ على السلم ٠ وان اصررتم على التخلص من « القبعات الزرق » المرابطة على الحدود فعليكم اجلاء سائر الجنود الاممية عن مصر ٠

وهكذا يضع السيد (ثانت) عبد الناصر فى موقف بالغ الاحراج ٠ لكن الرئيس المصرى يؤثر الحفاظ على المظهر فيطالب

فى غير ما تردد بترحيل الرجال الذين مكنوه طيلة احدى عشـرة سنة من تفادى مجابهة مسلحة مع اسرائيل ٠

وهنا ايضا كان سلوك الكاتب العام للمنظمة الاممية غريبـا ٠ فبدل ان يتمهل اياما يغتنمها مثلا فى استشارة الدول الكبرى او مجلس الامن استجاب من فوره للطلب ٠ ولا شك ان لمصر الحق بأن تطلب متى شاءت سحب القوات الاممية عن ارضها ، لكن لا عـذر مطلقـا للسيد (ثانت) فى تسرعه ان نحن اعتبرنا الاحداث المتـرتبة عن سلوكـه ٠

مستنـــدات السيـــد ثـــانت

ج• ل• ـ هل تعتقد ان عبد الناصر قدر قيام معارضة من السيد (ثانت) قد تطول بعض الوقت فتفسح له المجال لتنسيق خطتـه الاستراتيجية وبعث الازمـة الديبلومـاسية العتيدة التى كان يامل الكثير من ورائها ؟

ا• و• ـ اظن ذلك ، بل اجزم بصحته لان من تحدثت اليهم مـن المسؤولين المصريين كـانوا اول المتعجبين مـن تسـرع السيد (ثانت) •

فموقف الكاتب العام للمنظمة الاممية غير مفهوم مطلقـا • وقد قدم افتراضان متناقضان لتعليله : فالبعض ذهب الى انه كان يرمى الى احراج الاميريكيين بالشرق الاوسط بغيـة حملهـم على التخلى تدريجيا عن قضية الفيتنام ، وزعم آخرون ان الاميريكيين هم الذين شجعوه على ذلك ليكشفوا تزييف عبد الناصر ويزعزعوا مكانته • وانصار هذا الافتراض هم الذين يعتقدون ان الاميريكيين يضمرون الشر لعبد الناصر ويتربصون به منذ زمـن ، فاغتنمـوا الفـرصة لالجائـه الى اخر معقل له والقضاء على مكانته وربما الاطاحة بـه •

ج• ل• ـ هل لاحظتم عند سبركم الراى العام المصرى فى ماى 1967 انه يعد حضور « القبعات الزرق » على طول الحدود الاسرائيلية وفى شرم الشيخ نيلا من كرامتة واثرا من مخالفات واقعة السويس لاقبل له باحتمالـه ؟

ا• و• ـ اجل ، ولكنه شعور اقل بكثير فى مصر منه فى بقيـة العالم العربى • وكما تعلم فان المصريين لم يكونوا متحمسين لقضية

فلسطين ولا يضايقهم كثيرا — في رايي — وجود جنود الامم المتحدة هناك مادام ذلك بموافقة رئيسهم • اما في بقية الاقطار العربية فانهم ينتظرون بفارغ صبر محو هذا الاثر لحملة السويس • ومنذ سنوات تندد عدة بلدان عربية بموقف الجمهورية العربية المتحدة بهذا الشان وتتهمها « بالتواطؤ » مع الصهيونيين ، كما يحاول خصوم عبد الناصر النيل من سمعته لدى الجماهير العربية وينحون باللائمة عليه لسماحه بمرابطة قوى اجنبية في التراب المصرى لتامين عبور السفن الاسرائيلية في مضيق تيران • ولقد قيل لي في القاهرة : ان الاذاعة الاسرائيلية باللسان العربي ساهمت في شن هذه الحملة المنسقة من الثلب والتشهير لكن على منوال ابلغ مهارة والطف مفعولا •

وتصدى عبد الناصر طيلة احدى عشرة سنة لمعارضة هذه الحملات الموجهة للضغط عليه • والذين يعرفونه لم يخفوا عني انها كانت تؤلمه بنيلها منه لكنه يعلم حق العلم ان غلق مضيق تيران سوف يعتبر من اسرائيل « مدعاة حرب » ، وذلك ما قاله للقادة السوريين والعراقيين عندما حلوا بالقاهرة في افريل 1963 للتفاوض معه بشان اتفاقية وحدة فيديرالية وواجهوه بقولهم : « آن الاوان لتطلبوا انسحاب قوات الامم المتحدة • فمن العار علينا نحن العرب ان نهضم غزوا اسرائيليا (حملة السويس سنة 1956 وان نسمح لعدونا بتنمية علاقاته التجارية مع القارتين الافريقية والاسيوية • ان عليكم ان تمنعوا بواخره من عبور المضيق » • وقيل : ان عبد الناصر جابههم بان اتخاذ اجراء كهذا يؤدى الى الحرب وليس في وضع العرب الراهن ما يؤهلهم لكسبها • وهو لم يغير رايه هذا سنة 1967 ، الا ان موقف السيد (ثانت) اعان على دفعه الى المغامرة •

ج• ف• هـ• — اذن ، فاستعراضات الجنود بالقاهرة وزحف الجيوش المصرية بسيناء وطلب انسحاب « القبعات الزرق » وكل ما كان من « مبادرات » الرئيس المصرى (اذا استثنينا خليج العقبة ، ومن بعض الاوجه ايضا) هي في رايك مجرد ذر رماد في الاعين ، وانسحاب جنود (يوثانت) المستعجل وغير المفهوم هو الذى حول كل هذا المسرح المنمق الى تهديد صريح بالحرب ، او هو عد كذلك في نظر اسرائيل ؟ وانا قد اجاريك لكني اشعر ان هذا يتيح الكثير

من ظروف التخفيف لاسرائيل فى ردها الفعل بالطريقة التى تعلمها . ذلك ان من يوغل فى الاخراج المسرحـى الى هذا الحـد يبتغـى ان يؤخذ مأخذ الجد من طرف النظارة . ولقد وفق عبد الناصر ... فوق ما كان يامل ، فلا يليق به ان يتشكى .

ا. و. ـ لم تكن هناك مسرحية كما تقول وانما هى سلسلة من الاحداث اخذها المصريون بالجد ، كل الجد . فلم يكن بوسعهم ان يحتملوا الى ما لا نهاية له مضاعفات السياسة الاسرائيلية التى بدت وكأن ليس لجاراتها حدود . وكان الخطر الجـاثم على سوريـا يتجلى لاعينهم امرا واقعا لاريب فيه كما قلت انفا ، فحـاول عبد الناصر درأه بالجوء الى تخويف الخصم لكنه اخطأ فى انتقدير خطـأ فـاحشا دفع ثمنه غاليا .

وليس طلب سحب القوات الاممية هو هفوته الوحيدة ، فقد كان بمقدوره حتى بعد ترحيلهم ان لا يعوضهم بجنود مصريين فى شرم الشيخ وان يتخذ من الازمة السائدة على الحدود الاسرائيلية ذريعة الى تجنب مكافحة على شواطىء خليج العقبة، واذن لانقذ المظهر وربما انقذ السلم ايضا .

فلم لم يتصرف على هذا النسق وهو الذى لا يريد اثـارة حرب ؟

لقد توجهت بهذا السؤال الى احدى الشخصيات السامية مـن المصريـين فأجابتنى : « من الميسور فى حـالات الهـدوء ان ينقـذ الانسان هفواته الماضية وان ينظر فيما كان يجب عليه ان يفعله او يتركه ، اما فى حدة العمل فالامر له شان آخر . اراد عبد النـاصر وهو يقتحم معركة ديبلوماسية ـ وربما عسكرية ـ صعبة ان يضع كل اوراقه الرابحة فى الرهان ، وبما انه فى مسيس الحاجـة الى مساندة جميع البلاد العربية فقد كان عليه ان يعزل دعاية منتقصيه الذين يصغـونه بـانـه « عميل صهيونى » ، وغلق مضيق تـيران صورة من صور تبرئـة نفسه مما يلمز به » .

وفى الواقع ، يبدو من مجرى الاحـداث ان عبد النـاصر فقد توازنه وانهارات اعصابه مذ امسى يعتقد انه الضحية المقصودة من

تألب الاسرائيليين والاميريكان ٠ ومهما تكن قيمة رجل دولة فانه لايكون فى حرز من تسلط الهلع والاضطراب عليه ٠

•ج ف• ه• ـ انا مرتاح لسماع هذه الكلمة منك ، على انها تصدق فى الاتجاهين !

مغـــامـرة العقبـــة

ج٠ل٠ ــ عندما اجتاز عبد الناصر مرحلة اجرائـه « المسرحى » المتضمن طلب سحب جزئـى لجنود « القبعات الزرق » من منطقـة بالحـدود وتطرق الى اتخاذ تدابير عملية خطيرة هى احتلال شرم الشيخ (الذى تسبب فيه قرار (يوثانت) بالخصوصـ) والحصار الذى ضرب على العقبة ــ كان يعلـم انـه اقدم على عمل هو « مدعاة حرب » ، كما يعلم فى 22 ماى عند اعلانه ضرب الحصار على تيـران انه اصبح قاب قوسين من حرب داهمة ٠ فهل هذا صحيح ؟

٠١ ر٠ ــ هو صحيح فى مستهل الفترة ٠ لكن عبد الناصر تعلل فيما بعد بانه سيوفق الى الخروج من ورطته فى غير مشقة ٠ وكنت قبل اندلاع الحـرب لقيت بعض المسؤولين فالفيتهم يذهبون فى تخميناتهم الى ان حصار ميناء (ايلات) لا يعتبر مسالة حياة او موت بالنسبة للاسرائيليين مهما قالوا ٠ ذلك ان هذا المرفا لا يتناول الا 5٪ من التجارة الخارجية الاسرائيلية ، منها 3٪ على الاقل لا ينسحب عليها اجراء غلق خليج العقبة اذ لا يساهم فى حركة نقل البضائـع به سوى عدد قليل من بواخرهم٠ انما الضربة القاسية ستحل بالنفط المستورد ، لكنه حتى سنة 1956 كان يصل عن طريق حيفا ٠

فالمصريون اعتقدوا ان الدولة اليهودية غير جادة تمام الجد فى قولها حين ذهبت الى ان الحالة « مدعاة حرب » فكانوا على الـرغـم من ذلك يأملون تفاديها ٠

ج٠ ل٠ ــ لم يوجه الاسرائيليون انذاراتهم فى صورة خطب دعائية بل عهدوا الى السفيرين : الفرنسى والاميريكى ان ينذرا القاهرة بما قد يترتب من الخطر عن ضرب الحصار على خليج العقبة ٠ وكان

عبد الناصر انذر فيما قبل بخصوص ما هو معتبر فى نظر اسرائيل موجب اثارة للحرب وينحصر فى امرين: تحويل مجموع مياه الاردن وغلق مضيق تيران ، ولم تكن هذه الاقوال مما يلقى جزافا بل هى انذارات تم ابلاغها عن الطريق الديبلوماسى وزيادة على ذلك فان الاميريكيين بلغوا اقصى حد سنة 1956 فى تعهدهم بضمان الحرية للسفن فى عبور المضيق ، والقـاهرة تعلم كل هذا وتعلم ان الامر يتعلق باشياء خطرة ٠

ا٠ و٠ ـ لا شك ان عبد الناصر اخذ القضية مأخذ الجد ٠ لكنه كان يامل ـ ابتداء من وضع المشكلة فى اطـار الامـر المقضى ـ ان يصل بواسطة الضغوط الدولية الى حل وسط يحفظ لمصر حقوقها ٠

ج٠ ل٠ ـ هل يمكن القول عن عبد الناصر انه وجد نفسه ـ ابتداء من 20 ماى 1967 تقريبا ـ ماخوذا بين خطرين : خطر الظهور بمظهر العميل الصهيونى لدى العرب فيفقد كيانه بينهم ، وخطر المغامـرة فى حرب ناجزة مع اسرائيل ، فاثـر يومئذ المغامرة فى الحرب على فقدان مكانته واصدقائـه معـا ؟

ا٠ و٠ ـ اجل لابد ان يكون اقدم على هذا الاختيار ٠ لكن لا تنس انه اوضح ايضا فى خطاب تخليه عن الحكم انه انما ركب ذلك الخطر من اجل انقاذ نظام الحكم السورى ومن ثم انقاذ نظامه هو ٠ واكرر القول ان الرجل كان مقتنعا ، عن اصابة او خطأ ، بان الاميريكيين يضمرون السوء لنظـامه ٠ وعلى الرغم من ذلك ما انفك يامل وان املا ضئيـلا فى الحيلولة دون الحـرب بالتاثير على الدولتين المساندتين لاسرائيل وهما : الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى٠ فمن ذلك انه اعلن قبل نشوب القتال ان مصر ستغلق قنال السويس فى وجه الدول التى تؤيد اسرائيل لتقطع طريقها الى ينابيع البترول ٠ وفى الوقت نفسه عمدت الحكومة المصرية الى الضغط على نقابات عملة النفط فهددوا بشن الاضراب لنفس الغرض ٠ ويقول عبد الناصر فى ندوتـه الصحفية التى عقدها يوم 28 ماى : انى اناهض تخريب المنشآت البترولية ، لكن حكومات البلاد المنتجة بوسعها ان تمنع او توقف ضخ النفط ٠

وارسل (يوثانت) برقية بتاريخ 22 ماى الى عبد الناصر يطلب مقابلته فلبى الرئيس المصرى الرغبة لحينه املا ان يصل معه الى حل مشرف كما قيل لى فى القاهرة • وتم بين الرجلين اتفاق سرى هناك دون ان يصلا الى حل جذرى بل انحصر الامر فيما يلي : اولا اتخاذ اجراءات لتهدئة الجـو كأن يتجنب الطرفـان ما من شانه مضـاعفة التوتر القائـم بينهما ، ثـانيا قبل عبد الناصـر ان يعيـن السيد (ثانت) ممثلا خاصا له يناط به التردد بين القاهرة وتـل ابيب لايجاد قاعدة للتفاهم بشان مشكل تيران ، ثالثا ان يتوجه (ثانت) بنداء الى سائـر الدول حتى تمتنع عن تزويد ميناء (ايلات) بالمواد الاستراتيجية ، وريثما يبرم اتفاق فى الموضوع تسلم الشحنات عن طريق حيفا (كما كان الامر قبل سنة 1956) •

وخلافا لما تبادر يومئذ الى الاذهان وتسبب فيه قصر مدة اقامة الامين العام بالقاهرة فان عبد الناصر ابدى مزيد التفهم والاعتدال متقبلا اقتراحات السيد (ثانت) الذى ما لبث ان عاد الى نيويورك •

وبعد اسبوع وجه (جونسن) بممثله الخاص (شارل يوست) الى القاهرة فى زيارة بقيت طى الكتمان لم يستقبلـه خلالهـا عبد الناصر لكنه اجتمع بوزير الشؤون الخارجية محمود رياض ، وابرم بينهما اتفاق مبدئـى تضمن النقط التالية :

اولا) يجب ان تتابع الجهود على الصعيد الديبلوماسى من اجل حل المشاكل حلا سليما •

ثانيا) تتعهد مصر بان لا تعارض فى رفع مشكل مضيق تيـران الى محكمة لا هاى الاممية •• (لكن كما جرى اثـر تاميم شركـة القنال سنة 1956 ، لم يحاول احد رفع القضية الى رجال القانـون ليصدروا فيهـا حكمهم • والواقـع ان اهم مستند تعتمده تل أبيب لا يكتسى صبغة قانونية ، فجوهر حجتها يرجـع الى انهـا حققت لنفسها حرية العبور بالمضيق اثر حملة سيناء ولن تسمح لمصر ان تنازعها ثمرة انتصارها سنة 1956) •

ثالثا) يتحول زكرياء محى الدين النائب الاول لرئيس الجمهورية

الى واشنطن للتفاوض بشان حل وسط يرضى الطرفين • وقد علمنا فيما بعد ان مصر كانت مستعدة للتسامح فى عبور النفط الى ميناء (ايلات) • وعلى ذلك فتجارة اسرائيل وتموينها لم يكونا ــ عمليا ــ مهددين بخطر من جراء نصب الرقابة المصرية على مضيق تيران •

وبارح (شارل يوست) القاهرة يوم السبت 3 جوان ــ يومين قبل الحرب ــ مطمئنا المصريين ومؤكدا لهم ان اسرائيل لن تهاجمهم ما دامت المداولات جارية على الصعيد الديبلوماسي • وكان عبد الناصر اقرب الى الطمانينة دون وقوع حرب •

ج• ل• ــ لنرجع الى اسرائيل • هل باستطاعتك ان تشرح لنا الان الاسباب التى حملت القادة على التصلب فى مواقفهم حوالى 15 ماى ؟

ج• ف• هـ• ــ ان انا اعتقدت اقوال من لاقيتهم من القادة يومئذ فلا اثر لخطة من الجانب الاسرائيلى تعتمد انتهاز اول فرصة للانتهاء مرة واحدة من الخصومة مع « التقدمية العربية » ، كما انه لم تك للاسرائيليين مطالب ترابية ، وكل هذه الافكار ظهرت بعد الحرب • وانما مرد التصلب الاسرائيلى الى اسباب خارجية تتصل بما اعتبر بالمكانة الاولى اعمالا عدائية سافرة صدرت عن سوريا • لقد كان الشان يدعو الى الحيلولة دون التسلق السورى ولا شك ان الاسرائيليين ردوا الفعل بادىء الامر باسقاط عدة طائرات سورية •

ج• ل• ــ اما كانت غارة افريل على دمشق ردعا كافيا فى حد ذاته ؟

ج• ف• هـ• ــ لكن ها هم المصريون بدورهم يغلقون خليج العقبة ردا للمثل بالمثل ، ولا ينتظر اى تنازل من احد الطرفين للاخر فى ذلك الجو البالغ التوتر مع عدم قيام سلم قارة بينهما • لقد كانت حالة عدم الحرب والهدنة القابلة للخرق تعتمد على مجرد توازن القوى المتقابلة • والواقع ان اسرائيل شعرت بقوتها النسبية فى

الحقل العسكرى لكنها ليست اقل من ذلك احساسا بانها تعيش وسط عالم تعده معاديا لها ٠

ان الاسرائيليين يعتقدون ان لا حاجز يصد عنهم العرب سوى الخوف ، الخوف من قوة اسرائيل الرادعة ٠ وبالتالى فعبد الناصر لا يتحاشى التصريح علنا بانه سيعمد الى تصفية قضية فلسطين بمجرد ما تتوفر لديه القوة العسكرية الكافية للتدخل ٠ لقد كان للدولة العبرية ان ترضى عن وضعها الذى هى فيه ، لكنها لا تقبل اثارة الجوار حوله ٠ وكانت التسربات السورية تمثل تجربة او نقطة انطلاق لتسلق عربى يعمل على تحطيم القوة الرادعة الاسرائيلية جزءا جزءا ٠ وربما تكون هذه النظرية موضوع نقاش الا انها على كل حال صادقة لا مؤاربة فيها ٠

نــدوة 28 مــاى الصحفيــة

ج٠ ل٠ ـ حدثتنا بخصوص القاهرة عما بذله الرئيس عبد الناصر فى اواخر ماى من جهود للبحث عن حل سلمــى ، لكنه فى النــدوة الصحفية التى عقدها يوم 28 ماى وحضرتها انت كان يتكلــم بلهجة التهديد ٠

٠١ ر٠ ـ كان عبد الناصر يومئذ شديد التوتر والتهيج العصبى ، مقطب الوجه عنيف اللهجة ٠ وكنا نجهل عندئذ انه اتخذ قرارا من الخطورة بمكان اثــر حديث اجراه فى الليلة السالفة مع السفير السوفياتــى ٠

ففى الليلة الواقعة بين يومى 26 و 27 ماى ايقظه ديبلوماســى روســى على الساعة الثالثة والنصف صباحا لابلاغــه رسالة من كوسيغين تحمل تنبيها له وتحذره من الاستسلام لضغط رجــال الجيش ـ بما فيهم المشير عامر نفسه ـ الذين كانوا يودون مهاجمة اسرائيل بعد ان اقتنع جانب منهم بانها تتاهب للمعركة حتى لاتدع لخصمها ثمرة المبادرة ٠ وروى لى شاهد عيان مناقشة عنيفة ثارت بين عبد الناصر وبعض الشبان من الضباط الــذين انحــوا عليه باللائمــة لعدم اتخاذه المبادرة بشن الحرب لكنه لم يتزحزح عن رايه قيد انملة مدعما اياه بان عدوانا مصريــا قد يفضى الى كارثــة على الصعيد السياسى العالمى ٠ وما فتىء يردد على الاسماع فى ندوته الصحفية يوم 28 ماى : لن نكون نحن الذين يسددون الضربة الاولى لاننا لا نريد الحرب ، لكن اذا ما اعتدى علينا فسيكون القضــاء على دولة اسرائيل ٠ ولا شك انه اخطأ فى تلفظه بهذا التهديد الذى مــا لبث الاسرائيليون ان استثمروه واتخــذوه ســلاحا لمقــاومته ٠ فلم

تسجل صحافتهم من بين تصريحاته كلها سوى الكلمة المشيرة الى تصفية الدولة الصهيونية ، وكان ذلك مما ينتظر عادة فى مثل الجو الذى تم خلقه باسرائيل ٠

على انه تقدم فى نفس الوقت بعرضين واقعيين من شانهما التمهيد الى حل الازمة فاقترح ان تقع المبادرة فى اقرب اجل الى بعث اللجنة المختلطة الاسرائيلية المصرية للهدنة التى كان باستطاعتها ان تحقق سحب قوات الطرفين عن الحدود ، وذهب الى ما ابعد فطلب نقاشا مستفيضا للقضية الفلسطينية على ان يقع التفاوض بوساطة من كبريات الدول حول كامل المشاكل الراهنة ٠ وقال أثناء الندوة مؤيدا وجهة نظره : ليست خصومة تيران الا ظاهرة ثانوية للنزاع القائم بين العرب واسرائيل ٠

ومن الغريب ان مرت الهيآت الرسمية الاسرائيلية بالعرضين مر الكرام ، والغالب على الظن انها كانت عندئذ قد قررت خطتها ٠

بيـــن العـــروض والتهديـــدات

ج. ل. ـ اشرت الى ما سميته ارادة عبد الناصر فى الظفر بـ « حـل مستفيض » للنزاع دون لجـوء الى الحـرب ، فهل تعتقـد ان مقترحاته المعدودة بهذا الصدد صادقـة وتهدف حقا الى التمهيـد لحل المشكلـة ؟

١. و. ـ الحـق ان القـادة المصريين لم يعتقدوا امكـانية قبـول القادة الاسرائيليين عرض عبد الناصر لتصفية القضية الفلسطينية تصفية شاملة لان معنى ذلك قبولهم النقاش حول « الوضع الراهن » الذى اشار اليه (هلد) والذى هو مقدس فى نظرهم . على انـه لا مفر لمن يشرع فى نقاش ما ان يقبل ضمنيا بالتنازل عن شـىء للخصم ، والمصريون يقولون : « امـا ان تكون للاسرائيليين رغبـة صادقة فى حل المشكلة وعندئذ لامناص لهم من قبول المناقشة حول كامل القضايا المتنازع فيها بما فى ذلك قضية اللاجئين الفلسطينيين والا فهم مصممون على مواصلة سياستهم التقليدية المتمثلة فى الحفاظ على ما اغتصبوه قهرا ، وعندها لا مفر من اللجوء الى العنف لاسترجاع حقوق العرب » .

ج. ف. هـ. ـ هنا لك فرق دقيق يجـب ان نلحظـه : فليست الاشياء متعارضة على هذا النحو من وجهة نظر اسرائيل اذ توجـد حلول وسطى بين « الوضع الراهن » وبين التنازلات غير المقبولـة . وانا اسلم لك عن طوع ان اسرائيل لم تعرض الحد الادنـى ممـا يجب التنازل عنه للعرب كى يجنحوا للتفاوض معها ، على انـى اعتقد مـع هذا ان القادة الاسرائيليين كانـوا مستعدين عن روية للتنازل بعض الشىء . لقد كانت هناك امكانية للنقاش .

•ا و• ـ انت تتحدث عن القادة الاسرائيليين وانا اعتقد ان هنـا لك خلطا فاحشا بين كلمتـى القادة الاسرائيليين ورجال السياسة الاسرائيليين • انك لم تخطىء من هذا الوجه يا (هلـد) : فبعض رجال السياسة الاسرائيليين ـ من بينهم ثلـة من اعضاء حـزبـى (مابام) و (ماباى) و (اورى افنيرى) ـ يقولون : « علينا ان نحمل العرب على التفاهم معنا بالتنازل لهم عـن بعض ما لـه اهميـة فى نظرهم » • لكن الحكومات الاسرائيلية لم تقل : انها مستعدة لتقديم تنازل اساسى • انما كان شعارهـا دومـا : « لن نتنازل عن شبر من الارض ، ولن نعيد لاجئا » •

ج• ف• هـ• ـ قبـل الأزمـة كان حتى (ديـان) الـذى اعتبـره متطرفا يتحدث بلهجة موضوعية ـ لا كما يفعل اليوم ـ عن نظـام فيديرالى بين فلسطين العربية واسرائيل •

ج• ل• ـ كيف كان رد الفعـل فى اسرائيل عن مبادرة الرئيس عبد الناصر بضرب الحصار على مضيق تيران ؟

ج• ف• هـ• ـ اننا لن نفهم الرد الاسرائيلى على وجهه ان اهملنـا الباعث عليه وهو اقتنـاع الاسرائيليين بانهم يذودون عن « حقهـم الشرعـى » ، وبما ان الاستيلاء على تيران انتهاك لهذا الحق فمن المشروع اتخاذ اجراءات « دفاعية » ولو حاسمة • ولى كلمة اخرى بهذا الصدد حول ما كان لمحطات الارسال من دور لـه شانـه : فحصص الاذاعة العربية العبرية اللهجة التى عنوانها « صوت الرعد » (وهو برنامج فى حد ذاتـه) يستمع اليها فى اسرائيل ، وكانوا يأولون ما يسمعونه على ضوء الانباء الاخرى حتى يقفوا على حقيقتـه ويتبينوا هل انه مجرد دعاية ام هـو ممـا يوجب الحذر ويدعو الى القلق • وهم ينتهجون لذلك طريقة بسيطـة تتلخص فيمـا يلى : « اذا احتدمت الدعاية دون حشد للجنود يعـزون ذلك الى حـرب الاعصاب المالوفـة ولا يرون موجبـا لليقظة والاحتراس ، واذا بلغهم خبر تحركات للجنود دون ان تقترن بالتهديد الاذاعـى اعتبروهـا مناورات عادية لا مـوجب للانزعـاج لها ، اما اذا اقتـرنت الحمـلات الاذاعية العنيفة بتازم الحـالة وتفاقم التوتر فى المجالس : العسكرى

والسياسى فعندئذ يرون من حقهم وواجبهم التجنيد والتاهب للحرب » • واعتقد ان ما حصل من تصلب لدى السكان بعد ضرب الحصار على مضيق تيران منشؤه نظرتهم من هذه الزاوية الى ما يتوقع من الاحداث •

ج• ل• ـ هل يمكن القول بان حصار العقبة اعطى الحملات الاذاعية مغزى جديدا ، وانه اعتبر فى اسرائيل دليلا على ان ما تصرح به الاذاعات العربية لم يكن مجرد بلاغا جوفاء ، وان التهديد كان حقيقيا ؟

ج• ف• هـ• ـ بلا ريب ، لان ضرب الحصار على خليج العقبة اعتبر محض اعتداء وخطوة الى التسلق وشن الهجوم العام لا يمكن التراجع بعدها الى الوراء • ولكي ندرك هذا الموقف يتعين ان نرجع ادراجنا الى سنة 1956 غداة حملة سيناء اثر وقعة السويس • فمن المعلوم ان هذه الحملة التى شنتها اسرائيل بمساندة الانجليز والفرنسيين فى المجالين السياسى والاستراتيجى كللت بانتصار عسكرى • ونظرا لتشبث الاسرائيليين بمبدا حقوقهم المقدسة لم يستطيعوا هضم ما اجبروا عليه من ارجاع الاراضى المحتلة لا سيما سيناء ومنطقة غزة ، فكانوا يرددون عن خطأ او صواب : « لئد كسبنا الحرب فى حالة دفاع شرعى ، لذلك سنحتفظ بثمرة انتصارنا » • وابادر الى القول بان الراى العام الاسرائيلى لم تكن نيته آنذاك متجهة الى اى توسع ترابى وانما هدفه الاحراز على مواقع استراتيجية ذات اهمية فى صورة نزاع جديد •

ا• و• ـ اليس ذلك هو المتسع الحيوى ؟

ج• ف• هـ• ـ لا ، ابدا • على اننا لا نتصور جديا انتصاب مهاجرين جدد او مزارعين من مؤسسات « الكيبوتز » فى الصحارى القاحلة • انما كان غرض الاسرائيليين فرض رقابتهم على صحراء سيناء باعتبارها ميدانا لحروبهم مع مصر •

ا• و• ـ لقد اشار بعض القادة الاسرائيليين خلال سنتى 1956 و 1957 اثر احتلال سيناء الى امكانية وجود ينابيع هامة للنفط بها •

وانا حين اتحدث عن المتسع الحيوى يتراءى لى ان بعض القادة الاسرائيليين يفكرون بان نفط سيناء يستطيع ان يساهم فى توطيد دولتهم وتركيزها اقتصاديا وفى توفير الشغل لجميع من يرون استجلابهم الى اسرائيل ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ـ صح ما تراءى لك أو لم يصح ، فليس ذلك مما ينافى الصبغة الاستراتيجية للقضية التى هى رقابة الاراضى القفراء الواقعة بين مصر واسرائيل ٠ ومهما كان الامر ، فالنظرة فى اسرائيل كانت نظرة سخط على ما الزموا به سياسيا من التخلى عن سيناء ٠ لكن كيف قبل الراى العام الاسرائيلى ذلك ؟ قبله اخر الامر على شرط ان تضمن حرية المرور من مضيق تيران وان يشكل جند من « القبعات الزرق » شبريطا صحيا يقى التراب الاسرائيلى من الاستفزازات ، واضطر عبد الناصر من جانبه الى قبول هذا الحل الوسط ٠ ولم يقع امضاء اى اتفاقية للصلح لكن كانت هذه هى الشروط التى قبل بموجبها الاسرائيليون التخلى عما غنموه من التراب فى حملة سيناء ٠

ثم ها هو عبد الناصر يعمد فجاة ومن طرف واحد الى نسف كل الضمانات التى اطمان اليها الراى العام الاسرائيلى وقبل من اجلها التخلى عن سيناء ، وهو امر هام لا يمكن اغفاله عندما يوجه الى الاسرائيليين اللوم على بدئهم الحرب. لقد كانوا يقولون: ان عبد الناصر ابى توقيع معاهدة سلم معنا ، فنحن ما نزال واياه فى حالة حرب ٠ وهو بمبادرته تلك انما يقوم بعملية احتلال عسكرى يقوض بطبيعته ما قبلناه من انسحاب عن سيناء ، فليس لنا ان نتسامح فى ذلك والا نكون ارتضينا بوضع المغلوبين على امرهم ، مما يحمل فى طيه القضاء على كياننا بمرور الزمن » ٠ هذا ، ويبدو من بعض الاقوال الشبيهة بالرسمية التى تلقيتها زمن اقامتى هناك ان غلق المضايق لا يشكل فى حد ذاته « مدعاة حرب » بالرغم مما دار على الالسن يومئذ بالقدس اذ لم يكن الضرر الحقيقى اللاحق بالاقتصاد الاسرائيلى ضررا قاضيا ٠ وكان هناك على ما اظن استعداد للقيام بعمل ديبلوماسى طويل المدى تفاديا للحرب ، لكن لا

سبيل الى النظر بمعزل لكل عنصر من عناصر الوضع المتشعب القائم يومئذ ٠ فلقد كانت هناك بعض التصرفات الواضحة الدلالة على التأهب لشن حرب هجومية استعرضنا طائفة منها قبل الان كوصول الجنود الى سيناء ، والاستعراضات العسكرية بالقاهرة ، والتصريحات المهددة بشن الحرب ٠٠٠ وكان الى ذلك استقدام الجنود المرابطة باليمن مما لا يخلو من مغزى ٠ ثم ان هذه الجيوش المعباة بسيناء لم يكن وجودها هناك عبثا او لغوا ـ وهو ما لم يخف ، عن المصالح السرية الاسرائيلية ـ كما ان اجهزة النقل المصرية (مهما بلغت فعاليتها) تشكل على الورق عتادا كاملا لجيش على اهبة الحرب ٠ هكذا كانت النظرة فى اسرائيل ٠

ا٠ و٠ ـ التمس العذر فى مقاطعتك ٠ لقد قال المصريون آنذاك : « ان يتعهد الاسرائيليون علنا بعدم مهاجمة سوريا فنحن مستعدون لسحب جنودنا عن الحدود » ، ولا بد انك سمعت هذا ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ نعم سمعته ٠

ا٠ و٠ ـ فماذا كان اذن رد فعل الاسرائيليين عن هذا العرض الذى لا يخلو من الاتزان والتعقل ؟ واذا كانت التجمعات العسكرية المصرية تقض مضاجعهم الى ذلك الحد فلم لم يعملوا على انسحابها بمجرد التزامهم عدم الاطاحة بنظام بلد مجاور ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ صديقى ، انت تعلم مثلى الطريقة التقليدية لعملية التسلق ٠ فهى تقتضى الصعود درجة درجة ، ولابد فى التراجع من مراعاة نفس الترتيب ٠ فحين يقول المصريون : « تعهدوا بعدم مهاجمة سوريا » يجيبهم الاسرائيليون : « قولوا للسوريين ان يكفوا عن توجيه فرق الفدائيين » وهكذا دواليك ٠٠٠ وبهذه الصورة نعود ادراجنا الى وضع سنة 1948 وحتى قبلها مما جعل النزاع القائم بالشرق الاوسط من الخطورة بمكان حيث ان كل تراجع فى عملية التسلق من طرف يستدعى مقابلا مثله من الطرف الاخر ٠

ا٠ و٠ ـ لكن ربما حمدت عاقبة ما ينعت بالتسلق ان نحن افترضنا ان المصريين قالوا للاسرائيليين : « اقطعوا لنا عهدا بعدم

مهاجمة سوريا وسنسحب جنودنا فاجابوهم : » اطلبوا اولا من السوريين ان يضعوا حدا للارهاب « ، لان العرب يردون حينئذ بان نشاط الفدائيين انما اثاره التصلب الاسرائيلي والزج بالقضية الفلسطينية في مأزق · وعندها يكون في حيز الامكان عرض القضية في مجموعها على النقاش توقيا لما عسى ان يحدث من انفجار او ايجاد طريقة لمنع التسريات التخريبية باقامة حاجز من قوات الامم المتحدة مثلا · ومهما تكن من حجة فلا موجب لرفض الحوار مع المصريين بدعوى وجود تجمعات عسكرية على الحدود ·

حرب « قذرة » أم حرب خاطفة ؟

ج٠ ل٠ ـ حدثنا (رولو) منذ برهـة عما قاله عبد الناصر اثناء ندوتـه الصحفية التى عقدها فى 28 ماى ، فهل اثارت هذه الاقوال تعاليق حولها فى تل ابيب ام انهم اتجهوا بانظارهـم الى عنف اللهجة متغاضين عن العروض ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ اعيد ما قلته : فانا اتعجب اذ اسمع عن عبد الناصر انه فتح الباب لنقاش مستفيض اثناء ندوته الصحفية يوم 28 ماى ٠ ولا يبدو ان الصحف فى شتى اقطار العالم الحت على هذا الحدث الذى كان من شانه ان يعمل على تغيير الوضـع ٠ فالصحافـة الشيوعية الفرنسية لا يمكن ان تتهم بالتحامل على عبد الناصر او اخفاء ما يخدم مصالحه ومع ذلك لم الحظ ان (لومانيتى) مثـلا لفتت انظار قرائها الى الحدث المشار اليه ٠ ومهما كان الامر ، سواء اخطا الاسرائيليون ام اصابوا فلا يبدو ان احدا من بينهم حمل الخبر على الجد ٠ وان لم اخطىء فى فهمى فان العرض المصرى تناول اجراء مفاوضة غير مباشرة بتوسط طرف ثالث حيث ان المصريين يرفضون اى اتصال بالاسرائيليين ، وهذا ما لا يقبله احد باسرائيل ـ وهـو الواجب ادراكـه ـ اذ ربما يغضون الطرف بشـان « المساعـى الحميدة » اما بخصوص المفاوضات نفسها فلا ٠ومما لا قبل للمـرء بتحمله ان ينكر وجوده كمفاوض ، اى ان تنفى عنه صفة الانسانية ٠ وقد عرف اليهود الكثير من هذه الظروف القاسية وسبق لهـم ان اعتبروا كسقط المتاع ، ومن اجل ذلك ارهفت حساسيتهـم ونفد صبرهـم ٠ ان من شان الحنق والشعور بالاهـانة ان يمنحا العرب بعض العذر فى مهاتراتهم وعنادهـم ـ وكلنا متفقون على ذلك ـ على ان نراعـى نفس الاحـاسيس فى الاتجاه المقابـل ٠ واذا كـان

الاسرائيليون امهر سياسة واقل اندفاعا مع العاطفة فلا يحسن بنـا ان نحملهم من الخنوع والمهانة ما لا قبل الانسان به • ولربما شاهدتم عن طريق التلفزيون ذلك النقاش المؤثر بين صحافيين اسرائيليين وعرب وقد عزل كل فريق عن الاخر فى استوديو على حدة ، ولاحظتم التاثر المؤلم الذى اعترى (ايلى ويزل) اثناء الحوار حتى حدا به الى مغادرة القاعة • لا شك ان ذلك لم يكن من حسن السياسة والمداراة ولكن من السهل تعليله وفهمه على وجهه ! وبعد هذا ، فان الصمت الذى عقب « مقترحات » عبد الناصر مشتبه ويدعو للعجب ! وكان عليك ان تذكرنا بنص الكلمات التى استعملهـا الرئيس المصرى ، فذلك اساسى !

ا• و• ـ ان الصحافة العالمية اهملت احد الاقتراحين وهو الرامى لعبث اللجنة المشتركة للهدنة التى كان من شانها ان تصل الى اجلاء الجنود عن جانبـى منطقة الحدود • لكن كثيرا من الصحف انتهزت الفرصة فذكرت مرتين او ثلاثـا خلال الازمـة ان عبد الناصر راغب فى استغلال الوضع لمناقشة قضية فلسطين مناقشة مستفيضـة •

ج• ف• هـ• ـ الواقع أنى لم أسمع شيئا من ذلك باسرائيل ، وأنا لا أقرأ العبرية ، ولم أطالع كل الصحف •

ا• و• ـ لكن الامر بعيد المغزى • الا تعتقد ان اسرائيل اهملت عن قصد هذا القسم من ندوة عبد الناصر الصحفية ؟

ج• ف• هـ• ـ لم اطالع كل الصحف الاسرائيلية ، واسمح لى ان اتابع تحليلى لردود الفعل هناك •

لما شاهد الاسرائيليون امعان المصريين فى التظاهر بالقوة ـ مما قد لا يدع مجالا للريب فى مقاصدهم ـ تملكهم شعور تدريجـى بان البلاد خسرت الشوط الاول من المعركة • فكنت تسمـع الكلمـة التالية مرجعة على الافواه : « هذه (مونيخ) ، اننا بصـدد السير نحوها • لقد اتحنا الفرصة للخصم كى يسجل هدفا حاسما فى حين اننا قادرون على قصمه ، واذ نسلك تلك السبيل فنحن نخسر هذه « السلم الغريبة » • ورغم مبايعة (ديـان) للاخذ بزمـام الامر فى الشؤون العسكرية فان ذلك لم يكن كافيا لقلب الشعور بالضعـة المترتبة عن سلبية الموقف •

وفي اجتماع لجنة الدفاع المنعقد يوم 20 ماى ارتفعت بعض الاصوات لتقول : « علينا ان نشن حملتنا الان • انه لا يمكن استبقاء الجنود متجمعة الى الابد على الحدود ومعنويات المواطنين تنهار اذ سنفتقد سلاحينا الرئيسيين وهما رباطة الجاش ومضاء العزم • ان العرب ياخذون اهبتهم وهم متقدمون ازيد منا فى مجال التسلح حيث يوجه اليهم العتاد بسرعة اكثر ••• وفى هذا الوقت لم يتهيأ المصريون بعد ونحن نعلم عن طريق مصالحنا السرية انهم لم يضبطوا جهاز نقلهم ومواصلاتهم وانهم مذبذبون فى اعداد خطتهم الحربية ، فهذه هي الفرصة السانحة وان اضعناها فلن تعود • اننا ان لم نوجه حملتنا من الآن فلن نحقق حربا «نظيفة» سريعة وباقل ما يمكن من الخسائر فى الانفس للجانبين ، بل سيطول بنا الامر وتتفاقم الكارثة مما يفضى الى حرب « قذرة» • هذا الى خطر اخر : وهو اننا ان تمهلنا ولم نعمد من الآن الى تصفية حسابنا مع الخصم فى سيناء المقفرة حيث لا وجود لسكان مدنيين يلحقهم اذى فربما دارت الحرب فى تراب اسرائيل بما فى ذلك من الفظائع التى لا تخفى • فالاجدر ان ننقل الحرب الخاطفة الى تراب عدونا وخاصة بارض الصحراء الخلاء » •

وقد ابى اشكول التسليم لهذه الحجج التى ادلى بها العسكريون رغم واقعيتها وآثر ان يعرض بلده لاهوال حرب « قذرة » فى قلب اسرائيل • ولم يكن ذلك منه عن ضعف كما قال بعض خصومه السياسيين من دعاة « التصلب » وانما وقف موقفه الذى ارتآه لان الاستراتيجية الاسرائيلية تملك بيدها الورقة الرابحة التى تحقق لها الظفر • فلقد ضمن الجنرال (هود) قائد سلاح الطيران الاسرائيلى لاشكول ـ فيما قيل ـ تحطيم الطيران العربى حالة جثومه على الارض • ولا ادرى كيف حصل له اليقين بان الطائرات المصرية سوف لا تنطلق وقت الحاجة ، لكنهم ينقلون انه قال لاشكول : « بوسعك ان تنتظر بعض الوقت وتستنفد جميع امكانيات السلم • وعند الحاجة سيكون باستطاعتك تسجيل ضربة حاسمة بالقضاء على السلاح الجوى للعدو » •

ثم كان على الاثـر انضمام الملك حسين فتم بذلك تطويق اسرائيل عسكريـا . واعتقد ان هذا الانضمام غير المنتظر من الاسرائيليين كان عامـلا حاسما ، اذ لولاه لربما تمادوا فى فتـرة السلم المسلحة . لكن ضاقت الدنيا في وجوههم من يوم انضم الاردن لافرق فى ذلك بين رجل الشارع ورجل الحكومة . والاسرائيليـون يعلمـون ان بمقدورهم كسب حرب برقية محدودة الرقعة ، لكن لو تركوا الحرب تتعفن وصادف ان كانت للعرب خطة استراتيجية انجع واحكم تناسقا وشنت عليهم الحملات فى سائـر انحاء الحدود الاسرائيلية الطويلة وفى نفس الوقت ، اذن لما تسنى لقواتهـم مهما كان من علو كعبها ان تدفع الخطر على ما اعتقد . ومن داب كل اسـرائيلي الانهمـاك فى التقديرات الاستراتيجية ، فمن ذلك ظلوا جميعا على وعـى من حقيقة الوضع . ولئن كان هجوم من جانبهم فهو مترتب فى معظمه عن هذا الشعور . واذا تفهمت هذا فهمت كل شيء .

حسين فى القاهرة : موقف حاسم

ج. ل. ـ لقد كان اذن لتقرب الملك حسين من الرئيس عبد الناصر ومن خطة العمل المصرية وقع فى تل أبيب وفى الغرب يشبه التانيب . فهل يجوز القول بان مثل هذا قد حصل بالنسبة للقاهرة ؟ وهل حدثت مفاجاة ذات بال بسبب قدوم الملك حسين ترتب عليها تاثير نفسانى ملحوظ ؟

ا. و. ـ نعم ، لم يكن احد فى القاهرة ينتظر ذلك ما عدا عبد الناصر .

وفى الواقع كان الرئيس المصرى قد جامل الملك حسين اثناء خطاب القاه قبل بضعة ايام مما اثار استغراب الكثيرين لان الشائع فى الاذهان ان الملك الأردنى من أشد الناس عداوة للنظام الناصرى فهو لم يخف انتماءه للشق الذى يتزعمه الملك فيصل عاهل المملكة العربية السعودية وتحبيذه لفكرة الجامعة الاسلامية ، كما انه اعلن معارضته لوجود قوة عسكرية مصرية فى اليمن ولم يتردد ـ قبل اندلاع الازمة ببضعة اسابيع ـ فى سحب اعترافه بالنظام الجمهورى اليمنى .

وقد التقيت بالملك حسين فى شهر فيفرى الفارط بابى ظبى عندما كان يقوم بزيارة رسمية فى تلك الامارة الواقعة على الخليج الفارسى فقال لى اثناء حديثى معه : ان سلوك الجيوش المصرية فى اليمن يبعث فى نفسه منتهى الكدر اذ « ليس لعبد الناصر الحق بان يتسبب فى قتل العرب ولو تحت ستار السعى الى الرقى » ، وقال ايضا : « انى على علم بان عبد الناصر يسعى الى اثارة مؤامرات فى بلادى ، بيد انى سادافع عن نفسى الى النهاية ضد هذه

الدسائس الخبيثة » · والقطيعة بينهما كانت تامة ، فكيف حصل هذا التحول المفاجيء ولما يمض عليها أكثر من ثلاثة اشهر ؟

انى اعتقد ان الملك حسين الذى يرجع ثلثا رعاياه الى اصل فلسطينى لم يكن بوسعه ان يلازم موقفا سلبيا تجاه الازمة · وما كان الراى العام ببلده ليغتفر له البقاء بمعزل عن الاستعدادات التى تهيأ لمجابهة التهديد الاسرائيلى ·

واقول التهديد الاسرائيلى وانا واثق من قولى لان النظرة اليه لا تختلف فى عمان عنها فى القاهرة ، وهو ما حمل الملك حسين على مغالبة ميله الشخصى سعيا منه الى انقاذ بلده وعرشه فتوجه فورا الى القاهرة ليتفق مع عبد الناصر ·

ولم يكن الاتفاق يرمز فى نظر هذا الاخير الا لغرض اخر ، ذلك انه كان يقصد منه اقامة الدليل لاسرائيل ـ التى يتوقع هجومها فى وجل ـ على انها لا تستطيع الاعتماد على انقسام العرب · وقد يكون قصده ايضا احداث هوة بين الملك حسين وحلفائه الانكليز والاميريكان الذين يعتبرهم فى آن واحد حلفاء لاسرائيل ·

ج· ل· ــ هل فى الامكان قبول او تعليل الاحتمال القائل بان حسينا ارسله الانكليز والاميريكان الى عبد الناصر ليكبحه حتى لا تنفجر الازمة وليحمله على عدم التوغل فى المجهود الحربى الى اقصى حدوده ؟ وهلا يكون حسين فى هذه الحال بمنزلة الماء الذى اراد الانكليز والاميريكان ان « يمزجوا به خمرة النزعة الثورية للعروبة » (ان امكننى التعبير على هذا النحو) ؟

ا· و· ــ راج هذا الاحتمال فى بعض الاوساط السياسية بالقاهرة · ولا عجب فى ذلك فكثير من الناس لم يصدقوا هذا التلاقى الغريب ·

لكن الملك حسينا لم يظهر اثناء الاسابيع التى تلت وقف اطلاق النار اى علامة ضعف تلقاء الانكليز و الاميريكان فظل سلوكه فى منتهى اللياقة ولم يخل بعهد من عهوده ازاء الجبهة القومية العربية ·

ولارجع الى شرح حسابات عبد الناصر عندما تصالح مع الملك حسين فى ماى 1967 • فقد ظن ــ بدون ريب ــ ان الحلف المصرى الاردنى سيصرف اسرائيل عن الهجوم لان اطول الحدود قد يبعث فى نفوس الاسرائيليين الياس من الفوز • لكنه اخطا فى هذا الظن لانه هو نفسه لم يكن له كبير وثوق لا بالكتائب العربية للملك حسين ولا بوحدات الجيوش الرمزية التى ارسلتها البلدان العربية الاخرى • كما ان الجيش السورى الذى اوهنته عمليات التطهير المتعاقبة لا سيما منذ تسلم حزب البعث الحكم سنة 1963 لم يكن هو ايضا فى وضع يسمح له بحسن البلاء فى القتال والاسرائيليون يعلمون كل هذه الحقائق •

ج• ل• ــ هذا بصرف النظر من عمليات التطهير التى قام بها المصريون انفسهم عندما كانوا يمارسون السلطة فى دمشق ايام الوحدة •••

ا• و• ــ وهو كذلك • وكان ايضا من المتواتر فى العالم العربى وفى سوريا نفسها ان الطيران السورى مثلا لا فعالية له ، وظهر عجزه للعيان اثناء اشتباكه مع الطائرات الاسرائيلية خلال الاشهر التى سبقت الحرب • وعبد الناصر على علم ايضا بان النظام البعثى بدمشق ــ الذى ظل خصومه فى الداخل يتربصون به الدوائر ــ لم يكن بوسعه ان يخصص الجانب الاوفر من الجيش لمواجهة حرب ضد اسرائيل ، وهذا ما وقع • فاثناء العمليات الحربية كانت خيرة الوحدات السورية تقوم بمهمة الحراسة حوالى دمشق لدفع غائلة انقلاب محتمل الوقوع ضد النظام القائم •

ومما لا ريب فيه ان القادة الاسرائيليين لايجهلون تهلهل خطط الدفاع العربية وانها معرضة للانهيار، بينما تعتقد الجماهير ان الدولة الاسرائيلية هى التى تبحث عن حتفها بظلفها • كما ان الراى العام العربى حمل على الاعتقاد بان الرقابة التى فرضتها مصر على مضيق تيران انما هى مسالة حياة او موت بالنسبة لاسرائيل ، وهذا يعنى انها قد تكون سببا فى اثارة حرب • ولكم سررت عندما سمعت (جان فرنسيس هلد) يقول الساعة : ان المسؤولين الاسرائيليين

لم يكونوا يرون فى ضرب الحصار على خليج العقبة كارثة بالنسبة للدولة العبرية ولو انهم اشاعوا العكس فى اوساط العموم ٠

وينبغى البحث عن سبب اخر للخنق الذى استولى على اسرائيل : ففى القاهرة كان الاعتقاد السائـد هو ان تل ابيب لا يمكنها قبول الامر المقضى لاسباب اخرى، ويقولون: ان هذه المرة الاولى التى يحققون فيها ــ منذ عشرين سنة ــ نصرا سياسيا باهرا بوسائلهم الخاصة٠ وهذا وحده كاف لاثـارة حفيظة الاسرائيليين الذين اعتادوا فرض وجهة نظرهم بالقوة ، لان قبول الرقابة المصرية على مضيق تيران يؤدى الى انهيـار سيـاسة استمرت قائمة وآتت أكلهـا منذ قيـام دولتهم ، ومن شانه ان يضعضع بصورة فادحة مكانة من شنوا حملة سيناء عـام 1956 وهم كل الطبقة المسيرة ٠ وفعـلا فان ضرب الحصار على خليج العقبة كان يـؤول الى حرمـان الدولة اليهودية من الثمرة الوحيدة التى بقيت لها من حرب السويس ، والرضى باضاعة هذه الثمرة معناه ان اسرائيل اشهرت حرب عـام 1956 من اجـل ان لا تحصل فى النهاية على شىء ٠

رجــوع الجنــرال (ديــان)

ج• ل• ـ اذا رجعنا الى التوقيت الدقيق للاحداث بدا لزاما علينا ملاحظة ما بين الحدثين التاليين من تقارب : ففى 30 ماى كانت زيارة الملك حسين الى القاهرة ، وفى غرة جوان تشكلت بالقدس حكومة الاتحاد الوطنــى التى انضم اليها كل من الجنرال (موشى ديان) والسيد (مناجــيم بيجين) • فهل فى استطاعتك ان تبين لنــا الشروط التى بنى عليها دخول الجنرال (ديان) للوزارة وما يرمز اليه انخراطه فيها ، وكيف تلقاه الشعب الاسرائيلى ، وماذا كانت نتائجه الاولى ؟

ج• ف• هـ• ـ لا يمكــن عــزل « قضية ديــان » عن المنــاورات السياسية الاسرائيلية فى مجموعها • فانتم تعلمون كيف غــادر (بن غريون) (وسيمون بيريز) و (ديان) حزب (ماباى) فى عام 1965 باعتباره قد افرط فى « الرخاوة » وأقبلوا على تاسيس حزب (رافى) الذى تميز بالدخــول فى المزايــدات السياسيــة • وازاء الاستفزازات السورية لم يجد الرئيس ليفى اشكول بدا من المبادرة باتخاذ خط سياســى يعادل من حيث الصلابــة ما كان يؤملــه بن غريون واصدقاؤه ، فما شئت من انذارات متلاحقة وغــارات جــوية انتقامية قاصفة وطائــرات سورية مبعثرة • وهل كان بوسع حــزب (رافى) ان يفعل اكثر من ذلك ؟

وبالنظر لخفاء الخلاف الدائــم بين اسرائيل والعرب ، ودون لزوم لاستعراض مسؤوليات هذا الطرف أوذاك، فالمحقق أن الرئيسأشكول لم يكن فىمركز أدنى مما يبتغيه خصومه اليمينيون، واتهامه بالضعف لا يمكن ان يكون الا من قبيل الغوغائــية المحضة • وهذا ما يحملنى

على الاعتقاد بان حزب (رافى) حين رضى بالدخول فى صلب حكومة قيل عنها : انها قائمة على الاتحاد الوطنى لم يكن قصده قلب السياسة التى تنتهجها الدولة وانما رمى من وراء ذلك الى المشاركة فيها ليس غير ، وكان دخول السيد (مناجيم بيجين) للوزارة اثر مشاركة حزب (رافى) فيها ٠

اما وضع الجنرال (ديان) فيبدو فى شكل خاص : ذلك ان الفائز بالانتصار فى معركة سيناء يتمتع بسمعة واسعة لدى رجل الشارع ولا سيما البسطاء الذين يتعلقون باذيال الابطال الملهمين ٠ لقد كان رمزا حيا للحرب الخاطفة والنصر السريع الحاصل بايسر التكاليف ، وفى تلك الفترة التى سادها توتر خطير كانت الرغبة العامة تتطلع الى رؤيته حاضرا ليؤدى نصيبه من العمل ٠

واذا استثنينا ضرورة ارضاء الراى العام فانا على يقين من ان السيد اشكول وحكومته لم يكونا فى حاجة لاضواء حزب (رافى) ولا لجهود ديان لممارسة الدفاع السياسى والعسكرى الذى تحتاج اليه دولة اسرائيل ٠

ولننظر بادىء بدء فى الاسباب السياسية العاجلة التى دعت لتشكيل حكومة الاتحاد الوطنى ، فهى تتلخص فى ان ليفى اشكول — ولو انه يسلك سياسة صلبة — قلما ينجو من المطاعن الديماغوجية التى يوجهها اليه حزب (رافى) والناس يتندرون بما ينسبونه له من خلق التردد حتى انه لما سألته سيدة المنزل فى احد الاستقبالات عن شرابه المفضل : هل هو الشاى ام القهوة اجابها وهو يقدم فنجانه : « نصف من هذا و نصف من ذاك ! » على ان ذلك ما كان لينقص من وثوق الناس بليفى اشكول لكنهم ظلوا يتساءلون : هل يقدر بمفرده — وبصفته رجل عمل — ان يرجح بالاحداث فى فترة ازمة حادة وهل يكون النجاح حليفه عند البت فى الامور مثلما صاحبه عند تحليل الاوضاع ٠

هذا ما حمل السيد اشكول على ان يدخل الاطمئنان على الراى العام بتوسيع دائرة حكومته ، وفى اسرائيل كما هو الحال فى انكلترا

لابد من مراعاة صيغ الديمقراطية على صورتها البورجوازية . لذلك كانت تلك المساومات الحثيثة على الصعيد البرلماني التي آلت الى احتضان كل من السيدين (ديان) و (مناجيم بيجين) .

ومع ذلك فلا ينبغي في نظري اعارة المساومات التي جرت في البرلمان الاسرائيلي فوق ما تستحقه من الاهمية لان الكراهيات الشخصية كان لهـا ايضا دورها في هذا المجال . وعلى سبيل المثال فان اشكول لا يحب أصالة (ديـان) ويعتبره شخصيـة محيرة ، امـا السيدة (غولدا ماير) فانها لا تطيقه اصلا ، وهذا ما جعل المماكسة ضربة لازب . فلقد عرضت على الجناح اليميني المتطرف خطط وزراء بدون وزارات معينة . وكان السيد (بيجين) المنتمي للحـزب « الحر » (غابـال) ـ وهو حزب رجعي ـ مستعدا للقبـول ، لكن الجنـرال (ديان) اظهر الممانعة واستطاع بعد العديد من المساومات ان يظفـر بوزارة الدفاع ، ولم تمض على ذلك اكثر من ثـلاثة ايـام حتى كانت الحرب . غير ان دخولـه للحكومة لم يكن له ضلع من قريب او بعيد في اثارتها على مـا اظن باستثناء مـا تسبب فيه من تقوية الضغط العسكري المصري الذي اوجب بطريق اللزوم رد الفعل الاسرائيلي .

اما خلال الازمة واثناء الحرب فالدور الفعلي الذي قام به ديـان لم يكن شيئا يذكر حسبما يبدو لي ، بخلافـه بعد الحرب مع الاسف . ذلك ان التدابير السياسيـة والعسكريـة قد سبق لاسرائيـل ان اتخذتها ودرستها مليا قبل اندلاع الحرب وهو امر طبيعـي لان مثل هذه المخططات لايمكن تسطيرها في ثلاثـة ايام . وعلاوة على ذلك فان الشخصية الممتازة لرئيس اركان الحرب الجنرال (رابين) تجعل من المتعذر اعادة النظر في التدابير الاسرائيلية عند اخر لحظة وهو اشهر من نار على علم في مجال التخطيطات الحربية حتى قيل عنه انه من العباقرة الكبار في المجال العسكري ، بالاضافة الى انـه ذو ذكـاء وقاد وخلق متين ، وقد عرف كيف يحيط نفسه باركان حرب في منتهى النجاعة والفعالية . فـ (ديان) لم يكن بيده شيء ذو بال يضيفه لما تهيا من قبل الا فيما يخص « العلاقات الخارجية » . وفعلا فان قدومه ـ وكانه علم ـ اكتسى اهمية بالغة للغايـة لاعتبـارات ثلاثـة :

اولا : ازاء الراى العام الاسرائيلى الذى كان يصلى نارا حامية وهو رابض فى مواقعه بالصحراء يتساءل : مـاذا يكون المـآل لو تخسر اسرائيل تلك السلم التى هى اقرب للسخرية منها الى الجد • فكان قدوم (ديان) معناه « لاتجزعوا ولا تطالبوا بالاذن للهجوم الفورى • فانا رجل سيناء المتقلد وزارة الدفاع الوطنى اؤكد لكم ــ وهذا ما تدركونه بانفسكم ــ اننا إذا لم نبادر بالهجوم فذلك لمصلحة نراها ونرعاها على الصعيدين : الديبلوماسى والعسكرى ، وليس هو علامة للضعف اصلا » •

ثانيا ازاء العالم العربى ، وكأن لسان الحـال يقـول : « انكـم تهددوننا وتنتظرون رد الفعل الذى يصدر عنا ، فاذكروا ان الذى حطم ضلوعكم عام 1956 فى سيناء هو الآن منكم بالمرصاد • واذا لم نبـادر بالهجوم فما ذلك لخوفنـا منكم بل لان الانتظار ما زال مرغوبا فيه من الوجهة الاستراتيجية او السياسية • لكن اياكـم والاغتـرار بالظواهر » •

ثالثـا : على الصعيد الدولى • ومعناه توجيه الخطاب للروس والاميريكان على نحو من هذه الصورة : « امسكوا عنا عربكم وردوا لنا الممرات المـائية الخ ••• ولتكـونوا على يقين من اننا إذا لم نهجم حتى الان فما ذلك الا مراعاة لاسباب سياسية • ان (ديـان) حاضر الآن وهو صلب كما تعلمون ، ويوم نقرر الهجوم سننفذ مـا عقدنا العزم عليه » •

هكذا تبدو لى الصورة الشارحة لاحتضـان الحكـومة الاسـرائيلية للجنرال (ديان) •

ج• ل• ــ لم يدع السيد بن غريون للمشاركة فى الحكم ولابد ان يكون قد قام بدور ذى بال اثنـاء الازمـة نظـرا لامتـداد تأثيـر شخصيته ، فهل فى امكانك توضيح هذا التاثير فى الطور الاخير للاحداث ؟

ج• ف• هـ• ــ ان لابن غريون مغزى شبيها بالذى يرمـز اليه (ديان) لكن فى نطاق اضيق ، فلقد تناوله الحديث اثناء الازمـة

بصورة اقل مما تناول (ديان) ، ومرد ذلك كبر السن اولا ، ثــم لان الصبغة العسكرية هى الطاغية على الاحداث ولها المقام الاول من حيث الاعتبار ۰ فمن الطبيعى ان يكون (ديان) هو المعنى بها قبل سواه ۰ واذا رجعنا مرة اخرى الى السعى الذى يرمــى لاعادة تهويد اسرائيل بسرعة البرق وجدنا فى جانب من شخصية (ديان) يهوذا المكابــى وفى الجانب الاخر « الشعب المختار » فى حالة حرب ، بما يذكرنا باستعراضات الكتاب المقدس من النوع الذى يروق (غولــدا ماير) ۰ والشعوب التى تشعر بانها فى خطر مثل اسرائيل تكون فى حاجة لمثل هاتيك الصور المشخصة ۰

اما بن غريون فانه لايمثل الجانب المضطهد بل جانب موسى ۰ وكلما تحدث الناس عنه قــالوا : « انه الرجل الذى اعاد لليهــودية حيويتها الاصلية » ، اى : « الذى اكد وجودنا على ارض اسرائيل » ۰

وسواء فيما يتعلق بـ (ديان) او بن غريون فالذى كان يؤملــه الجميع هو تعبئة البلاد بصورة شاملة وبجميع ما تحويه من قــوى حقيقية ورموز وان اختلفت درجاتها من حيث التالق والاصالة حتى تبدو القوة الاسرائيلية الرادعة فى مظهر من الوحدة لا ثغرة فيه ۰

هل كان السوفيات قوة كابحة
أم محـــركـة ؟

ج· ل· ـ لنتناول المشكل ـ ان شئم ـ من ناحيته الدولية ·
وفى هذا الصدد يكتسى موقف احدى الـدول ، وهى روسيـا ،
اهمية خاصة حسبما يبدو لى · فهل بلغ لعلم السيد (رولو) فى
المرحلة التى سبقت قيام الحرب مايفيد ان الاتحـاد السوفياتـى
حاول التخفيف من حدة الحكومة المصرية أم انه سعى بعكس ذلك الى
دفعها ؟

ا· و· ـ ان الديبلوماسيين والصحافيين السوفيات الموجودين
فى القاهرة لازموا الصمت الاتـم قبل واثناء الحرب · والذى كانت
تنم عليه ملامحهم انهم غير راضين عن تطور الوضع ، بيد اننـا لم
نتوصل قط لاستكشاف ما كان يدور بخلدهم على التحقيق · فكنا
نسألهم مثلا : لـماذا لم تتخذ روسيا موقفا ازاء مطالبة مصر بسحب
قوات الطوارىء الاممية او ازاء اغلاق خليج العقبة ؟ و «هل لمصر الحق
باغلاق مضيق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية ؟ واذا اندلعت
الحرب فهـل ستشدون ازر مصر ؟ » الا ان كل هـذه الاسئلة ظلت
دون جواب ·

وسئل عبد الناصر أثناء ندوته الصحفية فى28 ماى: هل يرجو الاتصال
بعون سوفياتـى فى صورة قيام حرب بينه وبين اسرائيل فكان
جوابه غامضا لا يفيد النفى ولا الاثبات ، فاستنتجنا انه لم يتصل
بتاكيدات فى هذا الصدد · ثـم صرح فيما بعد ان الروسيين يمكن
ان يعينوه على اعادة الوضع الذى كان قائـما قبل حملة السويس
فى عام 1956 ، وهذا يدل على ان موسكو ترى من حق الجمهوريـة

العربية المتحدة ان تكون لها الرقابة على مضيق تيران • وبحثنا بدون طائل عن اشارة لهذا التاييد السوفياتـي فى التصريحات الرسمية المذاعة عن طريق موسكو فلم نقف على شيء يدل عليه •

اما بعد الهزيمة التى منى بها العرب فان الالسن انطلقت مـن عقالها • وهذا ما قاله لى السوفياتيون والمرارة تنضح من اقوالهم :

« ان عبد الناصر لم يستشرنا قط بل لم يعلمنا ولو مجرد اعلام بالتدابير التى كان ينوى اتخاذها • وقلنا له : انك لم تعاملنا معاملة الاصدقاء وفضلت المبادرة بمفردك دون ان تاخذ راينا ، فلو انك استشرتنا لاسدينا لك نصائح مفيدة قوامها الود والاخاء. وانه لعسير عليك ان تلومنا اليوم بدعوى اننا تركناك وشانك » •

وقال لى جمع اخر من السوفياتيين : « ان عبد الناصر طوح بـه المسير الى ما هو ابعد من اللازم • اجل ان من حقه ان يرد الفعل لمجابهة التهديدات التى كان الاسرائيليون يوجهونها للنظام السورى، لكن كان عليه ان يجعل سلوكه اكثر حذرا واكثر اعتدالا على الاخص• وما كان له ان يهدد بابادة دولة اسرائيل » •

وفيما يخص السؤال المتعلق بالسبب الـذى دعـا الروسيين لتحريض عبد الناصر على عدم البدء بالهجوم تلقيت الجواب التالى : « نحن على علم بان مصر لو اقترفت جـرم البدء بالعـدوان لكان الوضع اشد هولا مما هو عليه الان• ذلك ان جانبا لا يستهان به من الراى العام العالمى كان مكيفا على صورة مجافية لعبد النـاصر ، فلو انه ارسل جيوشه لغزو اسرائيل لجعل العالم باجمعه ضده • ومن الجائـز انه كان يحظى فى البداية ببعض انتصارات عسكرية بيد ان المحقق هو ان رد الفعل الدولى ـ والاميريكانى على الاخص ـ يكون ساحقـا •

وعلى كل حال فان الهزيمة العسكـرية المصـرية لا تعـزى لكون الاسرائيليين اخذوا زمام المبادرة فقـط ، فاننـا وان نصحنـا عبد الناصر بان لا يرتمى فيما يشبه المغامرة لم نشر على طياريه بترك

طائراتهم جاثمة على الارض والذهاب فى فترة يسودها الفزع لاحتساء فناجين القهوة اذ ينبغى ان تكون اليقظة فى موضوع الحال ملازمة للسير على حذر » ٠

ج٠ ل٠ — على كل يجوز القول بان لا شيء مما شاهدتموه فى القاهرة يمكن ان يدعم الاحتمال القائل بان السوفياتيين كانوا يسعون الى فتح واجهة حربية ثانية فى الشرق الاوسط لاحراج الاميريكان المشتبكين فى الفيتنام ؟

ا٠ ر٠ — لم ار شخصيا اية علامة تدل على ذلك ٠ ومما لا شك فيه ان ثمة اشياء يكتنفها صمت الدوائر المختصة ٠ اما على عين المكان فان الديبلوماسيين والصحافيين السوفياتيين كانوا مذعورين من جراء تطور الوضع ٠ ومن الجائز ان موسكو حاولت فيما بعد ان تربط بين قضيتى الفيتنام والشرق الاوسط ٠

ج٠ ل٠ — فيما يخص اجتماع (غلاسبورو) يبدو ان هذا الربط لا نزاع فيه لكن ما القول بشان الفترة التى سبقت اندلاع الحرب ؟ هل لم يعط الروسيون تاكيدات تضمن نجاح المغامرة الناصرية التى كانت تكفى لاحداث دمل يستقر حوله الورم ؟

ا٠ ر٠ — كان السوفياتيون يرون انه لا يسع عبد الناصر الا ان يقوم برد فعل تجاه الاستعدادات الاسرائيلية ضد سوريا ، والروس والمصريون مقتنعون بوجوب وضع حد للمساعى الاميريكية فى المنطقة ٠ اما الانتقادات السوفياتية على السلوك المصرى فلا تتناول اصل القضية بل تخص الاسلوب الذى توخاه عبد الناصر فى معالجتها تلقائيا لا غير ٠

ج٠ ل٠ — يجوز القول حينئذ بان السوفياتيين اعتقدوا مثل عبد الناصر ان النظام السارى يحف به التهديد بصورة مباشرة وان انهياره يعتبر هزيمة لكليهما ينخرم بها توازن القوى العالمية ، وهذا ما اغراهم بتشجيعه على القيام بعمل توقيفى نفسانى وسياسى كانت ترجى منه الحيلولة دون الاطاحة بالنظام السورى او تحديد وقع العدوان عليه على الاقل ؟

ا٠ ر٠ — هذا ما يظن انه وقع على التحقيق ٠

اســــــرائيــل
ظنت انها أصبحت فى عــزلة

ج· ل· ــ ارجو ان تفيدنا هل تلقيت انطباعــات تنــم على ان الاسرائيليين خشنوا حوالى اواخر ماى ان تفض القضية على الصعيد الدولى ويتركوا « ظهريا » وتراءى لهم انهم سيكونون الاخسرين ان جرت مكافحة دولية واسعة النطاق حولها ؟

ج· ف· هـ· ــ لقد تراءى لهم حقا انهم تركوا وشانهــم وكانت احاسيسهم حيال الموضوع متضاربة ان لم اقل متناقضة ، فمن جهة كانوا يخشون ان يتولى عنهم النصير حين تدق ساعــة الخطر ، ومن اخرى ظلوا يتساءلون: ما الذى تبغيه منهم الدول الكبرى وما لها تتدخل فيما لا يعنيها ، ويقولون : « لو اتيح لنا ان نسوى المشكل راسا مع العرب لفض من زمان » · ولما سالتهم ما يعنون بفض المشكل اجابوا : « لو تمسك الدول الكبرى على تسميــم الجو فاننــا سنظفر بعدة طرق للوفاق » ·

ومهما يكن الامر فهم موقنون انهم بيادق فى لعبة تتجاوزهم كما تتجاوز العرب ، ومن هنا كانت رغبتهــم فى القيام ببعض المساعى الشخصية بغية استئناف امساك حظوظهم بايديهم ·

ج· ل· ــ ان هذا يرجع بنا الى الحــالة النفسية الجمــاعية · فهــل تعتقدون ان هناك شعورا بخطر يتهدد الكيان انتشر فى اسرائيل على نطاق فسيح او فى مستوى الجماهير الشعبية على الاقل ينــذرهم بقرب نزول كارثة على الشعب اليهودى تضاهى ما عرفه عبر التاريخ واصابته ويلاته اكثر مما اصابت شعبا آخر سواه ؟

ج. ف. ه. ــ كثيرا ما جرنا الحديث الى بحث المسالة ، وهذا طبيعــى لان كل الجانب الخلقى للصراع القائــم يرتكز على هذه النقطة . فاذا ثبت ان الاسرائيليين يشعرون فى عمق وصدق بانهم معرضون لخطر الموت او الابادة انتفت الصعوبة فى فهم سلوكهم كله ومن ضمنه اشهار الحرب وحتى الصلابة التى تلتها لان كل ذلك قد يبرره هذا الشعور الذى لا يغالب ، وهو انهم على حق . اما اذا كان الامر بالعكس ... فينبغى التمييز طبعا بين ما يفكر فيه القادة والمسؤولون امثال اشكول ورابين وبين اسلــوب التفكير الخاص بسواد الشعب .

لقد كان مجلس الدفاع الاسرائيلى على بينة مــن ضعف الجهــاز العسكرى المصرى ، ما فى ذلك ريب ، وقوة اسرائيل فى صورة قيام حرب خاطفة كالتى وقعت لا يختلف فيها اثنان . كما انه كان معلوما سلفا ان استمرار عيش تلك البلاد الصغيرة فى وضع دفاعــى طويل المدى لا يلبث ان يفقدها مناعتها تجاه ما قد تلاقيه من استفزازات متواصلة منسقة من جانب العرب .

ولست فى وضــع يسمح لى ان اعبر بمزيد التدقيق عمــا كانت تعرفه او لاتعرفه من هذه الناحية اركان الحرب الاسرائيلية . انما الشىء الذى انا واثــق منه هو ما كان يذوذ فى خلد الشعب مــن مطلق اليقين بان انهزام دولته ومحقه محقا كاملا كانا فى حيز الامكان بل قريبى الاحتمال وسنتناول الموضوع بتبسط فيما بعد .

ومن المحقق ان السواد لم يفقدوا املهم فى النصر ولو بعد ان انضم حسين الى عبد الناصر ، فكانوا كلهــم مستعــدين الى المــوت دفاعــا عن اخر شبر من ترابهم .

انى لا اريد ان اتحدث عن الماضى وما تخلله من اضطهادات ولا عن اللاجئين لسكنى المخيمات لان مجال التقول متسع فى مثل هذه المواضيع الحساسة ولان الاسرائيليين انفسهم يرتجفون عند سماعها . بيد انكم تدركون ان الأخيلة مشحونة بكل ما يزعج ، وان اسرائيل بالنسبة لليهود هى الملجأ الاخير الذى لانجاة لهم من بعده .

لكن بعد النصر الحاسم الذى فازوا به قد يكون من قلة اللياقة الاستمرار على التمسك بمثل ذلك المنطق الذى املاه الذعر والخوف من سوء المصير • ومع هذا فان بعض مظاهــر السلــوك الخلقــى لاشخاص التقيت بهم ذكرنى ــ يقينا ــ بمواقف آخر المــدافعين عن الاحياء اليهودية بفرسيوفيا • فلقد كان يبدو عليهم الهدوء ، وكانوا لا يتخلفون عن الذهاب للمقاهى او للسينما وللاستحمام فى البحر مع استعدادهم لاحتمال كل التضحيات • وليس يهم ان كان هذا التصلب الذى مبعثه اليأس موافقــا للحقيقة ومتلائمــا مــع النسبة الواقعية للقوى المتقابلة ام لا ، فتلك مسالة اخرى • اما الــذى بوسعى ان اشهد بــه واضمن صحته فهو ان اهالى اسرائيل كانوا اثناء ازمــة تيران على يقين بان حياتهم او موتهم هى بين ايديهــم •

ج• ل• ــ هل ابصرت مظهرا لهذا العزم من الــوجهة العسكرية ؟

ج• ف• ه• ــ كان الشغل الشاغل للرقابة الاسرائيلية قبل نشوب الحرب غربلة كل الانباء المتعلقة بالتعبئة العسكرية للبلاد • فمن هذه الناحية اظهر المراقبون تشددا ملحوظا ، وبالتالى لم يكن يرى جندى او شىء ينبىء بوضع البلاد فى حالة حــرب ، وكان هذا من دواعــى الاستغراب بالنسبة الى • فالمتوقع فى بــلاد صغيرة شاع عنها انها مجندة مائة بالمائة ان نــرى حافــلات النقــل تختــرق الطرقات ليلا نهارا وكتائــب الجند تسير كوكبات متواصلة والمدافع تنقل الخ ••• بينما لم يلاحظ شىء هناك ، وكل من المدينة والريف محتفظان بوجههما العادى حتى اننا كنا نتساءل : اين هو الجيش ؟ واكاد اقول عن يقين : لم تكن توجد تجمعات عسكرية ذات شان فى منطقة الشمال التى زرتها • ثــم ذهبت لمرسى (ايلات) مسايرا الحدود الاردنية على طولها ، وهناك على مقربة من شرم الشيخ ومن قلب المعركة لم يكن ثمــة غير قاربين صغيرين وثلاثة مدافع مجرورة يحجبها عن الانظار سقف مرفوع •

لكنى فى سيرى متابعا الطريق نحو الشمال من الناحية الغربية التى هى اقرب الطرق الى شبه جزيرة سيناء ادركت ان كل الجهاز الهجومى الاسرائيلى رابض هناك • وكان منظره مؤثــرا للغاية خصوصــا

بالليــل اذ يخيل للرائــين ان فى كل واد وفى كل ممـر يــؤدى الى سيناء توجد وحدة مصفحة على اهبة القتال • لقد حشد فى هــذه المنطقة كل الجهاز العسكرى الاسرائيلى فى شكل لا يمكن ان يكون من الوجهة الاستراتيجية الا هجوميا اعد لحرب خاطفة • وكان يساور اذهان الاسرائيليين شبه يقين بانهم اذا لم ينجحوا فى الحـرب الخاطفة التى يشعرون بتفوقهم فيها فانه لا قبل لهم بمجابهة حـرب دفاعية طويلة المدى تمتد على مئات الاميال • وبعكس ذلك القيادة الاسرائيلية التى بدت وكأنها موقنة ان من شأن قواتها الجوية ومصالح استعلامتهــا وسرعة التنقل الهائلــة التى يمتاز بهــا الجيش وتفوقه التكنيكى ان تحقق لدولة اسرائيل النصـر فى صـورة قيـام حرب خــاطفــة •

اما اوساط الشعب ـ حتى الذين لهم المام بالوضــع ـ فكانــوا يعتقدون امكان تحطيم دولة اسرائيل تحطيما كاملا وابادة شعبها جماعيا ، وان ذلك هو مرغوب الخصم • وانا نفسى عثــرت فى احد الخنادق التى احتلتها اسرائيل مؤخرا فى الواجهة السورية على وثــائــق تــدعو للذعر ، وهى اشــرطة مصورة وفى شكــل فظيــع حقا مخاطب بها الجندى السورى تمثل محاربين مدججين بالسلاح على رؤوسهم خوذاتهم الحديدية وفى ارجلهم جزماتهــم يطؤون بهــا ارض اسرائيل التى تعلوها نجمة داوود وهــم يدفعــون الى المــاء بطعنات من حرابهم شيوخا اسرائيليين هزيلين يشبهون من عرفناهم عند خروجهم من معسكرات التجمع الممهدة لافنائــهم ، ويظهرون فى الاشرطــة رافعين ايديهم يتساقطون غرقى فى البحر الابيض المتوسط • وبدون شك ان هــذه الصور تبرر فى نظر الاسرائيليين الذين يطلعون عليها موقفا يصفونه بالدفــاع الشــرعى العــارى عن المصانعة •

ومــع ذلك لم نسمع من سكان المــدن والارياف وفى الشوارع او المستعمرات الفلاحية ما يفهم منه الولع بشن الحرب او العــزم على الاغارة ، فلا ازهار تتوج الاسلحة ولا صيحات تنادى بالحــرب ، ولا تهديد ولا وعيد • انما كان هناك تصميم على انهاء الوضع لطى صفحة الجزع الدائــم المتاتــى من بقاء المشكل محل اخذ ورد لا ينتهى •

وما ابعد الحربين الاوليين الواقعتين سنتـى 1948 و 1956 عن ان تعتبرا انتصارين مريحين ، فغاية ما توصفان به انهما كانتا هزتين ثقيلتى الاحتمال ، ولا مجال لتجددهما كل عشرة اعوام وقد احدثتا فى اسرائيل جوا ثقيل الوطاة ٠

وحسب تفكير الاسرائيليين ان الهزيمة العربية امر عادى ومالوف وان هو قاس ، ولا يفوتهم ان يعزوا التشدد الذى يظهره العرب لعظم المذلة التى حلت بهم ٠ وليست هزيمتهم الاخيرة الا حلقة جديدة تضاف لسلسلة الهزائـم التى الفوها وسط حماة البوار والخراب التى هممترطمون فيها، بينما تعتبر هزيمة واحدة بالنسبة للاسرائيليين نهاية لكل شيء ٠ ولقد روى لى رجال من اليساريين والالم يحـز فى نفوسهم ان من الثوريين العرب من كانوا يتمنون ان تبوء بلادهم بهزيمة عسكرية مشروطة كـى يتسنى لهم تجـديد معـالمها واقـامة مجتمع نظيف عادل على انقاض الوضع الحالى ، وعقبوا بقولهـم : «يتعذر علينا نحن ان نتمنى مثل هذه الامنية ولو خامرتنا هواجسها لاننا لو نهزم لانهار كل شيء ولما بقى اس يمكن استئناف العمل بداية منه » ٠ وهذا ما جعل الراى العام الاسرائيلى ملتئما ماضـى العزم ، وقد وضع لنفسه ضربا من المبادىء الخلقيـة استمـد منهـا القوة والخبرة والتصميم التى تجعل من الفرد فى آن واحد مزارعـا وجنديا لا هم له الا الدفاع عن حياته وارضه واسرتـه ٠

وقبل حلولى باسرائيل كان يصدم مشاعرى هذا الرضى عن النفس الذى ينم عن راحة الضمير ، لكن ما ان حللت بها حتى زال ما كنت اشعر به من الاستنكار سواء اثنـاء الازمـة او فى اوائـل الحرب الخاطفة ، وبدا لى كل شيء واضحا كانما هو من الامور العاديـة التى لا تستوجب آستغرابا ٠

٠١ و٠ ـ اريد ان اعود لاستجلاءفكرة الدفاع الشرعى التى يتمسك بها الاسرائيليون ٠ فلقد كان يظن ان لها نصيبا مـن الصحـة فى مستهل العمليات الحربية ، اى فى حدود الفترة التى ساد خلالها الاعتقـاد بان المصريين هـم الذين بـدؤوا بالهجـوم ٠ واليـوم نعلـم ـ والقادة الاسرائيليون يعترفون ـ ان اسرائيل هى التى بدات بالهجوم وقد اقر بذلك اشكول فى تصريح ادلى بـه يـوم

8 جويلية ، وزكاه من بعده (موشى ديان) • وقد قال السيد (شمعون بيريز) فى اوائل جويلية بباريس : انه ينبغى ن نعطى لقاعدة « الدفاع الشرعى » مفهوما اوسع مما هو متعارف • ففى نظره ان اغلاق خليج العقبة يعتبر عدوانا بارز الملامح ، وبناء عليه فان اسرائيل كانت محقة حين أعطت اشارة الانطلاق الاولى للعمل العسكرى • وارى ان هذا التاويل جد خطير ، ففى كل يوم تثور نزاعات عبر العالم الفسيح ، ولا تلبث ــ لو جارينا نظرية (شمعون بيريز) ــ ان تصبح كلها اسبابا لقيام حروب طاحنة بين الامم •

ج• ل• ــ لكن هذا التاويل من جملة القواعد الاساسية التى تقوم عليها الفلسفة السياسية لدولة اسرائيل • وفعلا يوجد فارق جوهرى بين علائق اسرائيل بالدول العربية ــ وهى علائق قائمة على غير الوجه القانونى ــ والعلائق التى تربط بين اتحاد الجمهوريات السوفياتية الاشتراكية والولايات المتحدة الامريكية مثلا او بين الصين وروسيا السوفياتية او بين الولايات المتحدة وكوبا • ولا ننسى ان حالة الحرب مازالت الاساس الشرعى الذى ترتكز عليه العلاقات بين اسرائيل والدول العربية من جراء رفض العرب ابرام معاهدة صلح مع جارتهم • وما لم تمض وثيقة السلم فى تلك الرقعة من الارض فان مختلف وسائل الضغط السياسية او العسكرية او غيرها قابلة للاستعمال • ولا مبالغة اذا قلت : ان إسرائيل تملك فى هذا الصدد سندا للعمل المسلح لا يملكه اى بلد من بلدان العالم فى الظروف الحالية •

ا• و• ــ اذن ما فائدة الحديث عن « الدفاع الشرعى » والحالة ماذكر ؟

ج• ف • ه• ــ هذه العبارة كثيرة التردد على الالسن ، وليست الوحيدة فى بابها بل توجد الى جانبها وعلى شاكلتها ست كلمات او سبع تعبر كلها عن استعصاء مشكل الشرق الاوسط عن الحل • فالمحق ، والابادة الجماعية ، والاذلال ، والوضع القائم ، وموجب الحرب ، والامبريالية ، والجهاد المقدس ، الخ ••• لا تلتقى معانيها اللغوية مع الوقع الذى يراد التعبير عنه بوجه دقيق، وما يحف بها من مختلف التاويل انما يفصح عن مدى سوء التفاهم القائم بين الطرفين•

حسـابـات الـرئيس المصـرى

ج٠ ل٠ ـ مهما كان الامر ، يبدو ان الرئيس عبد الناصر اقـدم يوم 17 ماى 1967 على اقتحام نوع من المخاطر ٠ فهل كان ينوى القيام بعملية استفزاز لاثـارة الحرب ام ان قصده لا يعدو فتح ازمـة على الصعيد الدولى ورفع مستوى الجدل الدائـر حول قضايا الساعـة وتوسيع نطاقه ليجنى تبعا لذلك مغانـم من الاميريكان على الاخص ؟

٠ر٠ ـ يمكننا تاويل ازمة العقبة حين ننظر اليها من القاهـرة على الصورة التالية : انها تبدو ذات اطوار ثـلاثة ، الاول هو طور المخادعة التى عمد اليها عبد الناصر والقصد منها اظهار القوة المصرية الرادعة لصد الهجوم على سوريا ، والثـانى طور الدخول فى دوامة الحركة التصاعدية التى اشرفت به على شفـا جرف الحرب ، ويوقت الطور الثـالث بيومين قبل نشوبهـا حيث خامـره امـل جنونـى بامكانية تجنب المجابهة مع جنى غنم سياسى ذى مال قوامه الاحتفاظ بالسيادة المصرية على مضيق تيران لقاء بعض التنـازلات لفائـدة اسرائيل ٠ وهو الغرض من زيارة زكرياء محيى الدين الى واشنطن التى لم تتم بسبب الغارة الاسرائيلية يوم 5 جوان ٠

ثـم ان عبد الناصر كان يحلم بامكان فتح مفاوضـات تتنـاول عموم المشاكل القائـمة ، ولا يبعد ان يكون قد حدثته نفسه لا سيما وهو يحظى بتاييد السوفيات ـ ان الوقت حان للظفر بمرغوبه بعد ان فقأ الدمل وأمسك بيده توثقة معتبرة ويرى الملاحظون بالقاهرة انه كان مستعدا لتقديم تنازلات ذات شان لفتح مفـاوضات شـاملة مـا دام يشعر بانه فى مركز قوة ازاء نظرائـه العرب ٠

ج٠ ل٠ ـ هل يجوز اعتبار المقررات التى اتخذها قادة السياسة

الاسرائيلية بمثابة التفصي من مجابهة المشاكل الداخلية التي تسبب فيها وضع اقتصادى ومالى بلغ منتهى التدهور ؟

ج. ف. ه. ـ لا اظن ذلك اطلاقا . بل ان الاقتصاد الاسرائيلي لم تظهر عليه بوادر الشلل الا منذ ان تفجرت الازمة ووجب بذل مجهود حربى مع ما يتبع ذلك من تجنيد الشباب ومن هم دون هذه السن وتعبئة الموظفين والفنيين والعملة ومن اليهم تعبئة يصح معها القول بان كل الرجال فصلوا عن الحياة الاقتصادية وحل محلهم النساء وحتى الاطفال . وكثيرا ما رؤيت المنتجات الفلاحية مطروحة ارضا وقد ادركها التعفن ، وانا شخصيا رايت فى احدى الضيعات الجماعية القريبة من البحر الميت الفواكه والباكورات الثمينة معرضة للضياع . كما تكبدت اسرائيل نفقات باهضة لشراء الطائرات والعتاد الحربى وبذلت فى ذلك مجهودا ماليا ضخما .

على ان التاثير الاقتصادى الوحيد فى سير النزاع على ما اعتقد هو استحالة بقاء اسرائيل رابضة على الحدود فى حالة تعبئة دائمة تعوقها عن العمل . ولقد كان ذلك ومازال يعتبر بمنزلة نزف مالى من العسير على صندوق العون الاسرائيلي جبره .

ومن جهة اخرى اذا كانت توجد بالنسبة للبلدان العربية ممكنات عظيمة للنمو والتطور فى المستقبل مثلما بسطه (رولو) فالحال لا يختلف ايضا بالنسبة لاسرائيل التى لها ما يكفى من الحيوية لتنمية تراثها الصناعى وتستطيع ان تعول على مضاعفة العون الذى تتصل به من مجموعات اليهود (دياسبورا) ، يدل على ذلك المجهود الكبير الذى بذله يهود العالم منذ بداية الحرب ...

ج. ل. ـ اشرتم قبل حين الى الاسلحة الفرنسية. وقيل لنا : ان موقف الجنرال دى غول اثر تاثيرا عميقا فى نفوس القادة وفى الرأى العام باسرائيل حتى ان البعض اعتبره نكوصا او من قبيل الخيانة . فكيف فسر هذا الاختيار الذى ارسى عليه اجتهاد رئيس الدولة الفرنسية ؟

ج. ف. ه. ـ لقد كان ذلك الموقف طعنة فى القلب . وكل

الاسرائيليين الذين عرفوا جنسيتى اقبلوا على مستفسرين والاندهاش يعلو وجوههم والاستغراب ينم عن الجرح الذى اصاب شعورهم من جراء ما أسموه الفضيحة. ولم يصدق القادة ما جرى بادىء الامر بل راوا فيه مناورة او حيلة سياسية ، ومعظم القائـلين بهذا الراى من الشخصيات اليسارية . اما المنتمون لاقصى اليسار فانهم اعتبروه موقف رجل مترشح للقيام بدور الحكم فى ايجاد حـل بين اقطـار العالم الثـالث واسرائيل ، ولا يتاتى له النجاح فى ذلك الا اذا لازم الحياد .

على ان السياسة الدينولية غير مفهومة فى اسرائـيل كما يجب . وما يستوقفهم منها على وجه الخصوص هو التناقض الموجـود بين الميول العاطفة فى مجموعها على اسـرائيل سـواء فى الـراى العـام او فى الصحافة وبين موقف الجنرال دى غـول . فهذا النشاز بين السلطة التنفيذية العليا وبين الراى العام هو الذى استعصى عليهم فهمه . وهم ماانفكوا يتساءلون « متى صوتت فرنسا بالموافقة على قرار دى غول ؟ » متحسرين على عهـد غى مـولى والمواقف الفرنسية اثناء حرب السويس ، آسفين على انخرام التضامن الذى عودهم به ذلك الحليف الثبت الامين .

ج. ل. ــ هل ان ما اضاعته الديبلوماسية الديغولية باسـرائيل غنمته فى مصر ؟

ا. و. ــ نعم . لقد اظهر العرب فى هذه النقطة على الاقـل موقفـا اكثر واقعية . فكنت اسمعهم فى القاهرة يقولون : ان فرنسا لا تعبا بالصداقات بل لا تهمها الا المصالح . ومعلـوم ان مصالح فرنسـا فى العالم العربى لا تقف عند حد ، كما انه من المحال ان نتصور ميل الجنرال دى غول لتاييد اسرائـيل ضد العرب وهو المعروف بتمسكه بالواقعية المفـرطة فى السيـاسة الـدولية . ولم ينس احـد اثنـاء الازمة التى شجرت بين سوريا وشركة نفط العراق كيف ان دى غول اتخذ موقفا وديا للغاية تجاه سوريا بالرغـم من اغلاقهـا انـابيب البترول . فهم يقولون : ان دى غول الذى ليس بوسعه ان يظل عالة على البترول الجزائـرى يحاول تخليص البتـرول الفرنسـى مـن

السيطرة الانقلو ــ اميريكية ، فهو يدرك اننا هدف لحملة عدائية موجهة من اميريكا على الشرق الاوسط ، وان المصالح الاميريكية هى التى اطاحت بنظام الحكم فى اليونان ، وان انهيار حكومتى دمشق والقاهرة لن يجلب لفرنسا اى مغنم • ولكل هاته الاسباب كان المصريون على يقين بان الجنرال دى غول لابد ان يظاهرهم ويشد ازرهم فى الازمة •

ج• ل• ــ هل شعرتم فيما يخص علائق اسرائيل بالعالم الخارجى بان بعض اليساريين من الاسرائيليين تضايقوا ــ ظاهريا على الاقل ــ من جودهم فى النزاع الى جانب المعسكر الدولى الراسمالى والمحافظ ضد اغلبية المعسكر الثورى اذا جاز لنا ان نستند على تصريحات رجال امثال (هوشى منه) و (فيدال كاسترو) ؟

ج• ف• ه• ــ هذه المسالة مثيرة مؤلمة ، وكثيرا ما تهيات لى الفرصة للخوض فيها مع شخصيات من احزاب اليسار او اقصى اليسار • فالتناقض فى قرارة انفسهم على اشده ، ويبدو ــ مادام الامر يتعلق بسياسة طويلة المدى ــ انهم مستعدون لتقديم تنازلات ذات قيمة لفائدة العرب • وكانوا يظهرون شيئا من الكدر من جراء الالتحام الحاصل بين اسرائيل والغرب ويتمنون انقلابا فى التحالف لم يكن فى حيز الاحتمال ، وربما اعتبروا من جملة لعنات القدر التى لحقت اسرائيل ــ مثلما وقع فى حرب السويس ــ ان يكون الحلفاء الطبيعيون لها هم انفسهم خصوم « النزعة التقدمية العربية » ، اعنى الامبرياليين • والتماسا للعذر عن موقفهم هذا ينظره البعض بما كان للعرب من ميل للالمان بل الى المبادىء النازية التى رحبوا بها وعطفوا عليها طويلا • ذلك ما يجعل هؤلاء اليساريين مضطرين لان يكونوا ــ على الاقل فى حالات الخطر الفادح ــ مندمجين بكليتهم فى المعسكر الغربى • وسعيا الى التفصى من مسؤولية هذا الوضع الذى احوجتهم الضرورة اليه يحملون وزره على الدول الاشتراكية التى احتضنتهم فى الساعات الاولى التى تلت ميلاد اسرائيل ثم تولت عنهم ، واخيرا تنكرت لهم •

ومنذ انبعاث الازمة التى تسبب فيها غلق مضيق تيران بلغ التوتر

حدا لم يكن يسمح لاسرائيل ــ ولو فى صورة انهزامها عسكريا او ديبلوماسيا ــ ان تغير يوما سياستها لتوجهها صوب نوع من التعاون القائم على اساس العدل بينها وبين البلدان العربية • وهذا ماجعل اليساريين الاسرائيليين مضطرين لامتطاء نفس المركب الذى يقوده « انصار السياسة الصلبة » التى طالما نددوا بها واعترضوا عليها • على ان منهجهم هذا لا يعنى قيام وحدة مقدسة بينهم وبين مختلف النزعات بل القصد منه الحرص على حفظ الذات وطرح الخلافات جانبا الى ان تتبدل الظروف ، مع العلم بانه ليس فى امكان اى زعيم من زعماء اليسار التخلى عن الاستجابة لهذا التكتل الذى لا مناص منه ، والدليل ان رجالا امثال (افنيرى) و (يالين مور) و (الدكتور سنيه) كانوا على استعداد لان يقاتلوا بكل قواهم لان القضية بالنسبة اليهم كما لغيرهم قضية حياة او موت • وقد استشهد لى (الدكتور سنيه) باقوال لينين كى يبرر العزلة السياسية التى اضطرته الظروف اليها واستعرض امامى صور الحروب الثلاث التى خاضتها اسرائيل وستخوضها ، اذ الحرب الثالثة لم تكن اندلعت بعد •

فالملحمة الاولى سنة 1948 لم تثر اى مشكل بالنسبة لاسرائيل حيث رحب المعسكر الاشتراكى بالدولة الجديدة ايما ترحيب باعتبار كونها انتصارا على المعسكر الامبريالى • اما المعركة الثانية فى سيناء فقد اعتبرها بعكس ذلك عملا امبرياليا لا يحتمل الشك • واما الحرب الثالثة ــ التى كانت متوقعة منذ اغلاق مضيق تيران ــ فان العرب هم المتسببون فيها اصالة لانهم هم الذين مهدوا لها السبيل ، حتى ولو جاز على المدى الطويل حمل تبعاتها على الطرفين • فالاسرائيليون اليساريون لم يكونوا يرون حرجا ان تتولى اميريكا فتح مضيق تيران، وليس فيهم من هو على استعداد لشجب عملها مهما تكن اسبابه العميقة المصطبغة بالنزعة الامبريالية •

ج • ل • ــ بتعبير اوضح، حصل هنا ما يحصل غالبا اثناء الازمات حيث نرى ثوريين منطقيين مع انفسهم فى الظاهر يؤثرون قوميتهم والوفاء للمجتمع الذى تتكون منه دولتهم على مراعاة اتجاههم العقائدى فهل

تصدق نفس الملاحظة على اليساريين المصريين وخاصة الماركسيين منهم ؟

•ا و• ـ اجل • توارت المشاكل العقائدية فى الصف العربى كما توارت فى الجانب الاسرائيلى واصبح الاهتمام بها فى المقام الثانى • واذا كان الشيوعى (سنيه) صوت مرارا مع اشكول محبذا الاتجاهات الصهيونية او ما دونها من المواقف الملية ونمت غالب احاديثه عن نزعة قومية صميمة بعيدة كل البعد عن حرب الطبقات ، وعدل حزب (مابام) عن فكرته الهادفة الى قيام دولة يهودية عربية على غرار الدولة المسيحية الاسلامية فى لبنان حسبما اشاد بذلك ودعا اليه سنة 1947 ، واصبح لا يوجد اليوم بين الماركسيين الاسرائيليين من يجنح للتنازل عن غنائم الحرب ، وغدت بالاخارة النزعة الملية من الجانب الاسرائيلى تغطى على كل اتجاه فكرى مهما يكن مشربه ، فاننا نرى ونلمس فى الجانب العربى نفس الظاهرة سواء بسواء •

لقد كان للشوعيين العرب حتى سنة 1947 نفس المواقف التى للشيوعيين الاسرائيليين الا فى النادر • فكانوا يتحدثون هم ايضا عن قيام دولة فلسطينية تضم اليهود والعرب ، ثم قبلوا مبدا التقسيم بعد ان اقرته روسيا السوفياتية واعترفوا بوجود دولة اسرائيلية على حدة •

وظلت الاحاديث تترى ـ من هذا الجانب وذاك ـ عن الكفاح المشترك للطبقات الكادحة ضد الامبريالية ، لكنه تجانس لم يلبث ان اختفى فى السنين التى تلت قيام دولة اسرائيل ويعزى اختفاؤه ـ فى جانب منه ـ الى النزاع الذى احتدم بين اليهود والعرب فآل بطبيعته الى بعث النزعات الملية المتطرفة فى المعسكرين •

ودفع الماركسيون العرب ثمنا غاليا لقاء مساندتهم لاسرائيل فنالهم الاضطهاد والسجن وتسلطت عليهم الاحكام القاسية ووجهوا للمحتشدات كما كان الحال فى مصر ، او حكم عليهم بالاعدام كما حصل فى بغداد ، واصبحت احزابهم جميعا اثرا بعد عين •ولم يقم

منهم بعد مضى عشرين سنة وقبيل اندلاع الازمة فى ربيع سنة 1967 من يعمد الى التمييز ولو تمييزا طفيفا بين الطبقات الكادحة الاسرائيلية وبين قادتها ومسيريها • ففى نظرهم جميعا ان اسرائيل ذيل للامبريالية الاميريكية وان الواجب يقضى بتحطيم الدولة الصهيونية واقامة دولة على انقاضها تكون فيها لليهود حقوق متساوية مع جيرانهم العرب ويعتبرون مواطنين على الوجه الاكمل مع تبعيتهم لدولة عربية • ومما يؤيد هذه النزعة الجديدة ما اتخذه الشيوعيون المصريون منذ بضعة اعوام من التدابير المضادة لليهود حيث عمد احد احزابهم الى رفت الاعضاء اليهود من لجنته المركـأية دون فصل عامة المنخرطين منهم فى صفوفه •

ومن هذا يتضح انه حصل انزلاق لدى الاحزاب الماركسية من الجانبين نحو مواقع ملية • وقد التقيت اليوم بهؤلاء الماركسيين فى مصر فالفيت اقلية منهم ما زالت مصرة على التشبث بمواقفها الملية المسايرة لمبادىء القومية العربية ، لكن الاكثرية تعترف بانها اخطات فى تاثرها بالجو الذى ساده التطرف والغلو فى الوطنية ، وان الاسرائيليين لهم الحق فى الوجود • وبصفة عامة رجعوا للنظريات التى كانوا يعتقدون صحتها فى عام 1947 ـ 1948 •

III - العمليـــات الحـــربيـة



ج· ل· ـ عندما أبتدأت الإشتباكات صبيحة يوم 5 جوان هل كان ثـمة شك فى القاهرة حول مسؤولية البدء باطلاق النار ؟ وبالنسبة للقادة والراى العام هل كان التفكير متجها صوب الاعتقاد بان ماجرى متسبب فيه الجانب الاسرائيلى ام ذهب رجل الشارع الى ان الجيش المصرى هو الذى شن الغارة كما كان يتمناه البعض ؟

أ· ر· ـ لم يعرف رجل الشارع فى الساعات الاولى للصدام من الذى بدا بالعدوان كما هو الحال بالنسبة الينا نحن الصحافيين ، ومع ذلك كنا نستغرب لو انبئنـا ان مصر هى البـادئة · ففى يومى السبت 3 والأحد 4 جوان كنا على يقين بأن الرئيس عبد الناصر لن يفعل شيئا من شأنه اثارة الحرب بل اطمأننا منذ علمنـا ان زكريـاء محيى الدين سيتوجه الى واشنطن وبلغ الوثوق ببعض زملائنا حـدا جعلهم يمتطون الطائرة عشية الاحد للرجوع الى بلدانهم · اذن ، فحتى ليلة نشوب القتال لم يكن احد فى القاهرة يفكر ان مصـر هى التى ستاخذ بيدها زمام المبادرة فى هذا الصدد ·

وقبيل الساعة التاسعة (1) من صبحية الاثنين كنـا مازلنـا فى انزالنا اذ سمعنا طلقات المدافع المضادة للطائـرات · وخـرجت استطلع من شرفة غرفتـى فرايت النـاس فى الشـارع مقبلين على شؤونهم بصورة عادية ولا تبدو عليهم علامات الجـزع · واستمـرت

(1) التوقيت المصرى متاخر ساعتين عن توقيت باريس .

الطلقات دون ان نتبين مصدرها على التحقيق ، فالاذاعة لم تذكر شيئا وصفارات الانذار لم تنطلق والحياة فى القاهرة تسير على مالوفها · وكنت ارى تحت نافذتى طفلا يبيع (الكاكوية) على نحو ما يفعله كل يوم ، وحتى المارة لم الاحظ عليهم تساؤلا يلفت الانظار ، مما حملنى ان استنتج كما استنتج زملائى ان الامر لا يعدو ان يكون من قبيل التمارين العسكرية ·

ولم تنطلق صفارات الانذار الا بعد ساعة من بدء القتال · ويكفى للدلالة على نقص استعداد المصريين واضطرابهم انهم اطلقوا صفارة انتهاء حالة الفزع عوض الاشعار ببدء الخطر والحال ان القذف مازال متواصلا · وعلمنا فيما بعد ان الاسرائيليين كانوا بصدد تحطيم المطارات آنذاك ، ولم تنفك صيحات الفزع تتوالى كامل الاثنين 5 جوان فى جو يكتنفه الغموض التام ·

ج· ل· ـ على العموم ، قوبل الحدث الجديد بمزيج متعارض من الاندهاش وعدم المبالاة والشك ، أليس كذلك ؟

ا· و· ـ لقد توجهنا الى وزارة الشؤون الخارجية للاستطلاع فصرح لنا موظف سام ان اسرائيل شنت هجوما على مصر · واعلنت الاذاعة الخبر بقولها : « لقد كنا ضحايا عدوان غادر ، فالاسرائيليون قد شنوا مرة اخرى هجوما وعمدوا لقذف مطاراتنا لكننا واقفون موقف الجد وسنرد غائلة العدوان » · وكانت البلاغات الاولى تنبىء بانتصارات باهرة اسقط اثناءها المصريون 40 طائرة ثم 60 ثم 70 ··· وبتعاقب الساعات بلغ فى اوائل العشية عدد الطائرات الاسرائيلية المسقطة 130 ·

وشهدنا حينئذ كيف تفجرت بصورة خارقة للعادة احاسيس الفرح من صدور الشعب وكيف خرجت الجماهير الصاخبة للشوارع بالرغم من انذارات الفزع وطلقات المدافع المضادة للطائرات لتصرخ بملء افواهها : « نحن معك يا عبد الناصر » و « الويل الويل لاسرائيل » · وفى الساحات العمومية راينا الناس يرقصون من شدة الفرح ويهتفون من أعماقهم ويقبل بعضهم بعضا متبادلين البشائر والتهانى كلما اعلنت مضخمات الصوت الاذاعية ان طائرة للعدو اسقطت ·

ج· ل· — هل ارتفعت لهجة الاذاعة اثناء اليوم الاول من القتال ؟

ا· و· — نعم . والذين تحدثوا يومها هم مذيعوا المناسبات الكبرى ، وكانت اصواتهم جمهورية وعباراتهم مطبوعة بطابع الحماس البالغ مع الفصاحة · غير ان لهجتهم لهجة الناطقين بلسان شعب فى موقف دفاعى · واخذت الاذاعة تبث النداءات للمقاومة والجزع ينضح من خلال اقوالها مذكرة كل حين بالعدوان الثلاثى الذى وجه ضد مصر سنة 1956 ، وتختم نداءاتها معلنة ان « الحق » لا بد ان يتغلب اخر الامر على « القوة الغاشمة » ·

ج· ل· — هل لم يبد على الناس استغراب من عدم اخذ عبد الناصر الكلمة فى ظروف خطيرة كتلك وعدم اعلانه للشعب المحنة التى اخذت تغشيه ولا يلبث ان يذوق منها الامرين ؟

ا· و· — لم يقع استغراب فى البداية · لكن بمرور الساعات وتعاقب الايام حصلت خيبة امل شديدة فى النفوس من جراء الصمت الطويل الذى لازمه الرئيس المصرى فاخذ الناس يتساءلون عن الحدث العظيم الذى جد ويعطون لتساؤلاتهم فى الغالب اجوبة مثقلة بالامل والتفاؤل لانه لم يدر فى خلد احد ان الجيش المصرى سينهار فى بضع ساعات بل الجميع يقولون انه فى سنة 1967 ، غيره سنة 1956 ، ورجل الشارع لم يكن يعى الامر على حقيقته ·

وبعد ايام قليلة التقيت باحد سفراء الدول الاجنبية فى القاهرة وقد اتيح له الاجتماع بعبد الناصر فكان مما قاله له : « لم اعلم الا فى مساء يوم 5 جوان ان القوة الجوية حطمت · فاى لواء لم يجد فى نفسه الشجاعة الكافية ليصارحنى بالواقع المرير · وبينما قضيت يومى مكبا على دراسة الخرائط لاتبين كيف يتسنى لنا التراجع الى مواقع دفاعية — نظرا للصعوبات التى يواجهها الجيش — كنت خالى الذهن تماما لا اعلم ان طيران بلادى لم يبق له وجود يذكر · واخيرا ، حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر اتى من قال لى : فقدنا كل طائرتنا » ·

ج· ل· — وفى اسرائيل ، هل فكر عامة الشعب ان العرب هم الذين بدؤوا بالهجوم، ام كان الراى الراجح ان الدولة اليهودية — تجاه

الوضع الذى الفت نفسها فيه ـ هى التى عمدت الى الهجوم قياما بما تملكه من حق الدفاع الشرعى ؟

ج• ف• هـ• ـ ان الراى العام الاسرائيلى كان مهيأ لتلقى الصدمة ويتمنى من امد طويل القيام بسعى لكسر الطوق الذى يحيط بـه • ومع ذلك فعندما شاع خبر الحرب حصل اندهاش عم البـلاد جمعاء لانه لم يكن احد ينتظر اندلاعها بمثـل تلك السرعـة • اما رجـال السياسة ـ باستثناء بعض المسؤولين ـ فكانوا يحسبون ان الضربة القاضية ليست وشيكة • ومثلما فعـل الصحافيـون الذيـن غادروا القاهرة قبيل الهجوم قررت انا ايضا الرجوع الى باريس يوم السبت 3 جوان ظنا منى انـى تعرفت الخبر اليقين بعـد اجتماعـى بعـدة شخصيات سياسية وسؤالى اياهم عـن نواياهـم • وكنت اعتقد ان امامى فسحة من الوقت قد تبلغ خمسة عشر يوما او ثـلاثـة اسابيع قبل ان يضطرنى توتر الوضع للرجوع الى اسرائيل • وفى صبيحة يوم الاثنين عندما سلمت مقالى للطبع باسطا فيه نظريات مركزة على اساس منطقى تفيد ان التدخل العسكرى فى الشرق الاوسط ليس وشيك الوقوع ومشيرا الى امكانية ايجـاد حـل للازمـة بالطـرق الديبلوماسية ••• كانت الشرارة الاولى للحرب قد انطلقت •

وبعد ان حررت مقالى رحت ابحث بلهفة بالغة عن طائـرة تقلنـى الى اسرائـيل • ويكفى دليلا على ان الذى حصل لم يكن متوقعا هناك هو انه لم يقع العدول حتى يوم الاحد عن تسريح المجازين من الجنود فى جو يسوده الهدوء التام •

فمن بدأ القتال اذن ؟ ان اللبس دام طويلا • والقادة الاسرائيليون اكدوا انهم قاموا فى سيناء بصد هجوم فى صورة هجـوم مستدلين على مدعاهم بانهم شاهدوا بواسطة الرادار قوافـل من المصفحـات متجهة نحو الحدود • لكن اتضح لى فى وقت وجيز ـ وهذا ما اكدته فيما بعد التصريحات الرسمية الاسرائيلية ـ ان العـرب لم يبدؤوا بالهجوم خصوصا فى الواجهة المصرية • فهل كانوا اذن على اهبـة الهجوم ؟ ذلك ما فكر فيه الاسرائيليـون ، ويقولون انهم عثـروا على وثائق تثبته رايت نماذج منها وهى نسخ منقولة عن الاصل •

ج. ل. ـ وماذا عن قذف المستعمرات الفلاحية بمنطقة غزة والواجهة الجنوبية قبل بدء المعارك ببضع ساعات حسبما يدعيه الاسرائيليون ؟

ج. ف. ه. ـ ان الامر يتعلق بمستعمرة (نحال اوز) . ومن العسير جدا معرفة ما اذا قذفت تلك المستعمرة قبل او بعد تحرك قافلة من الدبابات على بعد خمسة عشر ميلا من المكان . وليس بوسع اى منا ان يؤدى شهادة فى هذا الصدد يكون مطمئنا لصحتها .

ج. ل. ـ هل كان الراى العام الاسرائيلى يعلق اهمية على معرفة ما اذا كانت دولته هى البادئة بالهجوم ؟

ج. ف. ه. ـ انهم يسخرون من ذلك . وحسبهم عمليا ونظريا فى حالة حرب اذ العمل العسكرى الذى جاء فى وقته المحدد لم يكن الا النتيجة الطبيعية لوضع لا يمكن ان يدوم .

ا. ر. ـ كنا نحن الملاحظين الاجانب بمصر على يقين منذ الساعات الاولى التى تلت بدء المعارك ان اسرائيل هى التى شنت الهجوم ، فعموم الشعب والسلط اخذوا على غرة وبدا عليهم الارتباك الذى لا يمكن ان يظهر به المهاجم .

ج. ل. ـ من الجائز تهيئة عملية هجومية مع عدم الاستعداد كما يجب لمواجهة وضع دفاعى ، كما يمكن اعداد خطة هجومية على العدو فى الواجهة دون اتخاذ الحيطة لدفع غائلة هجوم يستهدف عاصمة البلاد .

ا. ر. ـ هذا صحيح ، غير ان المصريين يعرفون ان الطيران الاسرائيلى فى المقام الاول من حيث القوة . وبناء عليه ، وعلى فرض انهم المهاجمون لابد ان يكونوا على يقين من ان الاسرائيليين لا يلبثون ان يردوا الفعل اضعافا ويضربوا ضربتهم الحاسمة .

ج. ف. ه. ـ انا لا ارى مانعا من مجاراة من يقول ان مصر لم توجه كتائب مصفحة نحو اسرائيل عندما شن الهجوم ، لكن من العسير جدا التصديق بان المصريين لم يفكروا فى مهاجمتها .

وما حل بهم من خيرة اوندهاش غير كاف لتبرئة ساحتهم واقامة الدليل على حسن نواياهم .

سلـوك الجيـش المصـرى

ج· ل· ـ لننظر الان ماذا كانت الحالة الفكرية للقادة المصريين فى الساعات الاولى التى تلت بدء المعركة ؟

١· و· ـ لا يمكن لعامل المفاجاة ان يفسر وحده حصول الهزيمة التى كشفت الستار بالاخص عن فقـدان الكفـاءة لـدى المسؤولين العسكريين : فحالة الفزع لم تكن قائمـة الا بالليل لان الهجوم نهارا يعنى فى نظرهم خرق قواعد الحرب ! ومما يدل على هذه العقلية ان الطيارين المصـريين كانـوا يحتسـون قهـوتهم المخيـرة المنعـوتة بالـ « مضبوط » فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات الاسرائيلية تحلق فوق وادى النيل موجهة قذائفها لابعد النقط الاستراتيجية · والاغرب من كل هذا أن الاسرائيليين بدؤوا ينسفون المطارات الكائنة فى اقصى الجنوب على الحدود السودانية قبل ان يعلن عن حالـة الفـزع فيما يلوح · وما كان لبلاد متخلفة مثل مصر ان تمارى دولـة غربيـة فى اعلى درجات التطور كدولة اسرائيل الا ببالـغ العسـر لان الجيش الاسرائيلى تحت قيادة اوروبيين استوعبوا الطرائـق الفنية العصرية وخذقوا استعمالها ، وليس هذا حال الجيش المصرى ·

ج· ل· ـ ليست الخبرة الفنية وحدها التى اعوزت المصريين ، فانا اقدر مباهج الحياة المصرية حق قدرها لانـى عليم بها واعرف وداعة المصريين ولطف شمـائلهم ايضا · لكن العـدول عن القيـام بواجب الحراسة والاعراض عن لزوم اليقظة ابتداء من الثامنة صباحا لا يعتبران من قبيل الضعف فحسب بل هما الى الخيانة اقرب عندما تصل الامور هذا الحد من اللامبالات ·

ا• و• ــ تحدث الناس مثلكم في القاهرة عن الخيانة عندما علموا ان طائــراتهم سمرت فى الارض خلال حصة زمنية لم تتجاوز بضع ساعات وراحوا يتساءلون : لماذا لم تتحرك اجهزة الرادار في الابان ؟ وبينما المناقشات تدور على اشدها اذا بعبد النــاصر يطلــع بذلك الجواب الغريب فى خطابه الذى اعلن فيه استقالته يوم 9 جــوان ، فلقد قال : « كنا ننتظر الطائــرات الاسرائيلية من الشرق فاذا بها اتت من الشمال والغرب » •

ولا حاجة الى القول بان هذا الجواب لم يقنــع المصريين الذيــن ضحك بعضهم منه وساور البعض الاخر الشك فى صحتــه وطفقوا يؤولون اسباب النكسة تاويل شتى من بينها تخريب اجهزة الردار • غير ان هذا الفهم لا يتسر لنا تحطيــم ابعد المطــارات عن القاهــرة واخفاها ــ وهى التى اقيمت منذ بضعة اسابيــع ــ قبــل ان يتفطن لذلك الطيارون المصريون !

ج• ف• ه• ــ والوقوع فى مثل هذا الوضــع المــزرى هفــوة سياسية فادحة طالما ان القادة غير واثقين بقدرتهم فنيا على القتال • وقد كان على عبد الناصر ان يدرك بامكان مناورته السفسطائية جره الى الحرب •

ا• و• ــ اريد الرجوع الى النظرية المتعلقــة بالتخريب • فمنذ الساعات الاولى التى شاع فيها خبر الانكسار اخذ الناس يتحدثــون عن وجود مؤامرة يتزعمها جمع من الضباط المتمردين الذين غايتهم الاطاحة بعبد الناصر ولا يتسنى لهم ذلك الا بتهيئة اسباب الهزيمة ، فاذا سقط احتولوا على الحكــم بتاييــد من مصالــح الاستعلامــات الاميركية وربما بمساندة تلتمس من اسرائــيل •

وسواء كانت هذه الشائــعات صحيحة ام لا فالذى لا ريب فيه هو ان الجيش المصري فى مجموعه يسوده غضب دفين • وحسب التعبير الشائــع فى القاهرة فان هناك « بورجوزاية عسكرية » برزت للوجود منذ قيام الحكم الناصــرى ، ويسمونهــا ايضــا « طبقــة الضباط

المكتنزين » يعنون المفرطين فى السمن · وكثير منهم مناهضون لاشتراكية عبد الناصر ·

ويقضى الضباط السامون فى نواديهم الرياضية وقتا اكثر مما يقضونه وسط اركان حربهم · فاللواء مرتجى قائد جيش سيناء مثلا لم يكن هناك يوم الهجوم فى مركز قيادته بل فى الاسماعيلية حيث التقى بزوجته ليقضى معها يوما زاهيا هناك · اما اللواء صدقى محمود قائد السلاح الجوى فقد كان مشغولا ليلة الهجوم باحياء سهرة كبرى فى منزله بالقاهرة ادت خلالها احدى شهيرات الراقصات رقصة البطن حتى لا يفوت ضيوفه العسكريين ما يمتعون به ابصارهم واسماعهم فى تلك الليلة الصاخبة ·

ج· ل· ـ عرفنا جيش فاروق حيث تقاس الرتب العسكرية بضخامة الجثة · ورأينا كيف خلفهم ضباط ذوو اجسام نحيلة لكنهم وطنيون يتقدون عزما وحمية وهمهم من الدنيا النجاعة والفعالية وحذق الاساليب الفنية العسكرية · وهكذا تضاءل الجيش المصرى من حيث جرمه لكنه اكتسب قوة بمامارسه من افانين الرياضة البدنية ، فبدا المشير عامر وضباطه رجالا فى ريعان الشباب تبدو عليهم علامات الفتوة والحزم والاقتدار · وما كان اشد اندهاش الناس حين راوا اثناء الحرب الاخيرة عودة ذلك الصنف من الرجال « المكتنزين » الذين كان يظن انهم ذهبوا الى غير رجعة · فمن ذلك اننا شاهدنا على شاشة التلفزيون استسلام القائد الاعلى للقوات المصرية بمنطقة غزة فرايناه رجلا عريض القفا ذا جثة ضخمة تذكرنا بما كان عليه ضباط عهد فاروق · ويحق لى انا الذى عرفت المظهر العسكرى المصرى فى مستهل عهد الثورة ان استغرب اليوم حين اراه يعود سيرته الاولى بعد مضى خمسة عشر عاما فقط فيرجع لما كان عليه فى عهد فاروق ·

ا· و· ـ ان الجيش المصرى الفتى الذى عرفناه سنة 1952 تبدل كثيرا · فالضباط الثوريون المتحمسون المخلصون لنظامهم تصاعدت اعمارهم بنسبة خمسة عشر عاما ، وتكونت رويدا رويدا طبقة من المحظوظين · وتبدو هذه النتيجة كانما هى حتمية بالنظر للاصول

العسكرية التى ارتكز عليها النظام الناصرى واضطراره الدائم لالتماس مساندة الجيش • وللابقاء على ولاء الضباط السامين للنظام كانت تغدق عليهم المرتبات الضخمة ، وكلما اريد اقصاء احد منهم تقع تسميته على راس احد المشاريع المؤممة ويعطى راتبا لا يتناسب وكفاءاته او مؤهلاته البتة •

ج• ل• ـ اذن فالذى حصل هو ان القوم اتخمتهم السلطة الجديدة التى تقلدوها •

ا• و• ـ انهم اصيبوا بالنهم ، وكان سعى عبد الناصر يهدف الى مصانعتهم • وما مر زمن غير طويل حتى حل الضباط محل الطبقة القديمة من الاثرياء الذى زحزحهم النظام الناصرى عن ممتلكاتهم ، وتكونت من الوجهاء الجدد كتلة ضاغطة على الدولة • واذا لم يكن من الميسور لهم قلب النظام من اساسه فكثيرا ما نجحوا فى تعطيل او تعديل عدة مساع ذات صبغة شعبية متسببين فى شل حركة التقدم ليحملوا الاشتراكية الناصرية وزر ذلك الجمود •

ج• ل• ـ ان تحليلك يرمى الى جعل الهزيمة العسكرية المصرية نتيجة اسباب سياسية وفنية فى ان واحد • فهل ادرك الراى العام المصرى هذا المعنى بشىء من السرعة ، وهل كان مطلعا اطلاعا كافيا على سير الاحداث عن طريق الاذاعات الاجنبية على الاقل ، وهل ايقن منذ البداية ان النشرات الاولى للانتصارات المصرية الباهرة كانت سرابا وان الوضع قد انقلب على العرب اسوا انقلاب ؟

ا• و• ـ ان الراى العام المصرى لم يع الهزيمة ولم يقدر مداها اصلا • وكيف يتسنى له ذلك ونحن الصحافيين انفسنا لم نكن نتصور فى اليوم الاول امكان حصول هزيمة بمثل ذينك الشمول والسرعة ، بل اعتقدنا ان ما كانت تبثه اذاعة اسرائيل يومئذ هو من قبيل المبالغة والتهويل • وهذا ما جعل اذاعة نبا وقف اطلاق النار بمثابة طعنة نجلاء اصابت كبد الشعب • فكيف يعلن ذات مساء عبد الناصر ـ الرجل الجرىء القوى ـ انه يقبل وقف اطلاق النار دون قيد ولا شرط ؟ ذلك ما ظل يتساءل عنه المصريون •

لقد ورد اول نبا من الامم المتحدة وجاء فيه « ان مصر قبلت وقف اطلاق النار » ، بيد ان احدا لم يصدقه وظن الصحافيون المصريون انه حصل خطا فى الارسال • فكيف مع هذه الحال يدرك الشعب جلية الامر ؟ وبعد ايام رجع الجنود من سيناء وقصوا على الناس ما قاسوه من الالام فزال عندئـذ الشك وحل محله اليقين المـر • ومنذ ذلك اليوم تزعزع وثـوق المصريين باذاعة القاهرة واخـذوا يستمعون للمحطات الاجنبية وخاصة اذاعة اسرائيل •

ج• ل• ـ هل فوجىء الراى العام الاسرائيلى هـو ايضا بسرعـة انتصار جيوش بلاده ؟

ج• ف• ه• ـ فى المستوى العالى لم يفاجا الراى العام لان الحرب الخاطفة كانت متوقعة ومضبوطة فى ادنى تفاصيلها ومنسقة مسبقـا ساعة بساعة • اما عموم الشعب فقد فوجىء لانه يقدر العتاد العسكرى العربـى فوق قدره • وكان الناس ـ حتى ذوو الخبرة منهم ـ يظنون ان الحرب ستكون فى النهاية رابحة للعرب الا انها لا بد ان تكبدهم خسائـر فادحة لا سيما اذا طال امدها ، فالزعيم (افنيرى) مثـلا متشائمـا للغاية ويرى ان الخسائـر الاسرائيلية ستكون عظيمة لا نسبة بينها وبين ما حصل اثناء حملة سيناء التى لم تكن الا « جولة عسكرية » • وازداد هذا التفكير رسوخا فى كثير من الاذهان عندما انضـم الاردن الى عبد الناصر • وبوسعـى الاستشهـاد بعشرات الشهادات الصادرة عن افراد مشهورين برباطة الجاش وكلها متضافرة على الاعتقاد بانّ الحرب ستعم السهل والوعر وستكون وطاتها شديدة وتكاليفها ثقيلة ، وظل هذا الاعتقاد سائـدا حتى اليوم الذى ابصر الناس فيه بوارق النصر •

نعم ، ساد الاسرائيليين اعتقاد هادىء قوامه النصر او الموت ، وكان كل فرد منهم مستعدا لان يقاتل الى النهاية لو انتهكت حرمـة ترابهم • كما ان التفكير السائـد هناك هو انه كلما كانت المعركة اوجز واسرع كان النصر اشمل واكمل مـع ثـقـة بقيمة القيـادة ونجاعة العتاد والتجهيزات الحربية • اما الوثـوق فى الافراد فمطلق لما يعتقده الجميع من عزم واصرار كل مواطن يدعـى لحمل السلاح •

وبما ان النصر منوط بالسرعة حتى لا تثقل وطـاته على طالبيه فان المفاجاة غير المتوقعة هى اليسر الذى حصل على اساسه النصر اكثر من السرعة التى حفت به ٠

ج٠ ل٠ ـ هل كانت الاتهامات بالخيانة والتخريب التى خامرت افكار المصريين على اثـر الهزيمة هى السبب فى التدابير المضادة لليهود التى اتخذت انذاك ، وهل يمكن ان يبرر الخوف من قيام كتيبة خامسة اتخاذ تلك التدابير ؟

ا٠ ر٠ ـ منذ بدء المعارك صبحية 5 جـوان اجـريت تفتيشـات بوليسية فى كامل ارجاء التراب المصرى افضت الى الزج بعدة يهود فى السجون ٠ وشاع ان عدد الموقوفين يتـراوح بين 200 و 500 فى حين ان الطائـفة اليهودية هناك هزيلة العدد لا تعدو 2500 او 3000 نسمة على الاكثر ٠ ومعظم اليهود غـادروا مصـر اثـر حملتى 1948 و1956 لكن الحكومة المصرية ارادت ان تعتبر الباقين منهم خطـرا يهدد البلاد ٠ وانه لمن السخف الاعتقاد بان بعض مئات اثـروا البقاء بمصر وفاء لوطنهم يمكن ان يكونوا خطـرا عليها ٠

وقد اجابنى احد اعضاء الحكومـة المصريـة عـن ذلك بقولـه : « لكنك نسيت ان الاسرائيليين هم على مسافة مائـة وخمسين ميلا من القاهرة ولو دخلوا لا مكن ان يجـدوا عونـا من اليهـود المقيمين هناك » ، واضاف : « ان هذه التدابير لم تطبق على اليهود وحدهم بل شملت معهم مئات من المسلمين والنصارى الذين نعتبر تعاونهم مع الاسرائيليين امرا محتملا بالنظر لما يكنونه من العطف لاميركيا او لاسرائيل » ٠ هذه هى وجهة النظر المصرية الرسمية ٠

اما من ناحية عموم الشعب المصرى فانت تعلم بحكـم مقامـك الطويل هناك انه لا يضمر عـداء لليهـود ولا ينطـوى على ايـة نزعة عنصرية ، فهو فى مجموعه لين العريكة ميـال الى التسامـح حسن المعاشرة ٠ ومما لفت نظرى بوجه خاص اثناء الازمـة انى لم اسمع ترديد اى شعار معاد للسامية ٠ ويوم تلقى الشعب المصرى الصدمة المزدوجة التى باغتته باستسلام الجيش واستقالة عبد الناصر كاد

يكون غضبه منصبا باجمعه على الاميريكان ، اما وجود اليهـود ببلاد في حالة حرب مع دولته فذلك مما لا يخلو من المحذورات ، وفي مصر تحمل اليهود الاما كبيرة قبل وبعد الحرب التى دارت بين اسرائيل والعرب سنة 1948 ، ونالهم اثناء حملة السويس فى سنة 1956 نصيب اوفر اذ اعتقل كثير منهم او نفوا بعد ان صودرت املاكهم او وضعت تحت الائـتمان ·

ج· ل· ـ لنلاحظ هنا ان امر هؤلاء يتعلق فى الغالب بيهود من ذوى الجنسية الفرنسية او الانكليزية تقرر ابعادهم بوصفهم رعايـا تابعين لدولتين لا باعتبارهم يهودا ·

ا· ر· ـ ان كثيرا منهم لا ينتمون الى وطن معين · وفى هذه المرة ايضا شمل الايقاف عديدا من الاجانب ، وهذا الاضطهـاد يفسـر ما قلناه من انه ليس من المريح اصلا ان يكون المرء يهوديـا فى مصر أو عربيا فى اسرائيل اثناء الازمات الحـادة · على ان ذلك هو الثمـن الذى يكلفه النزاع الاسرائيلى العربى الابرياء الذين عليهم ان يوفوا به صنوفا من العناء شتى ·

هل هناك نزعة عسكرية اسرائيلية ؟

ج• ل• ـ ان النتائج الباهرة التى كللت المعارك قد تحمل على الاعتقاد بان الدولة القائمة فى اسرائيل اشبه ما تكون بالدولة العسكرية وبان نوعا من النزعات العسكرية تفجر هناك اثر انتصارات اوائل جوان 1967 • فهل يبدو لك الاعتقاد موافقا للواقع ؟

ج• ف• هـ• ـ لا شيء من ذلك اصلا • وقد يمكن لوم اسرائيل على اشياء كثيرة ارتكبتها قبل الحرب وخلالها وخصوصا بعد انتهائها ، كما يمكن اعطاء نعوت كثيرة مغايرة لما تـدعيه من التمسك بحقها الشرعى وما تعلنه من ايمان راسخ بحظوظها دون اى قيد او شرط ، بيد انه لا اثر هناك « للنزعة العسكرية » حسب مدلولها المتعارف • ذلك ان هذه النزعة تفرض وجود خلق فى الامة يميل بها الى تقـديس الجيش لا بصفته اداة حفظ الكيان فقط بل باعتباره رمز السمو الخلقى ايضا •

ج• ل• ـ كيف يمكن ذلك وقد شاهدنا جهازا حربيا مستحكم الحلقات استطاع ان يسدد سلسلة من الضربات فى اوقات احسن اختيارها ، فهلا تشير هذه التحركات المنظمة الى تغلغل الروح العسكرية فى اسرائيل ؟

ج• ف• هـ• ـ انا اميل الى القول بان الاسرائيليين قوم يحسنون الحرب ، وليس معنى هذا ان الروح العسكرية متغلغلة فيهم • فالجيش الاسرائيلى غير محترف بل هو جيش شعبى متكون على الاخص مـن عساكر الرديف الذين تتراوح اعمارهم بين 20 و 40 سنة بالنسبة لكافة الرجال ويمكن ان تجند فيه النساء غير المزوجات • وعلى هذا يصح ان يقال فى شعب اسرائيل انه باجمعه تحت السلاح وان كل

فرد منه يتمتع بدرجة عالية من التقنية والكفاءة والقدرة على المباداة. ولنضرب لذلك مثلا التعبئة العامة : فانها تتم باقصى السرعة سواء بواسطة المخاطبات الهاتفية والنشرات الاذاعية ، وكل فرد يعلم حيث يجب ان يذهب والساعة المعينة لحضوره . وقد بلغ الشعور بتقديس الواجب العسكرى فى اسرائيل درجة من الرسوخ فى النفوس اصبح معها التفكير فى التنصل منه محالا على المعنيين به . وفى كلمة ، فان جيش اسرائيل متكون من مواطنين واعين لواجباتهم مضطلعين بمسؤولياتهم ، وهذا الاحساس العميق ينعكس على كيفية تاديتهم لمهمتهم العسكرية .

ولا اكتمكم انى اشعر بنوع من الضجر كلما ابصرت جيشنا حال قيامه باعماله الرتيبة الا هنا لك باسرائيل لانى رايت لاول مرة فى حياتى جنودا بعيدين عن الخيلاء والزيف . ثم ان الذى يلفت النظر بنوع خاص هو ما تمتاز به الاداة العسكرية الموضوعة بين ايديهم من الجمع بين النجاعة وقلة الكلفة . فلم اشاهد قط جماعة يمشون المشية العسكرية او فى صفوف متلاحقة بل يبدو ان كل واحد يعلم عن بينه المهمة التى هو مسخر لها ومدعو لاتمامها فينجزها فى بساطة وحذق وذكاء .

ج. ل. — اى واجهة شاهدت فيها تحركات الجيش الاسرائيلى ؟

ج. ف. ه. — توجهت اولا الى المدينة العتيقة بيت المقدس ومنها الى بيت لحم ثم الى الواجهة السورية . ولم اهتم بمشاهدة الحرب التى دارت رحاها بين الطرفين قدر اهتمامى بالكيفية التى مارس الجيش الاسرائيلى بمقتضاها العمليات الحربية . فقد كان يخوض غمار الحرب فى جد وفعالية مع انعدام الروح العسكرية على النحو الذي اثر عند اقوام اخرين لدرجة ان قياس سلوكه على سلوك الفرنسيين فى الجزائر - مثلا يجعل المقارنة غير صحيحة لوجود فارق عظيم بين الصورتين .

ج. ل. — لا شك ان البراعة الملحوظة فى توجيه الضربات الثلاث التى قررت مصير الحرب فى الجنوب والوسط والشمال والتوزيع

العلمى المنسق تنسيقا محكما للمجهود الحربى يوقران فى الاذهان قدرا عظيما من الكفاءة الاستراتيجية ، ويحق للشعب الذى تجلت فيه هذه الصفات وانبعثت من قيادته تلك المهارات ان يغمره الشعـور بالفخر والاعتزاز ...

ج. ف. هـ. ـ لا تكتفى قراءة الصحف وحدها لاخذ صورة حقيقية عن النجاعـة المدهشة التى تبدت فى عمـل الجيش الاسرائيلى من الوجهة العسكرية . فالكتائب المسماة بالـ « صابرة » تتلقى تمرينا يضاهى ما يتلقاه المظليون عندنا اذ تدرب جنودها على القتـال فى الصحراء وعلى تحمل ما يتطلبه مناخها من العناء ويخضعون لتمارين على الرماية الحقيقية وعلى قذف الشهب النارية واستعمال النابالم... وهم محاطون فى قومهم بتقدير واعتبار يوشك ان يبلغ درجة العبادة . ومعظمهم منحدر من ارومة اوروبية (اشكناز) وقد حذقوا الاسـاليب الفنية حتى انه ليصح القول فى حقهم دون مبالغـة انهـم منتجـات اخرجتها الصناعة الالية البشرية فى صورة من الاتقان لا تجارى . انهم يستحقون ان تفرد لهم وحدهم دراسة خاصة .

لقد انصب هول الصدمة الحاسمة على الجنوب فى سينـاء حيث دارت المعركة الكبرى التى باءفيها الجيش المصرى بالهزيمة ، واثناء ذلك لم يكن فى الواجهتين السورية والاردنيـة الا قليل من العتـاد العسكرى . على ان هذا لا ينفى وجود رجـال المزارع الاشتراكيـة المتاخمة للحدود مسلحين رابضين فى المستحكمات والخنـادق فى انتظار هجوم محتمل من جانب العرب وان كان هذا الاستعداد لا يؤلف فى الحروب العصرية الا سورا لا قيمة له تذكر. وقد استطاعت القيادة الاسرائيلية بعرضها كتيبة واحدة مصفحة تولت نقلها بحذق وحيلة ان توهم الاردنيين بان الحد الفاصل بينهم وبين اسرائيل مغمـور كله بالمصفحات وان من الخير ان يبقوا فى حالة دفاع والا فالدمـار ينتظرهم .

ولم تتحرك الجيوش الاسرائيلية نحو الشمال والحدود السورية الا بعد انقضاء يوم ونصف عن بدء المعارك ، فتفرغت كتائب الصدام محلهم عساكر من الرديف . وقد التقيت بهؤلاء الجنـود المتـازين

وهم فى قمة نشاطهم بمنطقة بحيرة طبرية ذات المنظر الخلاب التى ورد ذكرها فى الانجيل فرايت قوافل ضخمة من المصفحات والافا من المركبات المختلفة الاشكال ومن حافلات شحن البضائع ونقل الاشخاص تتقدم فى غير نظام فى الظاهر ويسيرها سواق مدنيون جندوا ، وكانت تبدو الفوضى كانما هى حتمية ، ومع ذلك لم يحصل اى اضطراب ولا توقف فى حركة الجولان رغم سوء حالة الطرقات ٠

ج٠ ل٠ ـ وما هو رايهم فى خصومهم ؟

ج٠ ف٠ هـ٠ ـ ان الروح الحربية تقتضى احترام الخصم خلافا للروح المصطبغة بالنزعة العسكرية ٠ ولا شك ان الاسرائيليين بهتوا مما اظهره خصومهم من عجز وقصور فقابلوا بشىء من الاحتقار الجهاز العسكرى العربى الذى تباينت النسبة فى نظرهم بينه وبين التهديد الذى كان يمثله لكنهم لم يحتقروا الرجال ٠ وقد عرفت بعض الصحف الغربية باشياء لا تمت الى الحقيقة والواقع بصلة كادعائها ان المصريين لم يبلوا البلاء الحسن فى القتال وهو غير صحيح ٠

ان الذى ينبغى فهمه جيدا هو انه بالنظر الى الصورة التى دارت عليها الحرب وما اكتنف معاركها من سرعة فائقة وعنف بلغ حده الاقصى لا يمكن ان يستنتج ان العرب اخلوا بواجب الدفاع عن انفسهم ٠ وباستثناء الضباط الذين ظهروا فى احط الدرجات فان الجنود قاموا بواجبهم على الخطوط الاولى حيث دارت معارك حامية بسيناء لقى فيها الكثير منهم حتفهم ٠

لقد انهالت على الجيش المصرى الضربات من كل جانب فتشتت وحدته وغدا تائها فى الصحراء لا يستطيع ان يلم شتاته او يراب صدعه ٠ وكيف يمكن تصور حالة اخرى والطيران الاسرائيلى مسيطر على سيادة الاجواء يحرق الدبابات كما يفعل البهلوانات فى معارض الالعاب ٠ وكانت قوافل المصفحات تسير بهدى من الراديو والاخصائيون الاسرائيليون العليمون بأطوال الموجات وبمميزات كل وحدة أو سيارة للجانب المقابل يديرون تلك القوافل حيث شاؤوا ويعبثون بها حتى ينفد وقودها أو يستدرجونها حيلة الى

حيث يكون القضاء عليها • واكثر من ذلك ان الاسرائيليين يعرفون اسماء بعض المصريين الذين تمكنوا من التحليق في جو المعركة فكانوا يسالونهم عن عائلاتهم بواسطة الراديو •

ومن جهة اخرى فالاسرائيليون يقدرون شجاعة الاردنيين الذين تجلت مهارتهم في القتال • وقد كانت بعض المعارك في الضفة الغربية من نهر الاردن قاسية جدا اذ لم يستسلم الاردنيون ، وما كان يدور بخلدهم ان يطلبوا من عدوهم الامان ، كما انه بدوره لم يفكر قط في العفو عنهم • وبايجاز فان الحرب كانت شديدة الوطاة ، وبذل فيها الاسرائيليون كل ما لديهم من الوسائل ــ بما في ذلك النابالم ــ للظفر بالنصر •

ا• و• ــ وهل كان استعمال النابالم شيئا لازما ؟

ج• ف• هـ• ــ ربما • اما انه ضروري فلا • كما لم يكن من الضروري ما عمدت اليه الاردن وسوريا من قذف بيت المقدس وناطانيا •

الاستقالة المزيفة
للرئيس عبد الناصر

ج• ل• ـ باختصار ، كانت خاتمة المعارك التى دارت على الصورة المعلومة من الجميع وبالا على مصر ، وذلك ما ادى بعبد الناصر لتقديم استقالته يوم 9 جوان فكان هذا الحدث احدى المفاجآت التى اسفرت عنها الحرب • ولقد ذهبت الاراء مذاهب شتى فى تاويل مغزى تلك الاستقالة واخذ الناس يحللون الاحساسات الحقيقية للرئيس المصرى تحليلا ضافيا • فهل اراد حقا ان يتخلى عن منصبه ، وهل كان جادا أو مؤاربا فيما اعلنه على الناس ؟ اود ان اعرف رأيك فى الاسباب الدافعة لهذا الحدث وفى نتائجه •

١• ر• ـ فى صبحية يوم الاستقالة بالذات كان الغضب قد ساد البلاد جمعاء اثر سماع الناس خبر قبول مصر وقف اطلاق النار دون قيد ولا شرط • ولاول مرة سمعنا فى كل مكان افكارا معادية لعبد الناصر ، وكثير من المصريين كانوا يقولون على مقربة منا : « انه هو المسؤول وحده عن الكارثة ، ولا مناص له من التنحى عن مكانه » • لكن احدا لم يتصور انه سيستقيل •

واستنادا لروايات تلقيناها من اقاربه امكننا ان نستعرض الاحداث الفاجعة التى جرت فى منزله بمنشية البكرى • لقد انهار عبد الناصر عصبيا ونفسانيا امام شدة وقع الهزيمة • وكيف لا يكون ذلك وهو يشاهد تحطم الجيش الذى سهر على تكوينه طيلة خمسة عشر عاما فى صبر ومثابرة وبتحمل التضحيات المالية الضخمة واذا به يتبدد فى يوم وليلة وكانه تماثيل من الورق • ولقد كان الشعب بدوره فخورا معتزا بالنتيجة الحاصلة رغم تكبده فى سبيلها من

النفقات ما يعز احتماله ، ولطالما قيل له ان جيش 1967 غيره سنة 1956 ولا يعوزه التجهيز ولا المران الذى ازداد رسوخا واتقانا فى ميادين القتال باليمن .

ثم فوجىء بعد هذه الصدمة بعدة انباء مفزعة متتالية حملت اليه اخبار انقراض قوته الجوية وتشتت جيشه وموت الالاف من جنوده ، وزاد فى حيرته وصول عساكر اسرائيل الى ضفة قناة السويس التى كبده تحريرها من السيطرة البريطانية ثمنا غاليا .

وفى الميدان السياسى بدا له ان كل الناس تخلوا عنه : فروسيا السوفياتية لم تحرك ساكنا لانقاذ جيشه من الهلاك ، والراى العام العالمى الذى تم تكييفه من قبل بواسطة الدعايات الماهرة بدا فى مجموعه مؤيدا للمنتصرين ، واقرب رفقائه اليه يطعنون عليه او تتملكهم الحيرة والذهول . كما اعتقد ان صديقه القديم المشير عبد الحكيم عامر الذى لم يستطع اعداد جيش جدير بهذا الاسم قد خانه وتولى عنه . ومن هذا كله ادرك ان سمعته ذابت كما تذوب قطعة الزبد حين تعرض لحر الشمس . ومما زاد فى دهشته ولا شك شعوره انه لم يعد شيئا يذكر وأن نظامه اصبح على شفا الهاوية بعد ان نال الاميريكان والاسرائيليون مرغوبهم وحققوا اهدافهم وقد كان قبل ثلاثة ايام فقط يمثل كل شىء ويعتبر الزعيم المبجل للعالم العربى بدون منازع .

وسمع الناس يتحدثون من حوله عن وجوب استخلاص العبر من الهزيمة ، وهمس بعضهم فى اذنه انه قد يكون من المفيد لانقاذ ما يمكن لانقاذه ان يتخلى عن الحكم ولو لبضعة اشهر ، وكاشفه بعض المقربين اليه بان الاتفاق مع الاميريكيين ضرورى لا مناص منه . وهنا ثارت ثائرته وطغى الكبرياء على تفكيره فقال انه قبل بوقف اطلاق النار لكنه يابى ان يكون رجل الاستسلام ، واذا كان لا بد من التخلى فهو يريد ان يذهب عالى الراس . وبوصفه رئيسا للدولة فانه يتحمل كامل مسؤولية الانكسار وهو على استعداد لان يستقيل .

وشاع انه قال يوم 9 جوان ـ قبل القاء خطابه على شاشة التلفزة

ببضع ساعات ـ اثناء اجتماع مضيق عقدته اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكي العربي الذى يضم رفقاءه مـن الـرعيل الاول : « بما ان زكرياء محيى الدين يرى من المصلحة سلوك سياسة اخرى غير التى انتهجتها ويعتقد ان قبول حل وسط لا مناص منه فليقتعد مكانـى على راس الدولة وانا ابارك سعيه » ٠

ويبدو لى ان الرجل صادق فيما قاله بعد ان حطمته الاحداث ٠ لكن هل كان يؤمل تدخلا لفائـدته ؟ من المحتمل انه تمناه فى قرارة نفسه ولم يصدق امكانية وقوعـه ٠ وعلى كل فهو لـم يفعـل شيئا لتحريك سواكن الشعب لفائـدته ٠

لقد استمعنا اليه يخطب على شاشة التليفزيون فرايناه متهالكا تنم عليه اساريره ووجهه ينضح بالالم ، الى ملامح تعب وضنى بادية عليه ٠ وكان فى صوته تردد واضطراب ، وكثيرا ما تلعثـم فى قراءته للنص الذى يلقيه ٠ فما ابعده مظهرا عما هو معروف به من فصاحـة التعبير التى استهوى بها الجماهير ٠ وعندما اعلن قراره بالانسحاب من الحياة السياسية اختنق صوته ، وسمعنا اذاك من الطابق الثانى عشر للعمارة التى كنا فيها ضجة كبـرى ارتفعت فيهـا الاصـوات وتشابكت صاخبة مهددة داوية كالرعد ٠ واغرانا صفاء الجـو بالخروج لشرفة غرفتنا فراينا الناس مندفعين كالسيل الطافى او كاسراب النمل والاف الرؤوس تطـل من النوافـذ ٠ وكان الـوقت غروبـا والمدينة يلفها الظلام تـوقيا من الغارات الجويـة ٠ واقبل الناس يعدون من كل مكان صارخين باكين وفيهم حافى القدمين ومن يرتدى اخف اللباس وبينهم اطفال ونسـاء فى اثـواب النـوم ، وجميعهم يعبرون عن ألم لم يطيقـوا احتمـاله ويصرخـون بمـلء افـواههم : « عبد النـاصر لا تتـركنا ٠ اننا فى حاجة اليك » ٠ كانت تلك هى الضجة التى سمعناها داوية كالرعد وشاهدنا خلالها النساء يرتمين على الارض كما تفعل نائحات الصعيد المصرى فى المقـابر ولما يـزلن يفعلنه حتى اليوم عندما يلم بهن مصاب ٠

وانا طفت فى انحاء كثيرة من العالم لكنى لم اشاهد فى حياتـى منظرا كالذى رايته ذلك اليوم ٠ لقد رايت شعبا باسره غـرقـا فى

يم من الحزن والاسى المعبرين عن الم مضن يعسر للنظرة الاولى ادراك كنهه لان الذين كانوا فى الصباح ينحون باللائمة على عبد الناصر هم انفسهم الباكون كالاطفال مساء • وفجأة انقلبت القاهرة الى ما يشبه خلية نحل فى اوج نشاطها وتدفقت سيول المصريين فى الشوارع على ثلاث موجات كبرى بدت فيها على وجوه الجميع مظاهر العزم والتصميم الجدى • وكان جماهير الموجة الاولى يصيحون تلقائيا ومن اعمق اعماقهم : « الى السفارة الاميريكية • الى احراقها • الاميريكيون هم المتسببون فى تخلى عبد الناصر • لا نريد زكرياء محيى الدين ولا الدولار ، ولا الاسترلينى • سحقا للامبريالية • » ولم نستمع نداءات ضد اسرائيل •

وتوجهت موجة ثانية من المتظاهرين نحو مجلس الامة اذ اعلنت الاذاعة ان النواب سيجتمعون ليقرروا هل يقبلون استقالة عبد الناصر ام لا ، فتدافع حول بناية المجلس عشرات الالاف من الخلائق ينادون : « عبد الناصر • عبد الناصر » ، وكلما اقبل نائب اعترضه المتظاهرون وامسكوا بخناقه مهددين قائلين : « اذا لم تصوت لفائدة عبد الناصر فسيكون جزاؤك القتل عند خروجك » ، والجواب دائما هو انه سيصوت لفائدته • وكنا نسمع التهديدات الموجهة للنواب تتصاعد من صفوف الجماهير مثل قولهم : « نحن نعرف هؤلاء المرتزقة الذين يعود فضل تعيينهم فى البرلمان لعبد الناصر ، انهم اول من يتحفز اليوم لطعنه من خلف » مما يدل على ان الجماهير عالمة بالكيفية التى جرت عليها انتخابات مجلس الامة وان المظاهر لم تخدعها •

ويؤيد هذا الشعور الشعبى بان كثيرا من النواب يستوفزون للاطاحة بعبد الناصر ما عمد اليه عدد منهم ـ وفى مقدمتهم وكيل رئيس المجلس ـ من المسارعة الى مركز البريد لتوجيه برقيات التهانى لزكرياء محيى الدين • غير ان عامل البريد ـ برغم انه من البيروقراطيين العديمى الجراة والاقدام ـ وجد فى نفسه الشجاعة الكافية ليقول لوكيل الرئيس : « انك خائن • ولست على استعداد لقبول هذه البرقية » وردها فعلا • فاجابه الوكيل الذى ظن ان امر

الاستقالة مفروغ منه : « ساطلب الى (الجاويش) القبض عليك لعصيانك وامتناعك من الاسهام فى تقديم فروض الولاء لرئيس الجمهورية الجديدة » ، لكن (الجاويش) امتنع بدوره من القبض على عون البريد ٠

اما الموجة الثالثة فتضم زهاء نصف مليون نسمة تجمعوا طوال الطريق المؤدى من القاهرة الى منزل الرئيس المصرى بمنشية البكرى وقضوا ليلتهم هناك ، واحدق جمع غفير منهم بمنافذ منزله ليتأكدوا عند خروجه انه سيذهب الى مجلس الامة لسحب استقالته ، وكانت ليلة طاف بها طائف يشبه الجنون ٠ وفى بورسعيد تجمع الناس فى الشوارع معتزمين التوجه الى القاهرة للابتهال اليه حتى لا يتخلى عن الرئاسة ، واضطر عمدة البلد للخروج فيهم مصحوبا بميكروفون وبمضخم للصوت ليبين لهم انهم ان غادروا بورسعيد باجمعهم فان الاسرائيليين لا يلبثون ان يحتلوها فى الساعة الموالية ٠ اما مدينة طنطا فقد هجرها كل سكانها ٠

وشهدنا فى الغد وصول الاف من الرجال والنساء والاطفال الى القاهرة قضوا ليلهم سارين سائرين على الاقدام ٠ وانه لمن المعتذر وصف الحالة التى كانت عليها العاصمة المصرية يومئذ وقد اقبل عليها ملايين الخلائق من كل ارجاء البلاد متضرعين لعبد الناصر ان يبقى على راس الدولة ٠ وبلغت بهم طفرة الحماس حد الاقدام على احراق عدة فروع للاتحاد الاشتراكى العربى لان مسؤوليها امتنعوا من تسخير وسائل النقل لحملهم الى القاهرة متذرعين بانهم لم يتلقوا اوامر تسمح لهم بالاستجابة لسؤل الجماهير ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ـ طبعا يجب التسليم بان هذه الاحساسات تتسم بالصدق ولا اثر للمؤاربة فيها ، ولكن ظهورها على هذا الشكل وفى مثل هذا الاندفاع ينم عن بلبلة من وجهة النظر السياسية اذ كيف يتسنى لهؤلاء الناس فى كفاح له ما للكفاح الحالى من التشعب والتعقد ان يعملوا افكارهم ويحتكموا الى العقل للخروج من المازق ؟ انه لمنظر مؤثر حقا لكنه فى الآن نفسه ينذر بالخطر ٠

ا• و• ـ هذا هو عين المشكل الذى تساءلنا عنه جميعا • وكان اول تفسير له خطر ببالنا هو اننا ازاء شعب تتغلب عليه العاطفة • وحسبى دليلا انى تلقيت الجواب عن تساؤلنا ذلك على لسان احدهم ممن طالبوا فى الصباح بذهاب عبد الناصر ثـم اخذوا يصرخون فى المساء داعينه الى البقاء ، حيث قال ما فحواه : « اننا نعتبر عبد الناصر بمنـزلة الأب ، وقد يغضب الابن على أبيـه ويوجه اللوم اليه لكنه لا يـرضى ان يتفصى منه • انى شعـرت حين سمعت الخبـر المزعـج انى اصبحت كالضائـع الذى فقد الدليل » •

غير ان رد الفعل الذى من هـذا التبيل لم يصدر الا عن اقلية • اما ما شهدناه اثناء المظاهرات من تعلق الناس بعبد الناصر فيعزى لكونه الرجل الوحيد القادر فى نظرهم على بعث روح المقاومـة فى النفوس وانه اولى بالاضطلاع بهذه المهمة من زكريـاء محيى الـدين الذى تنسب اليه نية التصالح مع العدو •

ج• ل• ـ هل يصح ان تعتبر الاهتـزازات العـاطفية التى تخللت رد الفعل الشعبى من قبيل ما يسمى بالفزع العظيم ، وهل توقعت الجماهير بحق ان الجيش الاسرائيلى سيحتل البلاد طولا وعرضا وتصور الناس قدوم الدبابات الاسرائيلية بالفعل ؟

ا• و• ـ لم يكن منشأ الامر الخـوف على نحو ما قد تتصـوره بل ساور الخوف النفوس حين بلغ علمها ان الجنود الاسرائيليين وصلوا قناة السويس • وكان الغضب شديد الوطاة حتى انه آل بالعملـة الى ارغام السلط على امدادهم بالاسلاحة التى لم يمكنوا منها قبل •

ومـا ان وضعت الحـرب اوزارهـا حتى زال حـديث السعـى الى « تحرير فلسطين » وحل محله الكفاح ضد المحتل ، وشعر المصريون لاول مرة منذ جلاء الجيوش البريطانية سنة 1956 انهـم لم يبقـوا شعبا حرا مستقلا •

ج• ل• ـ هل صدق الراى العام المصرى الاتهامات التى وجهها عبد الناصر للاميريكان والانكليز ناسبالهم المشاركة فى الحرب ؟

•١ و• ــ كلا ، بل تلقى الناس هذه التهم بارتياب • على انهم لا يجهلون ان اسرائيل تتمتع من لدن الاميريكيين بتاييد سياسى واقتصادى وعسكرى واسع النطاق • وهم مقتنعون بان الاسرار العسكرية المصرية انما احالتها الى اليهود مصلحة الاستعلامات الاميريكية ، وان الاسطول السادس الاميريكى كان على أهبة التدخل عند الحاجة •

اما فيما يخص مشاركة الطائرات الانكليزية او الاميريكية فقد سمعنا بعض المصريين يردون : « اذا كان ما يدعيه عبد الناصر حقا فلم لا يكشف لنا عن طائرة انكليزية او اميريكية اسقطت » • والمصريون لا يعوزهم حسن التبصر •

ج• ل• ــ هل ابرزت المحنة والهزيمة تصدعا فى المجتمع السياسى المصرى وهل بدأ من بعض الكتل ــ وأعنى بالخصوص الاخوان المسلمين ــ ميل لاستغلال انكسار عبد الناصر فى محاولة للاستيلاء على الحكم ؟

•١ و• ــ اوقف فى سنة 1965 عدة الاف من الاخوان المسلمين اثر اكتشاف مؤامرة ضد النظام الناصرى • وقرر الرئيس المصرى قبل اندلاع الحرب الافراج عن المعتقلين السياسيين لكن لم ينتفع بهذا العفو الازهاء الثلاثين شيوعيا • اما الاخوان المسلمون فقد قال فى حقهم عبد الناصر لبعض اقربائه : « كلا ، انهم ليسوا وطنيين • وسيسارعون الى طعننا من خلف عند اول فرصة » • وحين بلغ اعضاء هذه المنظمة اليمينية المتطرفة وهم فى سجونهم خبر تخلى عبد الناصر عن الحكم تملكهم سرور لا يوصف ، وطفقوا ــ جهرة ــ يتبادلون التهانى لانهيار « الرئيس » •

اليهـــوديـة والحـــرب

ج· ل· ـ من الناحية الاسرائيلية هل اذكى الكفاح وما اسفر عنه من النتائـج الاحاسيس الدينية ؟

ج· ف· ه· ـ انها مسالة جوهرية يتوقـف عليها فهـم تسلسل الاحداث لا سيما بعد الحرب · ومما لا ريب فيه ان اسرائيل ـ من حيث المؤسســات التى ترتكـز عليها ـ ابعـد ما تكون عن الصبغـة اللائكية : فلا حالة مدنية بدون حضور احد الاحبـار ، والصعوبـات قائـمة في وجه من يريد التزوج بغير اليهودية ، والتغذية خاضعـة لقواعد حلية الطعام (كاشير) ، وشعائـر السبت محترمة كامـل الخ ··· بيد ان التقيـد المطلق بالعقيدة لا يحتـل مكانة ذات شان فى نفوس الاغلبية الساحقة وعلى الاخص فرقة (الصابرة) · وعندهم انه ليس من الضرورة الدينية ان يتهود المـرء بل حسبه ان يكـون اسرائيليا · والجانب اللاهوتـى من النظام السياسـى لاسـرائيل وسط شعب غير متدين تفسره مبدئـيا من الوجهة المادية الحاجـة الاقتصادية الملحة للتاثير على اليهود المشتتين فى مختلف اصقـاع العالم حتى يمدوا لها يد المساعدة ·

لكن السبب الحقيقى اعمق من ذلك بكثير · فاليهـودى عندمـا تطأ قدماه ارض اسرائيل يشعر انه استكمل ذاتـه واثبت وجـوده · وما زال يعاود اليهود اعتقادهم انهم شعب الله المختار ، واكبر سبة تنالهم ويشتد وقعها عليهم رميهم بالتنكر ليهوديتهم · انك تستطيع ان تقول لليهودى ما شئت الا ان تشك في يهوديته كما لاحظت ذلك مرات · وليست فرقة (الصابرة) من المتبتلين المنقطعين للعبـادة المجردة بل هم يعلنون تمسكهم بحقهم كاملا ويحرصون على ذلك قدر حرصهم على حفظ ذواتهم والعكس · وهذا « الحق الكامل » يعتبرونه

ضمانا لوجودهم ويقولون : « نحن يهود · نحن هنا ولا سبيل لمنازعتنا حقنا فى الوجود على ارض اسرائيل التى لا انفصام لها عن اليهودية وعنا » ·

وليس فى هذا التفكير ما يدعو للاستغراب ، فالفرنسيون ايضا كاتوليكيون عن غير شعور منهم حتى عندما يظنون ويعلنون انهم تخلصوا من كل عقيدة دينية· ويبدو ان هذا الاحساس هو اكثر بروزا وتعقد لدى الاسرائيليين ففى ايام المحن تطفوا على السطح تقاليدهم المتينة التى مكنت ملتهم من البقاء عبر عشرين قرنا من التشتت فى ارجاء الارض ·

اذن كيف استطاعت الحرب ان تغير اسلوب الحياة الذى اعتادته اليهودية وامتاز بالرتابة والهدوء ؟ ربما كان هذا التحول مما يؤسف له · لكن من المؤكد انه الحدث البشرى الاكثر بروزا لهذه الحرب عندما ننظر اليه من ناحية اسرائيل ·

ذلك ان الانتصار السريع اعتبر كمعجزة من الوجهة الدينية وتاكيدا لوجود اسرائيل · على ان اعتقاد المعجزات يؤكد بدوره مخاوف الاسرائيليين من عاقبة الحرب · فما ان حصل الانتصار حتى اخذ الناس يتناقلون فكاهات مثل : « لم تحظ اسرائيل بالنصر الا لان (ديان) كانت يداه مرفوعتين الى السماء كما فعل يشوع بن نون فى ارض كنعان » ، او هذا الخبر الذى يظهر انه يعتمد على اساس من الواقع : لقد نفخ الجنود الذين اغاروا على اريحا فى « صور » كالذى نفخ فيه (اللاويون) قديما فدكوا اسوار اريحا نفسها · والذين رووا لى الخبر اضافوا قائلين : « من يدرى فلعله صحيح » ·

على ان الناس ــ الا القليل ــ لا يعتقدون ان قصص التوارة تكررت وانما هو كلام يقال وينم عن معان عميقة· وثمة حكايات اخرى ــ حملت فيها التوراة محمل الانطباق على الاحداث الحالية ــ اثارت فى نفسى شعورا بالكدر ، ان لم اقل بالغضب · منها هذه التى تحمل مغزى بعيد الوقع شديد الوطاة ·

كنت اتناول كاسا مع صديق ضابط فى سرية من المصفحات

عادت من سيناء ــ وهو رجل هادىء رصين حر التفكير تماما ــ فقال : « كنت فى قلب الصحراء على متن سيارة حربية انا وضابط اخر فاذا بمصرى فار قد اسودت شفتاه مــن شدة الظما يقتــرب منا ويطلب جرعة ماء فقابلته فيما يخصنى بالاعراض واجابه صاحبى لسؤله » ، وثــارت حفيظتى فقلت : كيف يجوز ان يمنع الـمــاء عن ضــال فى الصحراء بل كيف يمكن حتى مجرد التفكير فى ذلك ؟ فهز كتفيــه وقال : « لكى يدرك فرعون الحقيقة ، لم يكن بد من ذبح المواليد الاول باسرهــم » ٠

ا٠ و٠ ــ يظهر ان هذا السلوك له نظائــر واشباه كثيــرة ٠ وقد قيل فى القاهرة ان مئات من الجنود المصريين ماتوا عطشا ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ــ اجل ، اعلم ان الناس تحدثــوا كثيرا فى الخارج كما فى اسرائيل عن ماساة الهاربين الذين ضلوا الطريق فى صحراء سيناء حتى ان هذه الانباء ترتب عنها بدء تحول فى الراى العام ، وفى فرنسا على الاخص ٠ طبعا انه لا سبيل لانكــار ما قاســاه الجنــود التائــهون من المتاعب والنكبات وهى تفوق بكثير ما كان يصيبهم لو شتتوا فى ارض خصبة ٠ على ان الاسرائيليين اخذوا هذه الحرب ماخذ الجد وكانوا فيها اشداء وتكبد الجنود المصريون الذين ارسلهم عبد الناصر للحدود من الالام اقساها واشدها بعد ان منوا بالهزيمة ٠ لكن هل يجوز ان تتهم القيادة الاسرائيلية وتحمل على كاهلها الكوارث التى لا مناص منها والناجعة عن حرب حاميــة دارت رحاها فى قلب الصحراء ؟

ان معظم الناس فى اسرائيل لم يكونوا مغتبطين لما اصاب الجنود المصريين التائــهين ، الا انهم استنادا لاعتقادهم الراسخ بانهــم فى حالة دفاع شرعى لم يعتبروا انفسهم مجرمين ٠

وفعلا لا ينبغى ان ننسى كيف جرت معركــة سيناء ، فالحــرب الخاطفة تستلزم السرعة والتنقل فى ان واحد والا فمالها الفشل ٠ وما كان لقوافل من الدبابات والمصفحات منطلقة بكامل السرعــة وفى حركات دائــريه ان تهتــم بحــال آلاف من الاســرى ما لم ينته

الهجوم على الاقل ، والماساة حصلت ابان الهجوم · وقد صدر الاذن لكتائب الصدام الاسرائيلية بان لا تقبض الا على اقل عدد ممكن من الاسرى · وليفسر كل احد هذا الاذن كما يشاء ··· ثم انه ما ان تم تشتيت فرق العدو حتى ابتعدت عنها الدبابات الاسرائيلية وتركتها وراءها ، والحروب التى تتسم بالحركة الدائمة سندها من الزاد محدود ·

نعم ، ان المناظر الفاجعة الفظيعة استمرت بعد انتهاء عملية الهجوم · لكن بسبب الدعاية التى راجت عن قساوة الاسرائيليين وانهم لا انسانيون كان الجنود المصريون الضالون يختفون فى الغالب عند مرور السيارات الاسرائيلية التى كانت تستطيع (فى احسن الحالات) ان تمدهم بما ينقذ حياتهم ·

وقد قص على بعض الجنود الاسرائيليين حكايات مزعجة عن رجال مشرفين على الموت احرقهم لفح الشمس ومع ذلك وجدوا فى انفسهم القوة للهجوم ليلا على عربات وقفت تستريح ليختلسوا الماء من خزانات محركاتها ، وكثير من الحراس لقوا حتفهم اثناء هجومات من هذا النوع · ومن جهة اخرى فان المصريين بطؤوا كثيرا فى فتح سدود قنوات الماء التى اغلقوها منذ بداية العمليات الحربية بالرغم من الحاح الاسرائيليين فى المطالبة بفتحها ، ولا يكاد الماء الذى تحويه العربات الصهريجية التابعة للجيش الاسرائيلى يكفى لسد حاجة الجنود المتقابلين ·

حقا انه لامر مريع · بيد انه بعيد عن ان يكون على النحو الذى اشيع واعتبر عند البعض ابادة مطردة عمد اليها اليهود للتخلص من خصومهم بتقتيلهم عطشا ·

١٥ و٠ ــ كثير من الحكايات المزعجة رواها جنود وقعوا فى الاسر ثم اطلق سراحهم فى متاهات الصحراء دون ان يزودوا بقطرة ماء · ولقد تاثر الراى العام العالمى لهذه الانباء وعمدت صحف كبرى ذات صيت عالمى الى توجيه نداءات لاسرائيل تدعوها للحلم · فهلا ترون ان لاسير الحرب حرمة ، وانه كان الاولى الا يسرح الجنود المصريون فذلك خير من تركهم وحظوظهم فى آتون سيناء ؟

ج٠ ل٠ ـ لقد قام الجيش الاسرائيلي بثلاث حروب خلال ستة ايام : في سيناء وفي الاردن وفي سوريا ٠ وربما لم يضطلع بالمهمات العادية التي يقوم بها جيش محارب ـ وهي التكفل بالاسرى ـ لوجوده بعيدا عن ارض المعركة عندما قام المشكل وتطلب ايجاد حل له ٠

ا٠ ر٠ ـ لكن كان بوسع الاسرائيليين ان يجمعوا الاسرى في منطقة غزة مثلا حيث يوجد 300 أو 400 الف من العرب الفلسطيين ، فهذا لا يكلفهم شيئا ٠

ج٠ ف٠ هـ٠ ـ اظن اني واياك متساويان في الاحاطة بحقيقة ما جرى الا بعض التفاصيل الجزئية التي أعلمها من طوافي بمنطقة المعارك ، ثم اننا لا نملك الا الادلاء بشهادات تلقيناها عن الغير ، وهذا امر له خطره في الوقت الذي بلغت فيه الاهواء نهاية العنف وراجت اخبار لا يمكن التحقيق من صحتها ٠ فمظهر هذه القضية الخطيرة التي تخص المصريين الذين القي بهم في الصحراء يختلف باختلاف رواتها عربا او اسرائيليين ٠٠٠ من ذلك ان الجنرال (بارليف) وكيل رئيس اركان الحرب الاسرائيلي اكد لي ان القيادة الاسرائيلية قامت بكل ما هو في امكانها بمجرد ما تبين النصر الحاسم وانا اظن الصليب الاحمر ايد هذا القول ٠ ومع ذلك يبعد كثيرا ان يكون سلوك جنود الصدام الاسرائيليين مطبوعا بطابع اللين والرفق ، فهم لم يحلوا هناك لهذا الغرض ٠

ايــن هــم الـــروسيــون ؟

ج· ل· ـ هل عزا المصريون جانبا عظيما من الهزيمة العسكرية الى وقوف روسيا السوفياتية موقف الحذر ازاءهم ، وهل يحس فى القاهرة نوع من الضغينة حيال الاتحاد السوفياتى ؟ ثـم هل يظن فى الشيوعيين المصريين انهم سيتألمون من موقف موسكو ؟

ا· ر· ـ فعلا انتشر احساس عميق بخيبة الامـل فى الروسيين اثـر خطاب استقالة الرئيس عبد الناصر · فهو وان تعرض لمـن سماهم « اصدقاءنا السوفياتيين » لم يبد عليه حماس كبير ولم ينوه بالعون السوفياتى تنويهه بما تلقته مصر من بلدان اخرى.ومما زاد فى اثـارة حفائظ المصريين ان امساكهم عن البدء باشهار الحرب انما كان عن استجابة منهم لنصائـح الروسيين ، كما انهم ظلوا يتساءلون لماذا لم تخف روسيا لنجـدة الجيش المصـرى عندما حفت بـه الصعوبات · فمثلما قدروا ان الاسطول السادس الاميريكى هو على اهبة التدخل لفائـدة اسرائيل عند الحاجة كانوا يعتقدون من الطبيعى ان يخف الجيش الروسى للنزول بمصر حتى يشد ازر جيشها ·

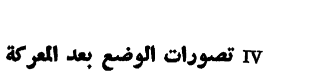
وبعد استقالة عبد الناصر لم يتمالك بعض المتظاهرين من توجيه نداءات معادية امام السفارة السوفياتية الا ان قوات الامن شتتهـم بسرعة · ولو اتيح لهذه الحركة المعادية ان تتواصل ويتسع نطاقها لكـان الشيوعيـون المصريـون اول المتحرجـين منهـا ولا ستغـل « الموالون لامريكا » الفرصة للقضاء على الشق اليسـارى للنظـام الناصرى ، وربما للاطاحة بعبد الناصر نفسه بعزله عن حلفائـه · ذلك على الاقل هو التحليل الذى قامت به اللجنة التنفيذية للاتحـاد الاشتراكى العربى (الحزب الوحيد فى مصر) بعد ثمان واربعين ساعة من خطاب الاستقالة الذى القاه الرئيس عبد الناصر · وهكذا

قررت اللجنة القيام بحملة توضيحية فى صفوف مناضلى الحزب قصد اقناعهم بان الروسيين لم يكن بوسعهم ان يفعلوا غير ما فعلوه ، مع الالحاح فى اشعار الناس بان الواجب يقضى على مصر ـ وليس لها حليف غير روسيا السوفياتية ـ ان لا تهدم الجسور التى تصلهـا بالمعسكر الاشتراكى ·

وبعد فترة قليلة من بدء الحملة اشاعت السلط ان السوفياتيين سيمدون مصر بكميات ذات بال من الاسلحة ومن طائـرات الميـغ لتعويض ما فقدته اثناء المعارك · وانتشرت الشائعـة فى ارجـاء البلاد بسرعة البارود مع التهويل فاحيت الامال فى الاخذ بالثار · وكلما تواردت على مطار القاهرة طائـرات النقل (انطونوف) حاملة شحنات ثقيلة من الاسلحة والعتاد عادت الثقة فى السوفياتيين لدى العموم وازدادت توطدا ونماء ·

وعند وصول بودغورنى رئيس المجلس الاعـلى للسوفيـات الى القاهرة خف مئات الالاف من المصريين للاستقباله مرحبين هاتفين ، وفجأة حل الود محل المرارة وظن رجل الشارع ان حلفا عسكريـا مصريا سوفياتيا على وشك الانبرام لطرد الاسرائيليين من سينـاء ·





IV تصورات الوضع بعد المعركة



ج. ل. ـ قصصت علينا بصورة مؤثـرة حديث استقالة عبد الناصر والطريقة التى الح بها عليه الشعب المصرى للرجوع فى قراره ، فهلا ترى ان نكبة الايام الاولى من جوان نالت من شخصيته ومكانته ومستقبله السياسى رغم ذلك الاندفاع الشعبى ؟

ا. و. ـ لا ريب ان شخصية ومكانة عبد الناصر تضررتا. فلاول مرة منذ الخلاف الذى شجر بينه وبين اللواء محمد نجيب سنة 1954 سمعت الراى العام المصرى ينتقده جهرة . وقد خرج من ازمة سنة 1956 فى صورة بطل قومى وبدا بمظهر زعيم العالم العربـى دون منازع حيث استطاع بمهارته الديبلوماسية ان يقلب الهزيمة العسكرية انتصارا يفاخر به . كما لم تنل من مكانته الشعبية الخيبات العديدة التى منى بها فى السنين العشر الاخيرة .

وقد اتيح لى ان المس ذلك اثناء جولة قمت بها عبر العالم العـربـى فى اوائل السنة الجارية . ففى امارات الخليج الفارسى التى مررت بها يومئذ تاكدت ان الخيبات المصرية المتواصلة فى اليمن لم تنل من سمعته لدى الجماهير بالرغم من اشتداد عزلته الديبلوماسيـة فى العالم العربى انذاك ، وكان المثقفون العرب من البحرين الى قطر الى الكويت يحسبون خيباته لـ « دسائس الامبريالية » . واصدق مثال لما اقوله سلوك المشير السلال ! فهو معتبر على العموم اداة طيعة لتنفيذ السياسة الناصرية فى اليمن وبمنزلة الدمية ، ومع

ذلك استساغ المثقفون العرب هذا السلوك ولم يروا فيه ادنى جرح لانه ـ كما قال لى احدهم ـ مما يشرف المرء ان يكون نصيرا مطواعا لرجل عظيم كعبد الناصر ٠

ج٠ ل٠ ـ أليس مما يؤيد بقاء نفوذ عبد الناصر بالغا انه اغتفر له حتى اعتداله النسبى بشان قضية فلسطين ؟

ا٠ و٠ ـ نعم ، لان معظم من تحدثت معهم فى الموضوع يرون ان الامر لا يعدو حذرا ومهارة وان عبد الناصر بصدد اعداد « مفاجاة » ٠ وكثيرهم الذين سايروا وجهة نظره القائلة بان توحيد العالم العربى تحت شعار الاشتراكية هو المقدمة الطبيعية لكل عمل فى فائدة فلسطين ٠

والاعجاب بعبد الناصر يعتمد فى جانب كبير منه على مقاومته للامبريالية وعلى الصيت البعيد الذى اكتسبه الجيش المصرى وعلى انجازات النظام الاشتراكى واستقراره ٠ بيد ان الجيش انهار فى بضع ساعات ، والدولة تداعت فى بضعة ايام ، حتى انه لم يقدم يوم 9جوان 1967 الا موازنة افلاس ٠ والاستقالة التى عرضها فى نبل وشهامة تعتبر استسلاما ٠

اجل ، حصل رد فعل من جانب الجماهير العربية لاستبقائه فى الحكم لكن ينبغى تأويله على حقيقته ٠ فرغم الاندفاع العاطفى الذى وصفته لم يكن الامر يعنى تقديم شواهد اخلاص غير مشروط وحسب بل هو اختيار بين رجلين وسياستين : بين زكريــاء محيى الدين والتفاهم مع الغرب ، وبين عبد الناصر رمز مقاومة الامبريالية منذ خمسة عشر عاما ٠

لكن الشعب المصرى وهو يفضل عبد الناصر وما يمثله من المعانى لايبرئه من مسؤولية الهزيمة لانه رغم كل شيء هو « المشرف » على جميع الامور ٠ وقد انتقدت اغلبيــة الاوساط طريقــة تاليفــه حكومة الاتحاد الوطنى غداة الرجوع فى استقالته ، فهم يقولون فى شوارع القاهرة : « لقد عاد الى الاعتماد على نفس الاشخاص ، فهل

لم يستفد شيئا من الاحداث ؟ » واكثر من ذلك اللوم المنصب على سلبية مواقفه وصمته ، فقد لاحظ انه لم ياخذ موقفا منذ 9 جوان وطيلة عدة اسابيع ازاء اى مشكل هام بما فى ذلك الحاق بيت المقدس من طرف اسرائيل • واضحى الجميع يتساءلون فى استغراب : لم لم يوزع على الشعب السلاح ؟ لم لم يشكل فرق المقاومة الشعبية التى تقرر قبل الهزيمة تكوينها ؟ ولماذا لا يوجه نداء لخوض غمار المقاومة المسلحة ؟ وكيف لا يقوم الجيش المصرى باى عمل فى سيناء وهو ـ وان اصيب بنكسة ـ ما زال قائم الذات فى نظر الراى العام ؟ واخيرا لم لا يطهر الادارة بضربة مكنسة قوية ويلحق بها هذا الحزب الذى ضم الجامدين والبيروقراطيين ولم يحرك ساكنا اثناء الازمة ؟

ان البعض يئسوا منه ، والبعض يرون انه غير حر فى تصرفه ، واخرون يريدون ان يعتقدوا انه يسعى لربح الوقت قبل ان يتحرك فى هدوء وبرودة • اما الشيء الواضح فهو ان النظام الذى قام يوم 23 جويلية 1952 اصيب فى الصميم •

فهل حكم عليه بالزوال ؟

نعم ، ـ يجيب كثير من مخاطبى ـ الا ان تجرى عملية جراحية جريئة •

ومهما يكن من امر ، فقد شعرنا يوم 9 جوان كانما نحن شهود لحظة احتضار •

صــراع طبقــي
داخــل الجيــش المصــرى

ج٠ ل٠ ــ يرى بعضهم ان ما يمكن ان يسمى باستنقاذ عبد الناصر كان على الاخص صنيع فريق من الجيش ، وان الرئيس لم يعد الا اداة فى يد عصبة منه تنازعها كتلة اخرى ٠ فما رايك فى هذا ؟

٠ و٠ ــ من الواضح ان شقا من الجيش قام جهرة بضغط يرمى لاقصاء عبد الناصر ٠ وشاهدنا البرهان على هذا مساء يوم 9 جوان بالذات عندمــا قابلت المدفعية المضادة للطائرات غــارة جوية اشيع خبرها اثناء الخطاب بقذف اشــد من كل ما عرفنــاه ايــام الحــرب ٠ والغالب على الظن ان خبر الغارة اختلق من اساسه قصد انزال الرعب فى قلوب الجماهير وصدهــم عن التظاهــر لفائــدة عبد النــاصر ٠ ولاحظت فى الشارع ان اعوان الشرطة كانوا يسعون الى تفــريق المتظاهرين لكن حسن تبصر الشعب المصرى تغلب اخر الامر ــ ولا اقول الشجاعة التى كان عليه ان يتحلى بها لئلا يروج عليه الزيف ــ وتمكنت الجماهير من مواصلة مسيرتها حتى ادركت منزل الرئيس ٠

ولدينا ادلة اخرى على تدخل قسم من الجيش ضد عبد النــاصر : ففى الاذاعة كما فى التليفيزيون اذاع معظم الصحافيين عشية يــوم 9جوان تعاليق مؤيدة للرئيس المصرى واعادوا نقل مقتطفات مــن اشهر خطبه ، فما كان من بعض الضباط الا ان حاولوا الضغط عليهم لحملهم على تغيير اتجاههم والاقتصار فيما يذيعونه على التنوية برئيس الدولة المعين ، لكن مساعيهم ذهبت سدى ٠

وبعكس ذلك وردت عدة رسائــل مؤيدة لعبد الناصر من شتى

القادة العسكريين ومختلف الوحدات لم تدع منها الا واحدة هي رسالة امير البحر عزت قائد القوات البحرية ، ثم لا شيء بعد ذلك ٠ ومن هنا فهم الناس ان بقية القوات المسلحة تنكرت له ، والواقع ان العدول عن اذاعة تلك الرسائل كان باذن منه ٠ ذلك انه رفض ان يكون الفضل في رجوعه للحكم عائدا الى كتلة عسكرية معينة في الوقت الذي ظل يتأرجح فيه مستقبله وشاء ان يوقر في اذهان الضباط ان الشعب هو الذي اراد بقاءه وفرضه لا الجيش ٠ وبالتالي فهو لا يريد ان يسمع يوما احد الضباط يقول له : من اجلسك على اريكة الحكم ؟

لكن بالرغم من كل هذا هل تخلص من اسر العسكريين ؟ لا يمكن التنبوء ما دام الجيش هو السند الاصلي للنظام والعدو مرابط على مقربة من العاصمة اذ لابد لعبد الناصر ان يقرا حسابا لهذه الملابسات ، ومن يعزب عنه ان دور الجيش ما زال يحتل المقام الاول ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ــ لا شك ان هذه التقلبات ــ المعلوم منها والمفهوم على اختلاف الدرجة ــ ليس من شانها حين ينظر اليها من الجانب الاسرائيلي ان تساعد على الشعور بانه يوجد في الجانب المقابل مفاوض جدي ٠ فالحركات التي تسودها البلبلة لا يؤمل منها ان تتمخض بالسلوك المعقول والقرارات المنطقية ٠

ج٠ ل٠ ــ ينبغي التسليم بانه حتى في العهد الذي كانت تسلك فيه مصر سياسة اقرب الى الجادة لم يكن في اسرائيل عدد كبير يرى في عبد الناصر مفاوضا يمكن الاعتماد عليه ٠ ولا يصح القدح في هذا النظام باعتبار اهليته للتفاوض لانه مضطرب ، فاضطرابه ناشيء عن تحطيمه ٠

هل هى ساعة الجندى باسرائيل ؟

ج. ل. ـ وصف لنا (رولو) ما يمكن ان يعبر عنه بافول نجم الجندى فى مصر ، فهل يمكن القول فيما جرى باسرائيل مما يقابله انه : حلول ساعة الجندى ؟ .

ج. ف. هـ. ـ سبق لى ان اشرت الى التحول الـذى حصل فى اسرائيل عقب النصر وتجسم فى نوع من التصلب ، وسياتى الحديث فيما بعد عن فجائية « اعادة التهويد » التى هى العنصر الرئيسى له . لكن برغم التصلب من الناحيتين البشرية والسياسية لم ابصر شيئا يشير الى ما يجوز ان نسميه « ساعة الجندى » . فلا مظهر يدل على الاعتزاز بالروح الحربية ولا نفسية من صنف نفسية يـوم « II نوفمبر » اللتين برزتا فى فرنسا . وحتى غداة الانتصار لم يرفع الاسرائيليون الاعلام ولم يتظاهروا بالفرح ولم يتوخوا سلوك الغالبين الثملين من الفرح .

ا. و. ـ لعل مرجع ذلك اعتيادهم الانتصار منذ عشرين عامـا ؟

ج. ف. هـ. ـ لكى يلمس التحول العميق الذى طرا على الافكار بعد الانتصار كان لابد من الحديث الى الناس لاستجلاء ما يفكرون فيه لان الظواهر لا تنم عن شىء حتى لكان الحياة العادية لم يدخل عليها اى تغيير يذكر . فالناس مقبلون على شؤونهم فى هـدوء وراحـة ويعيشون كعيشهم قبل المعارك لـدرجة ان من اعتـاد منهم الذهـاب الى الشاطىء لم يتخل عن هوايته . اما الانطباع الحاصل عنهم فى الاذهان فبرودة الدم الخارقة التى امتازوا بها وموقفهم من الاحـداث التى عاشوها موقفا متعقلا لا طفرة فيه .

ولا يمكن القول بان ساعة الجندى باسرائيل قد دقت الا اذا اعتبر كل اسرائيلى جنديا ضرورة انه لا وجود هناك لجيش محترف بالمعنى الكامل ، وهو ما دام مندمجا فى الشعب فلا فائدة فى تكريمه بالمظاهر الخارجية واعتباره شيئا منفصلا عن الذاتية القومية • وهذه الحالة تنم عن فوز استشعرته النفوس فى قراراتها ويعده البعض شديد الخطورة •

• و• ـ هلا ترى ايضا ان الاسرائيليين يعتبرون انفسهم ربحوا الجولة العسكرية لا السلم وان الوقت لم يحن بعد لاعلان الفرح ؟

ج• ف• ه• ـ لا شك فى ذلك • فالجزع الذى كان يحوم حولهم زال والشعور بالخطر المحدق بهم انمحى ، لكن التفكير السائد لديهم هو ان مساعيهم لم تصل لغايتها المرجوة خاصة وان مظاهر العطف الدولى التى انصبت على اسرائيل اثناء القتال توشك ان تنقلب عليها : ذلك ان هذه القلعة الصغيرة المقبلة على العمل الجاد والمطوقة باعداء يفوقونها عشرين مرة من حيث العدد اصبحت المتغلب القاسى الذى يطارد تعساء تائهين فى شعاب الصحراء • وهكذا انعكست الصورة •

ومن جهة اخرى يلاحظ مخاطبى ان جيشهم قاتل بشدة دون ريب ولكن الى حد ، فهو لم يذهب حتى دمشق او القاهرة ولم يحطم نهائيا عتاد العدو كما كان فى مقدوره ان يفعل ، لذلك يعتبرون انفسهم معتدلين فى انتصارهم • كما يلاحظون ان العدو اغتنم الفرصة ـ فى الوقت الذى كفوا فيه عن توجيه ضرباتهم نحوه ـ لاستعادة تسلحه سريعا بعون من المعسكر الاشتراكى • انهم يلمحون بمرارة مخايل حرب ثارية جديدة ترتسم فى الافق • فهل لم يعمل وقف اطلاق النار هذه المرة ايضا الا لتهيئة الاسباب الدافعة لوضع وجودهم من جديد موضع اخذ ورد ؟

ج• ل• ـ يمكن التذكير بان الاسرائيليين تمكنوا اثناء الحرب الفلسطينية الاولى التى جرت سنة 1948 ـ بفضل الهدنة المبرمة فى صائفة ذلك العام ـ من تعزيز قوتهم بما استوردوه من العتاد الحربى

التشيكوسلوفاكي الذى مكنهم من الفوز فى الشوط الثانى للمعركة ، فكانما هى واحدة بواحدة • ومهما كان الامر مؤسفا فذلك هو الطابع الذى اتسمت به العلائق الاسرائيلية العربية •

ج• ف• ه• ـ ايا كان الامر فالاسرائيليون لا يخفون استغرابهم وحنقهم من ان انتصارا ساحقا ـ وعادلا فى نظرهم ـ مثل الذى احرزوا عليه لم يحمل العرب على الرضوخ للمفاهمة ولم يفض فى النهاية الى اقرار سلم دائمة •

ا• و• ـ هل لم يستخلص بعض الاسرائيليين من ذلك انه لا حل يعتمد القوة ؟

ج• ف• ه• ـ قليل هم الذين يميلون لهذا الضرب من التفكير مع الاسف • وحتى المنعزلون « القراصنة » الذين تحدثنا عنهم وطالما انحوا باللائمة على حكومتهم من اجل اعتمادها كثيرا طيلة خمسة عشر عاما على حلول القوة امسكوا خلال الازمة عن لومها • ولم اسمع من احد قط ان منح تنازلات للعرب فى الاونة الراهنة ـ الا فى صورة فتح مفاوضات شاملة ـ من شانه ان يصدهم عن اعادة التسلح والتفكير فى الثار •

ج• ل• ـ هلا ترى بالرغم من هذا الحزم ان الديمقراطية الاسرئيلية مهددة من طرف كتلة عسكرية وان ظلال شبح الجنرال (موشى ديان) تمتد على المجال السياسى فى شىء من الثقل ؟

ج• ف• ه• ـ يتوقف هذا الاحتمال الى حد كبير على الخطر السياسى والعسكرى الذى قد تشعر اسرائيل بالتعرض له وعلى ما قد يبدو من محذورات تنم عن استعداد العرب للاخذ بالثار ، والانتصارات البتراء بالنسبة لمعنويات الشعوب اشد ضررا من الهزائم • اما (موشى ديان) فيعتبر فى الحياة العمومية باسرائيل شخصية قابلة للرد ، وهو مع مهاتراته الشفوية لم يتسبب فى اثارة اضطرابات بالمعنى الحقيقى اذ بالرغم من قيام خلافات سطحية بينه وبين اشكول ينبغى الاعتراف بانه لا يوجد حاليا تصدع خطير فى

صلب الحكومة ٠ وباستثناء بعض « القراصنة » الذين هم بعداء عن مراكز النفوذ فكل الهيات السياسية المسيرة فى اسرائيل ــ بما فيها الهيات اليسارية ــ تلازم مواقف صلبة ان لم نقل « بالغة التطرف » ، ومواقف رجل كـ (بيريز) او (ديان)لا تختلف عن تفكير رجال الوسط ٠ لذلك لا يبدو من المتوقع فى الاونة الراهنة حدوث انقلابات مفاجئة لان الجميع متفقون على عدم جدواها ، وربما يجرى الامر على خلاف ذلك لو يقرر اشكول فجاة ارجاع الاراضى المحتلة ٠

ج٠ ل٠ ــ لكن لو فرضنا ان تهديدات الثار العربية التى تحدثتم عنها الساعة تتاكد ٠ فهل تنجر عنها زيادة بروز الدور الذى يقوم به (موشى ديان) مع ما قد يترتب على ذلك من تغيير لاتجاه النظام الحالى ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ــ لا استطيع المجازفة بنفى هذا الاحتمال وان كنت لااعتقده لان مثل هذه المفاجات لا يتماشى مع السجايا التى يتميز بها ذلك الشعب ٠ واسرائيل يغمرها الان اعتزاز هز الشعور القومى بـ « الحق اليهودى العادل » الى اعلى مكانة ، وهو الذى يحفزها الى استكمال حظها فى الوجود ، ولا اثر فيها لاندفاع حربى يفتح الطريق امام رجل عسكرى ٠ وعلاوة على ذلك فمبدا « الحق العادل » الذى يتمسك به الاسرائيليون ــ والذى يتعين الرجوع اليه لفهم موقفهم ــ يجعل من المقطوع به تنكر الشعب للسلطة الحاكمة ان هى اصطبغت بالصبغة العسكرية اذ يلقى فى روعه انه لم يبق « اجماع » على ذلك الحق ، ومن اليسير الاقتناع بهذا عند التحدث الى من طبعت افكارهم وتقاليدهم السياسية بطابع الاشتراكية الديمقراطية ٠ وللاسرائيليين تعلق شديد بنظامهم البرلمانى حتى ان (ديان) لا يسمع له قول الا فى نطاق المؤسسات بالرغم من مبادراته الصائبة التى ميزته احيانا ٠

وفى تعلق اسرائيل بمبادئها الديمقراطية ذات « الطابع الانكيلزى » عقبة اخرى تحول دون التفاهم مع العرب : ذلك ان ما يميزها عن بقية اقطار العالم الثالث هو نضجها الحضارى الذى يجعل اندماجها مع تلك الاقطار صعبا وليس له من حظوظ النجاح الا اليسير ٠

هل هناك بديل من الناصرية ؟

ج· ل· — بعد ان استعرضنا معا ما اصاب النظـام الناصرى من الضعف ، هل ترى ان هناك بديلا منه اليـوم فى مصر وهل يخشى على البلاد من الفوضى ؟

١· و· — اخشى ذلك فى حالة اقصاء عبد الناصر عن الحكم بغتة · اما بخصوص البديل من الناصرية فهو سؤال لا يمكن الجـواب عنه الا بتنبوء ليس بوسعى الاقدام عليه · ومن المعلوم ان هذا النظام قضى على كافة الاحزاب السياسية ، بدون ان نتحدث عن الاحـزاب القديمة المتحررة او الاقطاعية ، فحزب الوفد الذى كان يمثل حركة شعبية ذات شان منذ انبعاثه عقب ثورة عام 1919 ادركـه الـوهن وتضعضع مركزه من قبل ان يمسك الضباط بزمام الحكم سنة 1952 ، ثـم انحل وفقد معظم قادته اما بالموت او باقبالهم على حياتهم الخاصة حتى ان فؤادا سراج الدين رجل الحزب القوى يصرف الان مهاراته فى زخرفة منازل طبقة الاعيان الجديدة · وكثير من الاطارات الشابة للحزب انضمت للنظام الناصرى بدافع الوطنية ·

وكان للشيوعيين المصريين برغم انقسامـاتهم تاثيـر عميق فى الحياة السياسية لكن لم يبق لهم وجود قانونى منذ سنة 1964 ، وبعضهم انخرطوا عند مغادرتهـم المحتشـدات اما فى الادارة او فى الصحافة حيث يقومون بدور له اهميته · اما جمعية الاخوان المسلمين التى اسسها حسن البنا منذ اربعين سنـة فربمـا بقيت التشكيلـة الوحيدة التى لها نظام جدير بهذا الاسـم لكنها تعمل فى الخفـاء ، واسسها الشعبية الضيقة قابلة لان تتسع فجاة فى صورة حصول شغور فى الحكم · وقد نال الاخوان المسلمين عنت كبير فى عهـد

فاروق واثر محاولة اغتيال عبد الناصر سنة 1954 حيث اعدم ستة منهم شنقا ، واخيرا عند اكتشاف مؤامرة عام 1965 ٠ لكنهم كانوا يسارعون بعد كل محنة الى اعادة تنظيم صفوفهم فى كنف السرية ، ولهم حتى الان قادة مقتدرون مثل سعيد رمضــان الــذى يعيش فى الغربة من اعوام مديدة ٠ وتوجه عليهم فى القاهرة تهمة تلقائية تصمهم بانهم ماجورين من مصلحة الاستعلامات الاميــريكية ٠ ويظهــر انهم غير قادرين على تعويض النظام الناصرى لكن لا يمكن مع ذلك استبعاد هذا الاحتمال تماما ٠

بقى الجيش ٠ وقد يبدو من الغريب اعتبــاره ضمــن التيــارات السياسية الا ان الدور الذى قام به كسند للنظام او موعز به يسمح بذلك شرط التمييز بين مختلف تياراته ٠ فاحدها محافظ ، ويبدوا انه هو الذى كان هدفا لعملية التطهير الواسعة التى تمت عقب يــوم 9جوان بعد الهزيمة وشملت 800 من الضباط ٠ والتيار الاخر تقدمى ، ويظر انه الحائز الآن على الحظوة لكن يتعذر تقدير مدى تاثيره ٠ وأعسر من ذلك معرفة الاتجاه الموالى لاميريكا الذى ما زال قائما بالــرغم من « المصادرات » ٠ ومهما يكن الامر يمكن القول بانه يوجــد فى الجيش من الاتجاهات بقدر ما فى الراى العام المصرى ، على ان ذلك لا ينقص من قيمة الدور الذى باستطاعة العسكريين ان يقوموا به ٠

ان مصر الان تعيش ساعة الاختيار : فاما ان ترتبط اكثر بالمعسكر الاشتراكى لتجابه عدوها الاسرائيلى وهى اكمل استعداد لذلك ، واما ان تحسن علائقها مع اسرائيل وخاصة مع اهم حلفائــها الولايــات المتحدة ٠ وقو قال لى احد اصدقائى المصــريين فى اوائــل جــويلية الفارط والتشاؤم مستبد بــه « ستقضى علينا حرب جوان ان نكون فى الشرق الاوسط الفيليبيين او كوبا » ٠

ج٠ ل٠ ـ هل بوسع مصــر ان ترتبط اكثر بالمعسكر الاشتراكى فيما عدا اتخاذها الماركسية اللينينية مبدأ لنظام الدولة ؟

ا٠ و٠ ـ ان الناظر لمصر من الخارج يحكم بانها ملتحمة التحاما وثيقا بالكتلة الاشتراكية ٠ وقد قال عبد الناصر للماريشال زاخاروف

عند استقباله اياه بعد المعركة : « افوضكم لاجراء تفتيش على الجيش واطلب اليكم امدادى بتقرير عنه ولكم ان توجهوا ضباطكم الى كافة الوحدات وان هم وجدوا مقاومة فاشعرونى بذلك ... »

ج. ل. ـ اظنك توافقنى ان من يعرفون ـ وان قليلا مثلنا ـ مكانة الشعور القومى فى نفوس العرب يعتبرون تخويل تفويض مطلق لعسكرى اجنبى امرا خارقا خصوصا من رجل كرس حياته لتخليص بلاده وقواتها المسلحة من السيطرة الاجنبية .

ا. ر. ـ مما يؤيد هذا ان عبد الناصر سعى جهده منذ عدة شهور للحيلولة دون سيطرة المستشارين العسكريين السوفياتيين ، وكل احد يعلم انه قومى شديد الحذر . لكن ينبغى ان لا ننسى انه كان فى حالة يائسة ، وفى مثل ذلك الظرف لا يسال المرء عن جنسية او لون اليد التى تمتد لانجاده .

ان على عبد الناصر ان يواجه اليوم خطرين : احدهما على الصعيد الداخلى وهو المتاتى من قسم هام من الضباط الذين شملتهم التصفية وما انفكوا يتامرون ضده فيما يظهر ، والثانى على الصعيد الخارجى وهو خطر الاسرائيليين الرابضين على ضفة قناة السويس وبمقدورهم ـ ان هم قاموا بغارة خاطفة على القاهرة ـ ان يقضوا على نظامه .

وفى الواقع فان بامكان مصر ان ترتبط اكثر بالاتحاد السوفياتى الذى ليس له تأثير فى الوضع الراهن إلا على الجيش ، وهكذا طلب عبد الناصر من السوفياتيين ان يعيدوا تنظيم مصالحه الاستعلامية التى يرى الكثيرون فى القاهرة انها اصبحت مدخولة وخاضعة لتأثيرات الاعوان الاميريكيين والاسرائيليين . ومن جهة اخرى وضع السوفياتيون على بساط المناقشة ماهية النظام الناصرى نفسه واسسه واتجاهه العقائدى موجهين نقدا صارما لـ « اشتراكيته » حتى انهم قدموا اقتراحات تهدف لتغيير الوضع .

وينبغى هنا ملاحظة التطور الذى حصل فى اذهان الشعب المصرى ، فبعد ان شمل بعطفه المحور اثناء الحرب الكونية الاخيرة تعبيرا عن

عدائه للمحتل البريطانى اصبح اليوم يقوده نفوره من الامبريالية الى التقرب من الاتحاد السوفياتى ، ويدرك هذا التطور كل من اطلع على الجو الذى احاط بزيارة السيد بودغورنى رئيس الدولة السوفياتية الى القاهرة فى اواخر جوان 1967 وما تخلله من شائعات فى منتهى الغرابة • فالناس يعلقون ــ وكانهم محمومون ــ على وصول « اسلحة سرية » فى صناديق هائلة الحجم انزلت بمطار القاهرة او بميناء الاسكندرية ستسمح برد الاسرائيليين الى ما وراء الحدود فى اقل من ثمان واربعين ساعة • واكثر من ذلك ، كانوا يتهامسون فى زهو وغرور بان بودغورنى سيطلب الى عبد الناصر الانضمام لميثاق فرسوفيا ••• ومن يعرف نفور المصريين من الاحلاف العسكرية الخارجة عن نطاق العالم العربى يدرك حقا ما فى هذا الاتجاه من مثار للعجب •

ولكى نفهم سر هذا التطور ينبغى الا يبرح عن اذهاننا ان جانبا من البلاد محتل من طرف الاجنبى • وكثيرا ما تسمع عبارات من مثل : « لان نتحالف مع الشيطان افضل من احتمال هذا القهر » ، وصرح لى موظف سام اعرف افكاره المعادية للشيوعية : « اذا لم تكن وسيلة لطرد الاسرائيليين من بلادنا غير النظام الشيوعى فانا اقبل ان تتبناه مصر واكون اول منخرط فى الحزب » •

ج• ل• ــ لقد قيل وكتب كثيرا ان الانتصار الاسرائيلى يعد فوزا عظيما للولايات المتحدة ، خصوصا والاتحاد السوفياتى ــ بما خيب امال المصريين ــ قد خسر المعركة فى المجالين السياسى والنفسانى • فمن وجهة نظر القاهرة : هل خسر الاتحاد السوفياتى المظهر ، وهل سجلت الولايات المتحدة هدفا ؟

ا• ر• ــ اذا نظر لهذا الافتراض من واشنطن او باريس فهو صحيح • اما لدى البلدان العربية فالامر يختلف لان كل نصر ديبلوماسى تحرزه اميريكا فى الخارج هو انهزام يلحقها فى العالم العربى : فبقدر ما تغنم لدى اسرائيل تخسر لدى العرب • لكنها ان خسرت فى المجال النفسانى فانى لا اعتقد ان النتيجة فى مجال السياسة الواقعية خاسرة ايضا وهى لم تسفر عن سلبية الى الحد

الذى يظنه البعض ، فشحن البترول استؤنف سريعا والمصالح الاقتصادية لم تتاثر ٠

اما السوفياتيون فكان يظن حينا من الزمن عندما علم خبر الهزيمة العسكرية التى لم يستطيعوا الحيلولة دونها انهم على وشك ان يضيعوا كل شيء ، الا انهم تمكنوا من تلافى الوضع بشحن الاسلحة وارسال بودغورنى رئيس الدولة الى القاهرة ٠ والواقع ان الوضع لم يتبلور حتى الان بالنسبة لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتى اذ ينبغى ان لا يبرح عن الاذهان ان المصريين لا يعتبرون ما لحق بهم هزيمة نهائيـة ويعتقدون انهم لم يخسروا الا « الجولة الاولى » وان المعركة لا تلبث ان تستانف بشكل او باخر ٠ وهنا يـوضع العـون الذى فى امكان روسيا تقديمه موضع الاختبار ٠

ج٠ ل٠ ـ وماذا يفكرون فى القاهرة بشان موقف فرنسا ؟

ا٠ و٠ ـ مما لا ريب فيه ان الجنرال دى غول احرز على شعبيـة كبرى ، وموقفه الحيادى وطد نفوذ فرنسا على نطاق فسيح فى كامل العالم العربى لا ثقافيا فقط بل فى عدة نواحى اقتصاديـة كميدان النفط ٠ وهذا لا يمنع صدور بعض التحفظات ، فالاوساط العليمة تلاحظ مثلا ان فرنسا لم تقطع تماما تزويد اسرائيل بالسلاح ، لكن الوسط الشعبى يجهل ذلك ٠ ودور روسيا السوفياتية يبدو بالطبع اكثر اهمية من الدور الذى تقوم به فرنسا وقد اكـد الروسيون فى القاهرة انهم عازمون على الدفاع عن كامل المعسكر الاشتراكـى فى مواجهته الامبريالية الاميريكية ٠

ج٠ ف٠ ه٠ ـ ان لهذا الامر اهمية اساسية ! فدور الدول العظمى فى النزاع الحالى كان له شان عظيم ، وفى اسرائيل على الاقل بدؤوا يفهمون الى اى حد هو سلبى ٠ فمن الواضح ان دوافع السوفياتيين كانت ولا تزال تتجه الى ما وراء مجرد التعبير عن عطف ودى تكنـه للدول العربية ٠ وهذه الحقيقة (على الاقـل) صادقـة بالنسبـة للولايات المتحدة ازاء اسرائيل ٠ وليست الدول الصغيرة التى تعمر الشرق الاوسط الا بيادق ضمن سياسة تشمل الكـرة الارضيـة

باسرها ، ومع ذلك ليس لمصالحها الخاصة ثقل فى ميزان المصالح الدولية الكبرى • لذلك يقابل الاسرائيليون هذه الحقيقة برد فعل يختلف فى « الجراة » حيث يقول بعض دعاة الانعزال (وهم كيرون) : « ليتركونا وحدنا نصفى مشاكلنا مع العرب فنحن قادرون على فضها باحسن طريقة ونعرف حقيقة بعضنا • ان الدول الكبرى هى التى تعكر الجو » • لكن اذا كان اطلاق يد الاسرائيليين يعنى تركهم من طرف الدول العظمى يستغلون انتصارهم على نحو ما يبتغون فلا يتنازلون للمغلوبين الا عن التوافه فذلك يدعو الى الريبة ولو كان انصار الحوار عن حسن نية فيما انتهوا اليه بسذاجتهم • وهناك اسرائيليون اخرون اكثر شعورا بصعوبة الموقف يدركون الحقيقة ويرون ان اجتماعهم راسا مع العرب ما زال يعتبر ضربا من الخيال • بيد ان الذى يؤاخذون الدول العظمى عليه هو اذكاؤها النار عوض السعي الى اخمادها اذ طفقت كل واحدة تعمل على دفع من تشمله بعطفها حتى اذا اشرف على شفا الهوة تظاهرت بامساكه •

وهذا القسم من الراى العام انما يلوم الكبار على الاخص لفضهم خلافاتهم بواسطة الدول الصغيرة وعن طريق الصراع فيما بينها عوض احياء « روح طاشقند » (1) وبذل كل ما ينبغى للظفر بحل وسط • وبالطبع يبالغ الاسرائيليون المنتمون الى اقصى اليسار فى النقمة على السوفياتين بالاخص من اجل سلوكهم المنطوى ـ فى نظرهم ـ على خيانة المبادىء الاشتراكية، اما بالنسبة للاميريكيين فيعتبر هذا المنهج اقرب الى « الطرق العادية » •

ج• ل• ـ اذا كان الاسرائيليون لا يسعون الا لصيانة دولتهم والاعتراف بها فمن الافيد لهم وضع القضية فى مستوى الدول الكبرى عوض جعلها خاضعة للظروف والملابسات المحلية سيما وجميع هذه الدول ـ بما فيها روسيا السوفياتية ـ اعترفت بوجود اسرائيل وتعتبر صيانة الدولة العبرية واستمرار بقائها امرا لا رجوع فيه •

---

(1) روح المصالحة التى تجلت فى سعى روسيا السوفياتية باشرافها على مفاوضات طاشقند بين الهند وباكستان •

« مغـــانم » اســـرائيل

ج٠ ل٠ ـ نظرا للاحترازات التى ابدتها دول عربية فيمـا يخص قبول الامر المقضى ، هل تلقيتم بيانات تفيد ان الحكومة الاسرائيلية مستعدة لارجاع بعض غنائمها الحربية سواء ما يتعلـق منها بمـدينة القدس العتيقة او سيناء او غزة او الضفة الغربية للاردن او منطقـة القنيطرة ؟

ج٠ ف٠ ه٠ ـ حتى منتصف جوان وهو نهاية مدة اقامتى باسرائيل كانت الاوساط الحكومية تلازم الكتمان التام فى الموضوع ، والمعروف ان الامور تغيرت فيما بعد ٠ اما فيما يخص الـراى العام الاسرائيلى فينبغى التمييز بين عدة اتجاهات تذهب من مطلق التساهل الى منتهى التشديد ٠ وبصفة عامة كان الناس مجمعين على نقطة واحدة : هى انه لا سبيل لارجاع شيء بدون مقابل ، اى دون الدخول فى مفـاوضات تفضى الى الاعتراف باسرائيل عمليا ٠ وهم يقولون : « ان تبين اننا سنعامل معاملة العصابات الخارجة عن القانون والمستهدفة لان يقضى عليها يوما فلماذا نفلت من ايدينا ثمار نصر دفاعى كلفنا نحن ايضا ثمنا غاليا ؟ »

وقبل رجوعى الى باريس ببضعة ايام شهدت مظاهرة فى تل ابيب وزع خلالها بعض الشبان الذين كانوا ينتمون الى حزب من اقصـى اليمين له نائبان فى البرلمان شعارات تتضمن : « لن نرجع قيد انملة من الارض المحتلة » ، وهو موقف يرضى عنه حتى المعتدلون ولا يرون فيه ادنى غلو ٠ وما داموا يعتقدون ان حربهم عادلة فكـل ما عقبها وترتب عليها من التوسعات الترابية عادل فى نظرهم ايضا ٠

ولكى نفهـم الوضـع على حقيقته ينبغى اجراء تمييز دقيق تبعـا للمناطق المعنية ٠ فاذا تطلعنا لما يفكـر فيه المسؤولـون امكننـا ان

نستخلص منه عزمهم على استمرار احتلال سيناء ومنطقة القنيطرة (سوريا) ما دامت الازمة صيانة قائمة لأمن اسرائيل اولا ، ثم لاتخاذها اداة مساومة فى صورة فتح مفاوضات • واهم ما يعلق عليهما من الفوائد ان وجودهما بيد اسرائيل يخفف وطاة الخناق المطوق لها ، وهو امر ضرورى بالنسبة اليها • ويستدلون على ذلك بان تجميع الجنود المصريين قبل نشوب الحرب الاخيرة انما وقع بسيناء ، وان انطلاق الفدائيين التابعين لمنظمة « الفتح » غالبا ما يكون من القنيطرة •

اما فيما يتعلق بالضفة الغربية للاردن « اى بفلسطين » فالامر يختلف لان المنطقة تهم اصل القضية التى تنتظر حلا عاما للنزاع القائم بين اسرائيل والعرب • ثم انها من الوجهة النفسانية الجماعية للاسرائيليين لا تعتبر فى نظرهم ارضا اجنبية عنهم ضرورة انها جزء لا يكاد يتماز من ارض الميعاد ، من فلسطين المذكورة فى التوراة • وحتى ولو لم يطالب بها الاسرائيليون فانهم يستشعرون صلتهم الوثيقة بها • واذا نوزعوا حقهم فيها بدعوى انها تابعة لفلسطين العربية ردوا تلقائيا بان الملك حسينا ليس له حق عليها اكثر وجاهة، وامارة شرق الاردن هى التى ضمت اليها سنة 1950 المنطقة التى كان يجب ان تتالف منها فلسطين العربية حسب برنامج التقسيم الصادر عن منظمة الامم المتحدة سنة 1947 • وانطلاقا من هذا المستنديميل كثير من الاسرائيليين الى اعادة المحاولة التى اخفقت فيها الامم المتحدة ، لكن لفائدتهم هذه المرة • وصرح لى قبل المعارك بايام احد الاعضاء البارزين بحزب (مابام) وهو (الدكتورداران) بقوله : « ان ربحنا الحرب هذه المرة فلن نترك ثماز النصر تفلت من ايدينا ، وسنتولى بانفسنا احكام ارتباطنا بالضفة الغربية للاردن مما يسمح اخيرا بفض مشكل اللاجئين » •

ان مشروع كهذا له مظاهر ايجابية • وحتى البسطة التى ادلى بها فى هذا الصدد رجل مثل (موشى ديان) امام جمع من الطلبة قبل اندلاع الازمة جديرة ببالغ الاهتمام ، لكن ما ان تم النصر حتى تغيرت الافكار واخذ المشروع تدريجيا صورة مشوهة بعيدة عن اصله كل

البعد : فغدت « الرابطة » ملجأ لايواء العرب دون ان يكون لهم تمثيل ديبلوماسى او قوة مسلحة ، واصبح المجتمع لا يتنـاول اللاجئين وحدهم بل كل العرب العائشين حاليا باسرائيل · وهكذا صارت « الرابطة » اشبه شىء بلسان لقمان الذى يمكن ان يخفى فى طيه اطيب الافكار واشدها تعصبا وعنصرية ·

بقيت مدينة القدس العتيقة · وهنا يخرج القوم عن دائـرة المنطق السياسى ليدخلوا ميدانا وثيق الصلة بالعواطف · فمن المعلوم ان القرار المتعلق بضم القسم العتيق من مدينة القدس قوبل فى الخارج باستنكار كاد يكون عاما بينما هو فى الواقع مظهر اساسى لما اسميه « اعادة تهويد » اسرائيل ، ولكى تفهم هذه الظاهرة حق الفهم ينبغى مشاهدة تهافت الاسرائيليين على حائط المبكى كما فعلت · فقد رايت (الحسديين) المتبتلين يتدفقون من (المياشياريم) حاملين طيالسهم ومعاطفهم الطويلة السوداء قبل ان تنتهى المعركة ، وبعضهم تخطوا المتفجرات ليسارعوا الى الوصول للمكان المقدس الذى كان ممنوعا عنهـم طيلة اكثر من عشرين قرنـا · ورايتهـم يصلون والتمائـم على جباههم مرتلين الدعوات امام عدسات مصورى السينما الاميريكيين وميكروفون المراسلين الاذاعيين · وكان المتوقع ان اتاثـر امام المنظر الخاشع لولا ما خالطه من مبالغة فى التظاهر جاوزت الحد وكدرتنى · وكنا نسمع الاذاعة الاسرائيلية طوال الايام الموالية تـردد فى كل مكان (يروشلايم ـ يروشلايم) مكررة ذلك فى اصرار بالغ درجـة الهـوس ·

وفى مثل هذا الجو يستحيل التفكير فى فتح نقاش جدى يهدف الى امكانية تدويل مدينة القـدس · كما انه لـو قيل ان العـرب سيتعهدون بضمان حرية الدخول الى المـدينة العتيقـة لأجيب بتهكم ظاهر : « نحن احق ان نسمح لغيرنا بالدخول » ·

ج· ل· ـ هل يعبر هذا الشعور بحق الاستحـواذ على القـدس العتيقة من طرف اسرائيل عن انبعاث نزعة يهودية متصلبة همهـا التشبث بالتقاليد ؟

ج· ف· هـ· ـ ربما كانت صيغة السؤال تعتمد اليقين بتغلب العقل ، او ما يشبه اليقين · بينما ردود الفعل الصادرة عن الاسرائيليين باطنية · حقا انه شوهد بهذا الشان تقهقر بالنسبة لما يتمناه كثير من الاسرائيليين واصدقاء اسرائيل من لا ئيكية الدولة وبلوغها سن الرشد وتخلصها من المخاوف القديمة الموروثة عن عهود التشتت والاستئصال · غير ان انبعاث الروح الدينية او ما يشبهها يعد ضربا من ضروب رد الفعل لمقابلة ما يعمد اليه العرب من التطرف ازاء اسرائيل · وعلينا ان نحاول فهم هؤلاء واولائك ، فامامنا نزعتان مليتان يسودهما التطرف والغلو وليس بينهما من الفوارق قدر ما يتراءى لاول نظرة ·

ج· ل· ـ اذن يمكن القول ان الأزمة اذكت الروح الدينية الكامنة فى القومية الاسرائيلية وشحذتها ؟

ج· ف· هـ· ـ لا ظل للشك هنا · وقد لوحظت نفس الظاهرة ـ ظاهرة « اعادة تاكيد الذات اليهودية » ـ فى المحتشدات التى حشر فيها اليهود ، وهى امر طبيعى فى ايام المحن مهما يكن الثمن لا سيما اذا اتصلت اسبابها بشعب مشتت غير متماسك الاركان باعتبار الوجود المادي مثل الشعب الاسرائيلي الذى ظل عدم استقراره مناط اللعنة المنصبة عليه عبر التاريخ · وكما ان العرب كانوا اشد حساسية بعروبتهم اثناء الازمة كذلك احس اليهود ـ لكن بعد تقشع السحب ـ انهم اعمق تهودا ·

ج· ل· ـ اذا سلمنا بوجود صلة بين الشعور بالفزع وبين « اعادة التهويد » ـ وهى الصلة التى تجعل الطقوس المقدسة قبلة المصابين والمكدودين كما يلاحظ لدى مجتمعات اخرى وفى اديان شتى ـ لا يلوح ان لهذا الاقبال على احياء الروح الدينية ارتباطا وثيقا بتسلسل الاحداث · فالنصر وما جره من ارتياح للشعب اليهودى لم يتسببا فى اضعاف الموجة الدينية التى طفت عليه ···

ج· ف· هـ· ـ من الغريب ان ما وقع فعلا هو العكس· فقد لاحظت « اعادة التهويد » على الاخص بعد النصر الذى فتح السدود لتيار من

ردود الفعل التى قوامها الاعتزاز بالديــن او ما يشبهــه على حين ان الشعور الحاد بالكيان اليهودى الــذى هو عماد انطــلاق الحركــة الصهيونية كان بالمستطاع التعبير عنه والاعتزاز به من غير تقيد بدين ظاهر رغم انه لا يوجد بون شاسع بين الدين والاثــر الحاصل منه ٠ وعندما يلاحظ كل هذا للاسرائيليين يجيبــون بان سلــوكهم غير نابع من الدين اصالة وانما هو اعادة تاكيــد لهويتهم ولاصالتهم الذاتية ٠ وذكر لى احــد اصدقــائى من كبــار المتــدينين يعيش فى مزرعة اشتراكية قرب الحدود الاردنية مقدار ما تنطوى عليه اليهودية من شعور بوحدة كيانها ومبلغ خشيتها ــ كما يخشى الطاعون ــ ان تصبح موضوع اخذ ورد يعرضها الى الاندثار ان اتصلت بما هو خارج عن ارومتها ٠ فاليهودية (وتاتى بعدها الصهيونية اذن) تانف من التبشير بمذهبها فى العالم ولا تقبل حتى هضم العناصر الاجنبيــة عنها اذ ليس ذلك من طبيعتها ٠ ومن العسير جدا قبول اى كان فى الوسط اليهودى مما يحملنا على الشك فى امكان تطبيق اية خطــة ترمى لادماج المجتمعين العربى واليهودى على اساس المساواة مثلما اقترحه البعض من خيار الاشتراكيين الاسرائيليين ، وهو ضرب من الخيال ٠ فكل محاولة لبناء دولة مشتركة لن تؤول الا لاقرار عــدم المساواة فى المعاملة التى تشاهد حاليا فى اسرائيل ، وقد تنتهــى الى اضفاء الصبغة الشرعية القارة عليها ٠

على ان القادة الاسرائيليين يلاقون اليوم عنتــا كبيرا فى ادمــاج اليهود الوافدين من شمال افريقيا ٠ وكل توطين عربى جماعى داخل اسرائيل لا يمكــن ان يفضى الا لاعتبار العرب مواطنين من الدرجة الثانية لاسباب اخلاقية وموضوعية فى آن ، ومن هذه الاخيرة المقدرة على اداء العمل والنجاعة الخ ٠٠٠

ان الواقــع الاسرائيلى لا يمكن فصلــه عن مظهــره الوجــودى المتصلب ، وهذا ما ينبغى اعتباره مضافا اليه ما لحق العرب مــن اهــانة ٠

هل توجد تيارات لفائدة حل سلمى ؟

ج· ل· ـ هل حصل نضج فى الافكار من الجانب العربى يسمح بقبول حل سلمى للنزاع ؟

ا· و· ـ عندما نتساءل عن وجود تيار عربى يميل الى الدخـول فى مفاوضات مع اسرائيل ينبغى ان نبدا بتعيين المفاوضة المحتملة ومن سيشاركون فيها · فاذا كان الامر يتعلق بمفاوضات مباشـرة للاعتراف بالدولة العبرية قانونا جاز القول بان مثل هذا التيار غير موجود ، ومرد ذلك الى شدة وقع الهزيمة · وبالنظر الى ان عدة مناطق عربية هى الان محتلة فان كل قبول للمفاوضـة يعتبر استسلامـا مخـزيا ·

لكن بعض المثقفين المصريين اخذوا يعيدون النظر خلال الاسابيع التى تلت الهزيمة ـ ولو فى نجواهم على الاقل ـ فيما كانوا يتصورونه من قبل ، ولم يكن ذلك دون شعور بالمرارة · وما سمعته من الاراء فى اواخر شهر جوان ـ وكان قبل ذلك خارجا عن نطاق التصور ـ يمكن تلخيصه على النحو التالى : ينبغى العدول عن كل حل عسكرى لان العرب ليسوا على الصعيد التكنيكى فى وضع يسمح لهم بمجابهة دولة متطورة تطورا بعيدا كاسرائيل التى تتمتع بتاييد مطلـق من الامبريالية ومعترف بها من بقية الدول الاخرى · فالواجب يحتم الاخذ بالواقعية والعدول عن التفكير فى ابادتها اذ ربما يستنفد العالـم العربى كل قواه ان هو اصر على فرض حل بالاستناد الى القوة ·

فلم يبق اذن الا قبول وجود دولة اسرائيل واقعيا وتمكينها من ضمانات لحفظ سلامتها على ان يكون ذلك عن طريق اتفاق دولى يسمح

للعرب بحفظ المظهر • وانصار هذه النظرية يقترحون قيام تعايش سلمي بالمعنى الحقيقي مع اسرائيل لا على نحو ما لخصه عبد الناصر من قبل في قوله « لا حرب ولا سلم »• وانما يمكن تركيز الوضع الذي يرتؤونه على نحو ما هو قائم بين المانيا الغربية والمانيا الشرقية • ويقول هؤلاء المفكرون انه ينبغي انتظار جمود لظى العواطف المشنجة وتخفيف الزمان من حدة الهوان الذي لحق العرب ليتيسر الاعتراف باسرائيل قانونيا • ثم يضيفون انه ينبغي ان تتطور اسرائيل من جهتها تطورا موازيا بـ « التخلص من الصهيونية » والعدول عن نزعتها التوسعية والاخذ باللائيكية ومعايشة غير المنحدرين من ارومتها والاندماج في عالم الشرق الاوسط • وبهذا يمكن تحقيق التالف الذي يؤدي الى صيرورة العلائق العربية الاسرائيلية عادية •

بيد ان تيار الواقعية الذي بينته — ان لم اقل روح المسالمة — يمكن ان يحطم ويقضى عليه لامن جانب السلطة المصرية التي قد تكون معارضة له تماما • وسبق ان شهدنا اقبال عبد الناصر نفسه على تطبيق صورة من سياسة التعايش السلمي مع اسرائيل ودعوته الى التمسك بالصبر ، بل انه مهد السبيل في وقت ما لفض النزاع بطريقة سلمية حتى ليصح القول بشانه انه اعترف عمليا بوجود اسرائيل • انما الاقرب هو انه اذا قدر للتيار الذي تحدثت عنه ان يضيع في متاهات الرمال فلن يكون ذلك من اثر موقف الاسرائيليين ان هم اصروا على فرض سلم تعتمد غزواتهم العسكرية اساسا ، وعندئذ لا تلبث الاهواء الجامحة ان تعصف بكل اتجاه واقعي •

ج• ل• — هل يوجد من الجانب الاسرائيلي تيار يميل الى اقامة رابطة اسرائيلية عربية حقة يكون عمادها المساواة بين العنصرين — ولا اعني الوحدة الفيديرالية المهلهلة التي نسمع عنها احيانا وهي اشبه بنظام حماية يفرض على العرب — بل اقصد تاسيس دولة فلسطينية عربية بالمعنى الحقيقي تكون لها مطلق الصلاحيات للتعاقد مع اسرائيل ؟

ج• ف• هـ• — لماذا تسال وتجيب في آن واحد ؟ لقد سبق لي ان اشرت الى ما يكتنف الموقف الاسرائيلي من لبس في الموضوع •

على ان هناك تضليلا بالغا فى خصوص فكرة الترابط الذى يمكن ان يكون ذا وجهين : حسن وقبيح •

فمن المحقق ان الاسرائيليين هم الآن فى مركز قوة يتصرفون فى عدة مناطق لا يعجزهم ظاهريا ان يفرضوا عليها الحل الذى يختارونه خصوصا وسطوتهم ترتعد منها الفرائص فى الاونة الحاضرة• وللكثير منهم ارادة صادقة لفض المشكل فى دائرة احترام حقوق العرب ، الا انهم يرفضون ان يكون الحل الذى يتراءى لهم قابلا للتطبيق من الوجهة الفنية متعذرا فرضه من طرف واحد على العالم العربى المغلوب والشاعر بالقهر •

وليس لى امل واسع اليوم فى امكانية ايجاد حل سلمى يحسم المشكل نهائيا وفى اجل قريب • فتطور الافكار ــ حسبما يتجلى من اراء رجل كـ (موشى ديان) ــ ينعكس منه شعور يوحى بان اسرائيل اصبحت تعتقد ان لها ضربا من القضاء العادل تريد ان تبسطه استنادا على ما تحتله من مراكز قوة • فالاسرائيليون يعترفون بان للعرب بعض الحقوق لكنهم يرون ان البت فيها والاستجابة اليها راجعان لانظارهم ! وعندما يستمع اليهم يتحدثون عن مستقبل دولة عربية قد تقوم بجوارهم لا يبدو عليهم حقد او احتقار لها او قصد لمحقها ، وانما شعور بالطمانينة واعتزاز بما احرزوا عليه من تفوق تجسمه الاحداث نفسها •

ومع ذلك اريد رغم العراقيل والتطرف والتصلب المتولدة عن حرب اتت بعد قرون ذاق فيها اليهود مرارة الاضطهاد ، ان اعطى الكلمة ــ مثلما فعل (رولو) بالنسبة للمصريين الساعة ــ الى خيار الاسرائيليين الذين لا يقتنعون بسلم وهمية وناشئة عن النصر العسكرى ، فمن هؤلاء او على الاقل مما يبثونه من افكار يجب ان ننتظر الحل • ومما ييسر مهمتهم ان الاسرائيليين تم لهم الان انشاء دولة قوية يحيط بها الفخار وتجاوزوا عهد الهوان الذى ما زال من نصيب جيرانهم بالشرق الاوسط •

هؤلاء هم الذين ينتظر منهم ان يكونوا أجرأ من العرب الذين يضطرهم

الكمد والاسى الى الانكماش وترديد كلمة « لا » • وخيار الاسرائيليين من يستطيعون اغتصاب كلمة « نعم » بما يبدونه من حسن الاستعداد الذى يعينهم على تاكيده والجهر به فوزهم بالانتصار • ولو صدرت الكلمات المنتظرة على لسان الرئيس اشكول غداة الحرب لاصبح الحل اليوم قاب قوسين او لضاعت على الاقل حجج حلفاء العرب التى يتمسكون بها وفقد النزاع العناصر المستمد منها وجوده • ولم تصدر هذه الكلمات للاسباب التى حاولت بسطها ، وما من يوم يمر الا وتزداد فيه فرص اقرار السلم ابتعادا ويتعذر الخروج من الحلقة المفرغة فيتعذر بالطبع ضمان وجود اسرائيل •••

انه ليكفى فى الواقع بذل بعض الجهود لبلوغ القصد • وبطرح العاطفيات وتفخيم الالفاظ يمكن ان ينفتح مستقبل مثمر اذا ازيل عن العرب ما حل بهم من مكروه واطمان الاسرائيليون الى عدم منازعتهم حقهم فى الوجود ، وعندها يستطيع الفريقان ان يؤملا الكثير • ومن المعلوم ان الاسرائيليين لا تنقصهم الخبرة والكفاءة للقيام بدور الاساتذة المقتدرين خصوصا وهم مبرؤون من مركبات الاستعمار التقليدى ، فبامكانهم دون من ان يعملوا باخلاص لاعانة الفلسطينيين على انشاء دولة عصرية • وانه لمن اهون الامور على المجموعة اليهودية فى العالم ان تسهم فى ذلك ماليا ••• والمقابل الوحيد هو ان لا يكون حق اسرائيل فى الوجود محل نزاع من الآن ، لكن ليس الامر بسيطا كما يبدو لاول وهلة • ذلك انه اذا قبل الواقع الاسرائيلى وجب ان تقبل عيوبه ايضا وصلابته وتعصبه الدينى • والمطلوب من احزابه اليسارية ان تعالجه من علله ، وسيزداد مجهودها يسرا ان اتيح للسلم ان تبسط جناحيها • ويمكن للبلاد آنذاك ان تتخلص من المحالفات الغربية المشبوهة اكثر من غيرها وتقبل على نمط من العيش ينسجم مع واقعها « المحلى » ، كما يمكن باكثر سهولة تحويل الانفعالات العاطفية للعرب الى اغراض ايجابية • واذا تحقق هذا جاز ان نؤمل قيام عالم جديد فى الشرق الاوسط ، لكننا ما زلنا بمزيد الاسف بعيدين عن ادراك هذا الوطر ••• »

* * *

لعلكم تطلبون خاتمة ؟ فهذا الحوار لا يستلزمها الا ان تكون تمنيات

بانبثاق سلم لا اذلال فيها • لكـن هل العـرب مستعـدون فى هذه الصائفة لتغليب ناموس الاحداث الواقعية على التاثر بسحر الكلام ؟ وهل يعرف الاسرائيليون كيف يكبحون جماح نخـوة انتصارهـم الاسطورى ؟

على ان الذى قد يبقى من هذه المجابهة القاسية التى حاولنا سردها هو ان الطرفين تعرفا على بعضهما ، ومهما يكن ذلك مؤلما للعرب فانهم استفادوا منه ادراك الواقع الاسرائيلى • وكيف يمكن تجـاهل مـا يحترق بمرأى منك ؟ اما الغالبون فانهم اكتشفوا العـرب بعـد لاى ايضا • وهم الذين قاسوا الوان الاضطهاد والميز العنصرى لا بد ان يكونوا عرفوا الآن اكثر من اى وقت مضى انهم وضعـوا ارجلهم فى عالم تكتنفه الآلام ، ولا يمكن دوام البقاء الا اذا عاش كل من حولهم عيشا رضيا •

فهل تكون « المعركة الثالثة » معركة التعارف ؟

باريس جويلية ـ أوت 1967



جـدول تـرتيبى

للاحــداث التــاريخيــة

وضــع روزى رولـو



14 فيفــرى 1896	اصدر تيودور هــرزل فى فيانــا كتابــه « الدولة اليهودية » •
1897	انعقد اول مؤتمر صهيونى فى بال وصادق على برنامج هرزل •
16 مـــاى 1916	ابرام اتفاقية (سيكس ـ بيكـو) بلنـدن لتقسيم البـلاد العـربية التابعـة للحكم العثمانى بين بريطانيا وفرنسـا وروسيـا على ان توضع فلسطين تحت رقابة دوليـة مشتركة •
2 نـوفمبـر 1917	اعلان تصريح (بلفـور) المتضمن تحبيـذ بريطانيا مبد تاسيس وطن قومى لليهـود بفلسطين •
جـانفـى 1919	ابرام اتفاقية بين اميـر الحجـاز فيصـل والدكتور (حايم ويزمـان) ممثل المنضمة الصهيونية حول اجـراء العمـل بتصريـح بلفور •
24 افـريـل 1920	ـ عهدت ندوة السلم المنعقـدة بـ (صان ريمو) الى بريطانيا بالوصاية على فلسطين• ـ انتخب الدكتور (حايم ويزمان) رئيسا للمنظمة الصهيونية •
1922	صادقت جمعية الامم على الوصاية البريطانية على فلسطين •

17 مـــاى 1939	نشر الكتاب الابيض البريطانى الذى يضع حدا نهائيا للهجرة اليهوديـة ويقيد حـق الصهيونيين فى اشتراء الاراضى ٠
10 سبتمبـر 1944	بريطانيا تقرر احداث فيلق يهودى ٠
1945	انشاء الجامعة العربية ٠
10 سبتمبـــــر	انعقاد ندوة المائدة المستديرة بلندن ٠
2 اكتـوبـر 1946	البلاد العربية تبدى معارضتهـا لاقامة دولة يهودية بفلسطين ٠ عزام باشا الامين العام للجامعة العـربية يعبر عن رغبـة الوفـود العربية فى الوصول الى حل عادل منصف ٠
29 نـوفمبر 1947	ـ منظمة الامم المتحدة تتخذ قرارا بتقسيم فلسطين الى دولتين يهودية وعربية وتاميم القدس وبيت لحـم ٠ ـ بـدء النزاع المسلح بين المجموعتين ٠
17 افـــريـــل	مجلس الامن يصدر توصية بوقف اطـلاق النار ٠
مـــــاى 1948	الـ « هجانة » (القوة اليهودية المسلحـة) تستحوذ على حيفـا (22 افريـل) وعكـا وطبرية ٠
14 مــــــاى	ـ انتهاء الوصايـة البريطانيـة ومبارحـة المندوب السامى البريطانـى فلسطين ٠ ـ ابن غريـون الوزيـر الاول للحكومـة الاسرائيليـة المؤقتة يعلـن قيـام دولـة اسرائيل ٠
15 مــــــاى	ـ الجيوش العربية تدخل تراب اسرائيل ٠ ـ الولايات المتحدة تعترف بدولة اسرائيل من الوجهة الفعلية ٠

I7 مـــــــــاى	اتحاد الجمهوريات الاشتراكيــة السوفياتية يعتــرف بــدولــة اسرائيل من الــوجهــة القانونية •
20 مــــــــــاى	(الكونت برنادوت) يعين من طرف مجلس الامن وسيطا لمراقبة وقف اطلاق النــار ، وفى I7 سبتمبر يقع اغتيالــه مــن طــرف الاسرائيليين •
II ديسمبــر I948	الجمعية العامة لمنظمة الامم المتحدة توافق على قرار يمنح اللاجئين العرب حق العودة الى ديارهم او اخذ غرمة تعويضية •
جـــانفـــى I949	بريطانيا وفرنسا تعترفان بدولة اسرائيل •
فيفـــــرى I949	توقيع اتفاق هدنــة بين اسرائيل ومصــر بجــزيــرة رودس اقتفت اثــره بعــد ذلك الاردن ولبنان وسوريـا •
II مــــاى I949	قبول اسرائيل عضوا بمنظمة الامم المتحدة من طرف الجمعية العامة ومجلس الامــن •
ديسمبـــــر I949	الجمعية العامة للامم المتحدة تتخذ قــرارا بتاميم القدس •
سبتمبـــــر I95I	مجلس الامن يدين مصر لمنعهـا البواخـر المتوجهــة الى اسرائيل مــن اجتياز قنــال السويس •
جـــويليـــة I952	فاروق ملك مصر يضطر للتخلى عن العرش نزولا عند رغبة فريق من الضباط الشبان على راسهم البكباشى عبد الناصر •
2 مــــاى I953	نودى بالحسين ملكا على الاردن •
اكتــوبــر I953	(ايريك جوهنستــن) يعــرض مشــروع استغلال منســق لميــاه الاردن ومخططـا لتوزيعها بين اسرائيل والــدول العربية •

14 أكتوبر 1953 الاسرائيليون يقومون بغارة انتقامية على قبية بالاردن تسفر عن اكثر من 50 ضحية ·

فيفـــــرى 1955 تشكلية اسرائيلية من جنود الكومندوس تقوم بغارة على غـزة تسفر عـن مقتل 40 مصريا ·

سبتمبـــــر 1955 توقيـع عقـدة شـراء الاسلحـة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا ·

26 جـويلية 1956 الرئيس عبد الناصر يؤمم شـركة قنـال السويس ·

29 اكتـوبـر 1956 الجيش الاسرائيلي يشن حملـة على سينـاء بمسانـدة القـوات المسلحـة الفـرنسيـة والانجليزية ·

2 نـوفمبـر 1956 الجمعية العامة للامم المتحدة تامر بـوقف اطلاق النار على الفور ·

7 مـــارس 1957 سحب الجنـود الاسرائيليـة عن التـراب المصرى المحتل بما فى ذلك منطقة غـزة ·

22 فيفـرى 1958 الاعلان عن بعث الجمهورية العربيـة المتحدة باتحاد سوريا ومصر ·

سبتمبـــــر 1961 سوريا تفصم وحدتها مع مصر ·

سبتمبـــــر 1962 الجمهورية العربية المتحـدة تقـرر اعانـة جمهورية اليمن عسكريا واقتصاديا ·

جـــانفـــى 1964 انعقاد اولى ندوات (القمة) للدول العربية بالقاهرة وتكوين قيادة عسكرية موحـدة · الندوة تقـرر انشـاء هيـاة للاشـراف على شؤون الشعب الفلسطينى وتحويل روافد نهر الاردن لفائـدة البلاد العربية ·

سبتمبـــــر 1964	انعقاد الندوة الثانية للقمة بالاسكندرية •
سبتمبـــــر 1965	انعقاد الندوة الثالثة للقمة العربية بالـدار البيضـاء ، وقـد اعربت اثنـاءهـا الدول الاعضاء عن استنكارها استخدام القوة لفض المشاكل الدولية متعهدة الى ذلك بالعمل من اجل « تحرير » فلسطين •

الازمــــــــة

7 افـريـل 1967	اثـر اعتـداء حصل باسرائيل من طـرف تشكيلة للفدائيين الفلسطيين شن السلاح الجوى الاسرائيلى غارة على ضواحى دمشق اسقط خلالها ست طائـرات سورية مـن طراز ميغ •
12 مــــــــاى	ادلى الجنرال (رابين) رئيس اركان الجيش الاسرائيلى بتصريح قال فيه انه ما لم يتـم القضاء على حكـم الثوريين بـدمشق فلـن تستطيع حكومة بالشرق الاوسط ان تشعر بالامن •
13 مــــــــاى	تلقـى عبد الناصر معلـومـات تفيـد ان اسرائيل بصدد حشد جنـود على تخـوم سوريـا •
14 مــــــــاى	وحدات الجيش المصرى تخترق القاهـرة فى طريقها الى الواجهة •
16 مــــــــاى	ــ رئيس اركان حـرب الجيش المصرى يطلب الى الجنرال (ريكهى) القائد العـام لجنود الامم المتحدة « القبعات الـزرق » ان يجمع جنوده بغزة •
18 مــــــــاى	ــ الجمهوريـة العربية المتحـدة وسوريـا تضعان قواتهما بحالة الطـوارىء •

ـ السيد (ثانت) يصرح بمجلس الامن انه امر بسحب « القبعات الزرق » وان « الحالة بالشرق الاوسط بلغت من الخطورة حدا لم تبلغه قط فى اى وقت مضى منذ 1956 » .

ـ اسرائيل تضع قواتها المسلحة بحالة الطوارىء .

21 مـاى — القوات المصرية تحل محل « القبعات الزرق » بشرم الشيخ .

22 مـاى — ـ الرئيس عبد الناصر يحجر العبور من مضيق تيران على البواخر الرافعة للعلم الاسرائيلى او الحاملة لمواد استراتيجية الى اسرائيل .

ـ الولايات المتحدة تعلن بان ضرب الحصار على خليج العقبة اجراء غير قانونى .

ـ اشكول يقترح التخفيض من عدد الجنود المتجمعة على جانبى الحدود الاسرائيلية المصرية ، ويصرح بان عدد الجنود المصرية ارتفع من 35000 الى 80000 رجل .

23 مـاى — ـ السيد (ثانت) يؤم القاهرة .

ـ صدور انذار سوفياتى يتضمن ان كل دولة معتدية بالشرق الاوسط ستصطدم بمقاومة الاتحاد السوفياتى والبلدان العربية مجتمعه .

ـ فرنسا تقترح اجراء « تشاور » بين الدول الاربع الكبار .

ـ بريطانيا تتخذ مواقف قريبة من التى اتخذتها الولايات المتحدة .

26 مـــــــاى	عبد الناصــر يصرح الى الاتحــاد الــدولى للشغالين العرب : « لئن اقترفت اسرائيل اى اعتداء على سوريا او مصر فسوف تكون الحرب ضدها شاملــة (٠ ٠ ٠) ويكــون هدفنا الأساسى محق دولة اسرائيل » ٠
28 مـــــــاى	الرئيس عبد الناصر يعقد ندوة صحفيــة يصرح اثناءها انه مستعد للمساهمة مــن جديد فى اشغال اللجنة المشتركة للهدنة ٠
30 مـــــــاى	ـ الجزائر والمغرب تقرران التوجيه بوحدات عسكرية الى الشرق الاوسط ٠ ـ الملــك حسين يوقــع مــع عبد الناصر اتفاقية دفاعية تنص على ان يكــون الجيش الاردنى تحت القيادة المصرية فى صــورة نشوب نــزاع مسلح ، ويتصالح فى نفس الوقت مع السيد الشقيرى رئيس منظمــة التحرير الفلسطينية ٠ ـ اشكول يصرح ان غلــق مضيق تيران يشكل عملا عدائيا ضد اسرائيل ٠
غـــرة جـــوان	تشكيل حكومة « اتحاد قومى » باسرائيل ينضم اليها الجنرال (ديان) بصفته وزير الدفاع و (مناحم بيجين) زعيم المتصلبين ٠
2 جـــــــوان	الحكومة الفرنسية توضح موقفها معلنة ان كلا من الدول المتنازعة لها الحق فى الحياة على ان (٠ ٠ ٠) اول من يبادر باستعمال السلاح « لن يظفر بموافقتها واحرى ان لا يحظى بمساندتها » ٠
5 جـــــــوان	ـ اسرائيــل تشن حملــة على المطــارات المصرية ، وتنشب معارك ارضية على الحدود المصرية والاردنية ، وتذيع اسرائيل خبر

14 جـــــــوان	شركة (ارامكو) تستانف نشاطها بالمملكة العربية السعودية •
15 جـــــــوان	ـ فرنسا تعلن انها غير معترفة باى تحوير للوضعية الترابية بقوة السلاح • ـ استغلال موارد النفط يعود الى مجـراه بالكويت •
16 جـــــــوان	محادثات بباريس بين دى غول وكوسيغين•
21 جـــــــوان	ـ السيد بودغورنى يصل القاهرة • وكان سبقه اليهـا المـاريشال زاخـاروف رئيس اركان حزب الجيش السوفياتــى • ـ الجنرال دى غول يقول فى تصريح له : « ان فرنسا ترى من العدل تمكين كل مـن الدول المتنازعة ـ وخاصة اسرائيل ـ مـن مباشرة حقها فى الحياة (• • •) لكنهـا تدين اسرائيل باعتبارها البادئـة بشــن الحرب (• • •) ولا تعير شانا لاى تغيير فى الـوضع الترابـى عن طـريـق القـوة المسلحة » •
23 جـــــــوان	لقاء جونسن وكـوسيغين فى غـلاسبورو بولاية نيوجرسى •
28 جـــــــوان	البـرلمان الاسرائيلى يصـادق على الحـاق القطاع الاردنى من مدينة القدس متعهـدا بحماية الاراضى المقدسة وعـدم التعـرض لمن يؤمها •
29 جـــــــوان	واشنطـن وموسكـو وبـاريس والعواصـم العربية تدين ضم مدينة القـدس العتيقـة المقرر من جانب واحد •

تحطيم زهاء 400 طائـرة للعدو •
ـ الاتحاد السوفياتي يدين حكومة اسرائيل ويطلب رجـوع الجنـود الاسرائيليـة الى مراكزها التي انطلقت منها •
ـ فرنسا توقف توجيه الاسلحة الى البلاد المتقاتلة •
ـ الولايـات المتحـدة وبريطانيـا تؤكـدان عزمهما على ملازمة الحياد •

6 جـــوان ـ القوات الاسرائيلية تتقـدم في منطقـة سيناء •
ـ الجمهوريـة العربية المتحدة تعلن غلقهـا لقنال السويس •
ـ مجلس الامن يصادق بالاجماع على قرار تقدمت به الولايات المتحـدة يطالب بوقف اطلاق النار •

7 جـــوان ـ الجنود الاسرائيلية تصل الى شرم الشيخ والى نقطة تقع على مسافة 50 كيلو متر مـن قنال السويس • اما بالواجهـة الاردنيـة فيحتل الاسرائيليون مدينة القدس وقسما من الضفة الغربية للاردن •
ـ الاردن تمتثل في الصباح لامر وقف اطلاق النار لكن الجنود الاسرائيلية تواصل زحفها فتحتل في المساء كامـل الضفـة الغـربية للنهر •
ـ مجلس الامن يصادق على قرار جـديـد قدمه الاتحاد السوفياتي يقتضي وقف اطلاق النار فورا • الحكومـة السوفياتية تهـدد بقطع العلاقات الديبلوماسية مـع اسرائيل ان هي لم تضع حدا للقتال •
ـ ستة بلدان عـربية تقطـع عـلاقاتهـا

الديبلوماسية مع بريطانيا وواشنطن (الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا والجزائر واليمن والسودان) •
ـ سبع دول عربية منتجة للنفط تعلن وضع الحظر على ما تصدره الى بريطانيا والولايات المتحدة (العراق ـ الجزائر ـ الكويت ـ العربية السعودية ـ ليبيا ـ البحرين وقطر ـ وتبعتها ابو ظبي في 12 جوان) •

8 جوان ـ اسرائيل تعلم بان جنودها وصلت ضفاف القنال •
ـ الجمهورية العربية المتحدة وسوريا تمتثلان لقرار وقف اطلاق النار •

9 جوان ـ اسرائيل تعلم باحتلال جنودها عنوة « الهضبة » السورية • السيد (ثانت) يعلم مجلس الامن بحصول غارة جوية على دمشق •
ـ الرئيس عبد الناصر يستقيل من جميع مهامه الرسمية ، ثم يعلن بعد ثلاث ساعات تاجيله البت فى الامر الى الغد بسبب ما قام من مظاهرات شعبية •
ندوة شيوعية فى مستوى « القمة » تنعقد بموسكو وتوجه انذارا الى اسرائيل كي تضع حدا لـ « اعتدائها » •

10 جوان ـ الرئيس عبد الناصر يعلن رجوعه عن استقالته فى رسالة الى مجلس الامة المصرى •
ـ قطع العلاقات الديبلوماسية بين اسرائيل والاتحاد السوفياتي • (وقد تبعته فى موقفه بلاد اشتراكية اخرى) •

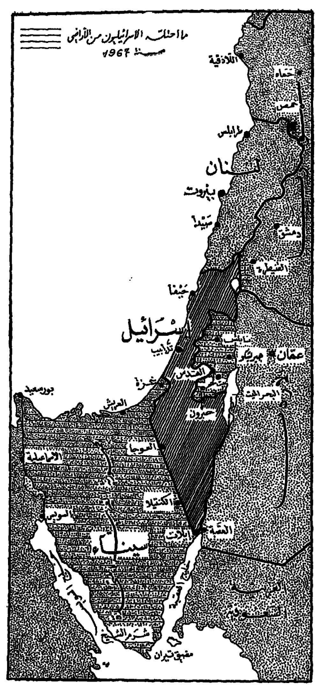
10 جـويـليـة	مجلس الامن يطلب من الجنرال (اودبول) اثـر نشـوب معـارك على ضفتى القنال ان يوجه من طرفه مراقبين باسم منظمة الامم المتحدة الى المنطقة ، وعلى هؤلاء ان يحتلوا مراكزهم من الجانبين •
14 ـ 15 جـويلية	نشوب معارك عنيفـة على ضفتى القنال •
17 جـويليـة	ملاحظو الامـم المتحدة يحتلون مراكزهم على جانبى الممر المائى •
19 جـويليـة	ل • اشكول يصرح بان قطاع غـزة يجب ان يبقى ارضا اسرائيلية •
23 جـويليـة	الرئيس عبد الناصر يلقى اول خطاب منذ بدء الازمة يلح فيه على المجهـود الـداخلى المبذول من طرف الامة المصرية •

السكان اليهود فى فلسطين ـ اسرائيل

سنة	1882	24 000 (*)
سنة	1900	50 000 (*)
سنة	1914	85 000 (*)
سنة	1935	355 200 (*)
سنة	1945	563 800 (*)
سنة	1948	650 000
سنة	1950	1 203 000
سنة	1956	1 667 500
سنة	1958	1 810 100
سنة	1962	2 068 900
سنة	1964	2 239 000

(*) أعداد تقريبية .





خريطة « لوموند ديبلوماتيك »





فهــرس



الفهـــــرس

طبـع وحفـر
الشركة التونسية لفنون الرسم
1968



اسرائيل والعرب: الجولة الثالثة

لثالث مرة وفى اقل من عشرين سنة تلتحم القوات العسكرية لكل من الدولة اليهودية وجاراتها العرب فى اوائل جوان 1967 . وقد اوشك انتصار جيش اسرائيل المفاجىء والشامل ان ينسى اندلاع الحرب وسيرها واطوارها .

لكيف يمكن تقييم عظمة الحدث واستنتاج ما يدل عليه ؟ وكيف يكون التنبؤ بتاثيراته على مستقبل الشعوب العربية واسرائيل ؟ واخيرا كيف السبيل الى تقديم صورة نزيهة عن هذا النزاع الذى اطلق العواطف من عقالها معبرة صريحة ؟ لهذا الغرض يعرض هنا شاهدان ممتازان ـ هما المبعوثان الخاصان لصحيفتين من كبريات الصحف الفرنسية ، احدهما بمصر ، والآخر باسرائيل ـ معلوماتهما وانطباعاتهما فى شكل نقاش حر .

وكلاهما ليس مدافعا او ناطقا باسم هذه القضية او تلك ، بل هما شاهدان ضليعان وباحثان كفئان ، نعنى ايريك رولو المشرف على الصفحة الخاصة بالشرق الاوسط فى جريدة لوموند و جان فرنسيس هلد مستطلع صحيفة نوفيل أوبسيرفاتور اللذين يتعارضان احيانا ، وكثيرا ما يتفقان ، ولكنهما يتكاملان دائما فى سردهما « مغالطات » عبد الناصر ، ومقررات الجنرال رابين الاستراتيجية ، والدور السوفياتى ، وحصار العقبة ، واستقالة الرئيس ، وبلوغ الجيش الاسرائيلى الاماكن المقدسة ببيت المقدس .

وفى حديثهما عن « اقصر حرب » وقعت ، يبديان رايهما بمعية جان وسيمون لاكوتير عن اطول سلم مستقبلة ، وكيف يجب ان تركز .

ا. رولو

ولد ايريك رولو بالقاهرة عام 1926 .

صحافى منذ سنة 1943 ؛ عمل بالاخص فى وكالة فرانس ـ بريس . اما بصحيفة لوموند فهو يشرف على الصفحة الخاصة بالشرق الاوسط . يتكلم العربية ، ويعرف شخصيا كل قادة دول الشرق الاوسط .

ج. ف. هلد

ولد جان فرنسيس هلد سنة 1930 بباريس . مجاز فى الفلسفة من السوربون . استهل نشاطه مستطلعا بصحيفة لبرسيون ، ثم شارك فى حصة « زوم » بديوان الاذاعة والتلفزة الفر... وفى صحيفة نوفيل أوبسيرفاتور .

احد مؤلفى الفرنسيون والعنصرية ,«...le racisme» وهو بصدد كتابة محاولة عنوانها ... «Moi et les autres» . كما اخرج بـ... «Le Seuil» كتابه : انتقل فى خدمتكم «...ous»

ج.وس. لاكوتير

جان وسيمون لاكوتير المشرفان على تسيير ... التاريخ مباشرة «...histoire immédiates» ... «La petite planète» اخرجا عن العالم العر... «Le Seuil» مصر فى تحرك ، «...vement» المغرب فى الاختبار «...roc à l'épreuve» «Egypte».

500 م.ت.